جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

المغول بين الحرب والسلم
دراسة عسكرية حضارية
593-693هـ/1197-1294م

مذكرة دكتوراه في التاريخ الوسيط
تخصص العالم الإسلامي وقارة آسيا

إشراف:

أ.د نبيلة عبد الشكور

إعداد الطالب:

بن سعيد جمال الدين

السنة الجامعية2022/2021

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعدالله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

المغول بين الحرب والسلم
دراسة عسكرية حضارية
593-693هـ/1197-1294م

مذكرة دكتوراه في التاريخ الوسيط
تخصص العالم الإسلامي وقارة آسيا

إعداد الطالب:
بن سعيد جمال

إشراف:
الأستاذة الدكتورة نبيلة عبد الشكور

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الصفة	الجامعة
أ.د بشار قويدر	رئيساً	جامعة الجزائر 2
أ.د نبيلة عبد الشكور	مشرفاً ومقرراً	جامعة الجزائر 2
أ.د شريفي أحمد	عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 2
د. أحمد زرقوق	عضواً مناقشاً	جامعة خميس مليانة
د. حمزة حاجي	عضوا مناقشاً	جامعة المدية
د. زكية كربال	عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 2

السنة الجامعية2022/2021

قال تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

(فصلت 34 – 35)

الإهـــداء

إلى روح أستاذ البشرية ومعلم الإنسانية سيد الخلق أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

إلى أرواح شهداء الدين والوطن.

إلى الوالدين الكريمين.

إلى الزوجة الكريمة وفلذتا كبدي محمد مرسي وجابر.

إلى كل من حمل هم هذه الأمة من صاحب علم وأستاذ ومعلم.

إلى كل من أساتذتي الكرام: الأستاذ الأب والأخ والصديق العزيز الدكتور أحمد شريفي، والأستاذة الدكتورة المصونة مشرفتي نبيلة عبد الشكور، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ الأحياء منهم والأموات.

أهدي هذا البحث وثمرة الجهد المتواضع.

كلمة شـــكر

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورةإبراهيم: الآية 7]

وقال أيضا: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾

[سورةسبأ: الآية 15]

فالحمد والشكر لله رب العالمين على توفيقه وتيسيره ومنّه وكرمه

ومن باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من نهلتُ من تحت أجنحتهم في مساري التعليمي

من الإبتدائي إلى الجامعي

كما أشكر كل من ساهم معي في إخراج هذا العمل المتواضع سواء من قريب أو

من بعيد

قائمة

المختصرات

قائمة المختصرات

بالحروف	الكلمة
هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
ص ص	أكثر من صفحتين
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ط	طبعة
د. ت. ن	دون تاريخ نشر
د. م. ن	دون مكان نشر
د. د. ن	دون دار نشر
ق	قسم
ق. م	قبل الميلاد

مقدمة

شهدت قارة آسيا منذ القديم العديد من الأحداث التي جعلتها متميزة من الناحية التاريخية، حيث تعاقبت فيها العديد من الحضارات المختلفة، التي مازال ذكرها متداولا عبر الكتابات التاريخية، وشاهدة على وجودها تلك الآثار المنتصبة في كل منطقة وكل طرف من أطرافها، قامت على أكتاف شعوبها التي أثرت تاريخ المنطقة من خلال أعمالهم وإنجازاتهم الفريدة، فنجد في أقصى شرقها ملامح الحضارة الصينية التي استمرت قرون عديدة، ونجد في غربها الفرس الذين أسسوا لهم دولا وأنشأوا حضارات شهد لها التاريخ، بالإضافة إلى حضارات شعوب بلاد الرافدين من الكلدانيين والآشوريين والبابليين وغيرهم.

وفي أواخر العصر الوسيط شهدت آسيا تحولا كبيرا في شقيها الشرقي والغربي نتيجة أحداث مهمة، أخذت بمنحى التاريخ إلى عهد جديد، كما أدت إلى تغيير الخارطة السياسية لهذه القارة ابتداء من القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلاد.

ولعل من أبرز تلك الشعوب التي تركت بصمتها على غرار الصينيين والفرس نجد المغول، الذين لمع تاريخهم ليس على الشق الشرقي الآسيوي فقط، بل تعدى إلى أوربا وغرب آسيا، مثل سيل جارف أو نار حارقة، بأعمال عسكرية وغزوات مدمرة منقطعة النظير، ووحشية بلا هوادة، أتت على دول وحضارات ومدن بأكملها.

نشأ المغول الأصليون في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي، في أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان بين جبال آلتاي غربا ، وجبال خنجان شرقا.

عاشت قبائل المغول الكثيرة والمختلفة في الإقليم الواقع جنوبي بحيرة بايكال، كالتتار الذين سكنوا على شواطئ بحيرة بويور في أقصى الشرق من منغوليا، والكرايت الذين أقاموا في الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين، ثم قبائل المركيت الذين عاشوا شمال الكرايت على مجرى نهر سلنجا وجنوب بحيرة بايكال، وقبائل أويرات البدائية الذين قطنوا بين نهر أونون وبحيرة بايكال، وكذلك النيمان المتحضرين الساكنين في منغوليا الغربية غرب الكرايت، في المنطقة الممتدة من جبال خانقاي إلى جنغاريا، بالإضافة إلى قبيلة قيات الصغيرة المعروفة باسم بورجقين، وهي التي أقامت بين نهري أونون وكيرولين وهي التي خرج منها جنكيزخان ونشأ فيها، وصارت رئاسة كافة قبائل المغول لها.

تقاربت هذه القبائل في نمط العيش القبلي واستقلالية كل قبيلة عن الأخرى، مع استمرار النزاعات والحروب كعادة الشعوب القبلية، فقد تقاربوا وتشابهوا في الملامح وكثير من العادات والتقاليد والصفات التي صقلتهم بها بيئتهم الطبيعية التي عاشوا فيها.

فبعد أن وحَّد جنكيزخان منغوليا وجمع كل القبائل المختلفة تحت رايته، أصبح بعد هذا الجهد خانا أعظما عليهم، بدأ بتنظيم سياسة دولته الناشئة والرامية إلى التوسع وإخضاع الجيران، وباشر تنفيذ هذه السياسة بالتوسع على حساب الدول المجاورة ابتداء من الصين الشمالية، ثم توجه غربا نحو القراخيطاي وسيطر على كل المناطق التي تخضع لسلطانهم في بلاد ما وراء النهر، ليلحق في زمرته إقليم الدولة الخوارزمية وبلاد خراسان في القسم

الأكبر من إيران، ليضم فيما بعد الأراضي الواقعة شمالا من بلاد القفجاق والروس وحوض الفولغا، وتم له ذلك في فترة وجيزة لم تزد عن عشرين عاما.

واستمر خلفاؤه في بذل جهودهم لإتمام مشروعهم التوسعي الذي امتد إلى الصين الجنوبية، حيث تم لهم القضاء على أسرة سونج، وبلغ غرباً حتى شواطئ البحر الأدرياتيكي.

بلغ هذا الاجتياح الهمجي ذروته حين بلغ أن أسقط الخلافة العباسية في بغداد سنة 656هـ/1258م، وقتل رمزها المتمثل في الخليفة المستعصم، الأمر الذي أنذر بفناء الحضارة الإسلامية بعدما انهارت أعظم مناراتها بخارى وسمرقند وخوارزم وبغداد، وصفها المؤرخون بشتى أنواع الأوصاف التي تحمل أشد أنواع التدمير والوحشية والفناء.

فمنذ أن توحد شتات المغول وقويت شوكتهم تحت راية خانهم الأعظم جنكيز خان مع بداية القرن السادس الهجري الثالث عشر الميلادي، بدأت تطلعاتهم وأطماعهم في قيادة العالم الخارجي تكبر، فانطلق مشروعهم من الجارة الصينية التي أحكموا عليها قبضتهم لتصل سنابك خيولهم أرمينيا وشرق أوربا، ليستولوا على أوكرانيا وبولندا والمجر وكرواتيا إلى أبعد نقطة في البلاد الروسية والشرق الأوربي مع بسط النفوذ على البلاد الإسلامية إلى الحدود المصرية.

ولا شك أن استيلاء المغول على هذه البلاد الواسعة الأرجاء من العالم في فترة وجيزة له وجهان، فالأول تمثل في تعطش المغول وطبيعتهم للتوسع والتطلع للعالم الخارجي نتيجة انكماشهم في منغوليا وانحصارهم فيها، والتأثر بطبيعتها، ما أثر على صقل شخصية الفرد

المغولي على حب التوسع والغزو والصبر على ذلك، أما الوجه الثاني هو ما صحب هذا التعطش للاستيلاء والتطلع من أنواع القسوة والهمجية والشدة التي أدت إلى أفول نجم العديد من الحواضر الشهيرة في آسيا، بل وانقراض العديد من الدول وتقتيل الألوف المؤلفة من الناس في تلك الحواضر والدول.

وبالرغم من هذه القسوة والهمجية في التقتيل، نجد أن كل هذا صحبه نوع من التطور في النظم الاجتماعية والحضارية، خاصة بعد أن أتم المغول أعمالهم العسكرية ليبلغ ذروته، فبعدما كان المغولي يرضى بأقل القليل على أرضه في منغوليا، إذا به ينفتح على العالم الخارجي وينتقل من مرحلة البداوة والتخلف إلى أعتاب التحضر والتمدن.

كما يمكننا القول أن العمليات العسكرية المغولية المنطلقة من منغوليا تحت قيادة القائد الفذ جنكيز خان إلى مختلف المراكز الحضارية ذات القوة في الصين وبلاد فارس وتركستان والعراق وشرق أوربا لجديرة بالعكوف على دراسة حيثياتها وتحليلها، على أن السرعة التي تمت بها و الاستراتيجية الفذة التي تميزوا بها والدرجة التي بلغتها من الدقة لتُعَدُّ طفرة في الأعمال العسكرية على مر التاريخ.

وحتى لا نكون مجحفين في حق المغول يجب أن ننظر إلى الوجه الآخر لهم، والذي يتمثل في قيمة محصولهم الحضاري في جميع المجالات والميادين، إذ نجد أن همجيتهم و وحشيتهم قد ذابت أمام أعتاب الحضارات المتنوعة التي اصطدموا بها، ولاشك أن احتكاكهم بها في كثير من المواطن أدى إلى الحد ـ بعض الشيء ـ من همجيتهم وبدائيتهم، حيث بدا

تأثير ذلك ينعكس على طبيعتهم لتُظهرهم فيما بعد أنهم استحسنوها وامتهنوها ليدخلوا في دائرة الشعوب المتحضرة والفاعلة في صناعة الحضارة الإنسانية .

انقسمت هذه القوة بعد موت الخان الأعظم جنكيز خان إلى أربعة ممالك تستقل كل منها عن الأخرى، وتولّت كل واحدة منها إدارة شؤونها لوحدها، وبحكم أن هذه الممالك كان تواجدها وتوسعها على حساب البلاد الإسلامية، فنجد ـ وبعد مضي أقل من نصف قرن من الزمان ـ أن هذه القوة قد بدأت تنصهر في في مواطن الومراكز الحضارات المختلفة، كالحضارة الصينية والحضارة الإسلامية التركية والفارسية، ونجدها بعد أن كانت أكبر خطر يهدد هذه الحضارات خاصة الإسلامية منها، أصبحت من أشد وأقوى دفاعاته، وأصبح قادتها من أعظم الرجال الذين عرفهم التاريخ الإسلامي، حيث ظهر سلاطين المغول وأمراؤهم يطبقون الشريعة ويعلنون الإسلام ديناً رسمياً لدولتهم.

لكن هذه الجوانب من تاريخ المغول بقيت شبه مجهولةٍ بالنسبة لكثيرٍ من الباحثين والمثقفين، ناهيك عن عامة الناس، وهذا بطبيعة الحال راجعٌ إلى نقص الدراسات والأبحاث التي تختص وتتعمق في الجانب الإيجابي من تاريخ المغول، إذ بالرغم من دورهم السلبي في الأحداث، إلّا أنه يجب الإشارة والإشادة بدورهم الإيجابي الذي غطّى على همجيتهم ووثنيتهم التي تميزوا بها من قبل، وأصبحوا عبارة عن صنّاع تاريخ وحضارة إسلامية لفترة من الزمن كان لها خاصية كبيرة في التاريخ الوسيط، وهذا ما يفتح

المجال لدراسات كثيرة من شأنها أن تعطي الصورة الحقيقية للمغول المسلمين ومنجزاتهم في آسيا وأروبا.

لذا كان موضوعنا بعنوان: **المغول بين الحرب والسلم "دراسة سياسية حضارية"** 593 ـ693هـ/1197ـ1294م.

الإطار الزماني والمكاني:

ينحصر الإطار الزماني لهذه الدراسة في مدة قرن من الزمن، امتدت من 593ـ693هـ الموافق ل1197ـ 1294م، وهي الفترة التي بلغت فيها الإمبراطورية المغولية إلى أوجها وتطورها، من مؤسسها جنكيزخان إلى خليفته قوبيلاي، أما المنطقة التي شملتها الدراسة، امتدت من البلاد الصينية شرقا إلى بلاد الشام غربا مرورا بآسيا الوسطى والصغرى وبلاد التركستان وخراسان والعراق، بالإضافة إلى بلاد القفجاق وروسيا شمالا، وصولا إلى أوربا الشرقية حدود بولندا والمجر.

أهداف الدراسة:

إن الهدف الرئيسي من هذا الموضوع هو دراسة الجانبين العسكري والسلمي من تاريخ المغول، وإبراز ما نتج عن الحياة الإدارية والحضارية لدى المغول، وما مدى تأثير كل جانب على الآخر، إذ أن مدى تطور الجانب العسكري من مهارات قتالية وآلات حربية ومن خلال التنظيم المحكم في الجيش وزيادة نفوذ المغول على مساحة واسعة من الأراضي على

حساب الشعوب المغلوبة نجد أن ذلك قد أثر على تطور الجانب الحضاري، بحيث أصبحت نتيجة حتمية وطبيعية اتسمت بها أعمال المغول في تاريخهم بعد التوسع، حيث تعد هذه المرحلة ـ أي مرحلة التوسع ـ مرحلة هامة في بناء صرح حضارة الإمبراطورية المغولية، فبقدر ما كانت توسعاتهم وطموحاتهم السياسية، كان انعكاس ذلك على روعة ما قدموه للحضارة الإنسانية في الأرض التي داست عليها أقدام جنودهم وحوافر خيولهم.

إشكالية الموضوع:

ومن خلال هذه الدراسة نقف على إشكالية عامة تتمثل في كيفية بناء هذه القوة التي تكونت من حفنة من الرجال المحاربين الأشداء الذين تميزوا بالبداوة، وأصبحوا فيما بعد قادة للعالم، بعد جملة من الأعمال العسكرية الأسطورية، التي عكست الجانب السياسي والاستراتيجية العسكرية من تاريخ المغول، مع إبراز، المظاهر الحضارية التي تميزوا بها بعد تلك الفورة الهمجية على البلاد التي استولوا عليها كما تستوقفنا مجموعة من التساؤلات منها:

- ماهي ميزات الاستراتيجية الحربية عند المغول
- فيما تمثلت التنظيمات العسكرية للجيوش المغولية
- ماهي أهم حروب المغول على مختلف الجبهات
- فيما تمثلت أهم التنظيمات الإدارية والمدنية عند المغول
- ماهي أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية لدى المغول.

الدراسات السابقة:

كانت هناك العديد من الدراسات السابقة في الموضوع، إلا أنها متخصصة في فرع من فروع المغول، أو جزئية من جزئيات المظاهر الحضارية، من أهم هذه الدراسات:

غنيمات قاسم محمد مزعل المعنونة ب: **الجيش المغولي في الفترة مابين 615 ـ 736هـ/1218 ـ 1335م**، التي تناولت نشأة الجيش المغولي وتطوره لمدة قرنين من الزمن، بالإضافة إلى دراسة أخرى لكدرو نرجس أسعد ب: **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين**، التي تناولت جانب المرأة ودورها في اللإمبراطورية المغولية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

خطة الدراسة:

ولمحاولة الإجابة على هذه الإشكاليات قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

جاء الفصل الأول يبرز أصل المغول بالإضافة إلى تبيان موقعهم الأصلي، وهذا ما يساعد على إعطاء الصورة الحقيقة لهذه الشعوب التي جبلت على طبيعتها، وصُقلت على ما تميزت به بلادهم، فالطبيعة الجدباء والعوامل الطبيعية والتضاريسية الصعبة أثرت في شخصية الجندي المغولي الذي تحمل الصعاب أثناء عملية الغزو، كما أشرنا فيه إلى

التركيبة السكانية لهذه المنطقة، وانتشار القبائل المغولية فيها، ثم عرجنا على شخصية جنكيزخان وذلك بإبراز أهم المحطات في فترة شبابه.

أما الفصل الثاني الذي جاء بعنوان الجيش المغولي تطرقنا فيه إلى مبتدأ هذا الجيش ونشأته من قبيلة قيات المغولية التي ينتسب إليها جنكيز خان، وكيف أنه اعتمد في بداياته الأولى على أقربائه في جميع أعماله العسكرية حين بدأ بضم القبائل المغولية تحت لوائه، ثم كيف التحقت هذه القبائل وأصبحت ضمن الجيش المغولي الذي جمع هذه القبائل في تكوينه مثل قبائل التتار والمركيت والنايمان والكرايت، ثم انتقلنا إلى تبيان أقسامه ووحداته العسكرية، وهي ثمرة جهود جنكيز خان في تنظيم جيشه الذي أصبح من أقوى الجيوش في تلك الفترة من حيث التنظيم الذي شمل مختلف الوحدات المعروفة والمستحدثة آنذاك، واستطاع من خلاله مجابهة أكثر الجيوش النظامية والمتطورة والتغلب عليها، وأثبت من خلال وضع بعض النظم العسكرية إثبات حنكته العسكرية والسياسية.

أما الفصل الثالث الذي تناولنا فيه غزوات المغول وتوسعاتهم ابتداء من الصين الشمالية، حين تمكن المغول من فرض سيطرتهم على كل من التانغوتيين وأسرة الكين الذهبية التي اشتهرت بالقوة والتنظيم من الناحية العسكرية، فبعد أن كان أجداد جنكيز خان يدفعون الضرائب لهم، استطاع هذا الأخير أن يشق عصا الطاعة وينتفض على امبراطورية الكين ويخترق سورها العظيم، وينزل بهم الهزائم، ويدمر مدنها الواحدة تلو الأخرى، إلى أن استولى على العاصمة وأخضعا لسلطانه، ثم توجه غربا ليتم القضاء على بقايا المركيتيين

والنايمانيين الفارين من وجهه أثناء حروبه لتوحيد منغوليا، واستطاع ابنه جوجي وقائديه جيبي وسوبوتاي أن ينجزوا المهمة بنجاح، حتى أصبحت أراضي الدولة القراخطائية ضمن ممتلكاته، وبذلك أصبحت دولته مجاورة لدولة خوارزمشاه، وبعد حادثة أترار التي تعتبر السبب المباشر في الغزو العسكري للأراضي الخوارزمية، تعرضت هذه الأخيرة للدمار الوحشي المغولي الذي أتى على الأخضر واليابس، وبهذا انقضى سلطان الخوارزميين من البلاد، وفتحت طريق الغزو للدولة العباسية على مصراعيها، حيث تم ذلك في عهد أوكتاي خليفة جنكيز خان وحفيده منكو بن تولوي.

أما الفصل الرابع والأخير الذي جاء بعنوان النظم والحضارة عند المغول، فيظهر فيه أهم النظم الإدارية التي أنشأها المغول منذ بداية تأسيس دولتهم وحتى توسعها على حساب الأراضي الأخرى من شرق آسيا إلى غربها، فقد أسس الخان المغولي جنكيز خان دستورا لدولته سمي بالياسا، جاءت على شكل قوانين لتنظيم شؤون دولته وحياة سكانها رؤساء ومرؤوسين على حد سواء، حيث أمر الجميع بالوقوف عند ياسته بدون استثناء، وبهذه القوانين استطاع جنكيز خان أن يضبط إدارة دولته من جميع النواحي، الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والدينية والإدارية.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، المبني على سرد الأحداث التاريخية وتحليلها ومقارنتها ونقدها، حيث وقفنا على بعض الاختلافات في بعض

الأحداث من حيث التواريخ والوقائع وحتى أماكنها، وحاولنا من خلال ذلك بعد استنباطها من مصادرها توضيح هذه الاختلافات في محاولة لتقريب الرؤيا القريبة من الحقيقة.

نقد أهم المصادر والمراجع:

وللإجابة على هذه الإشكاليات في متن الدراسة من فصول وعناصر، اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تمكنا من الحصول عنها، وساعدتنا في إضفاء القيمة العلمية وتوثيقها على الدراسة، ومساعدتنا على فهم الموضوع حسب ما اقتضته الضرورة في البحث العلمي، من أهم هذه المصادر:

يأتي في المرتبة الأولى كتاب التاريخ السري للمغول ترجمة سهيل زكار، والذي يعتبر لسان حال المغول الرسمي آنذلك، إذ أن مؤلفه يبدو وكأنه أحد الملازمين لجنكيزخان أثناء غزواته وحملاته التوسعية، إذ نجده في كثير من الأحيان يتكلم بصيغة "نحن"، وكأنه شارك في كل الأحداث التي ذكرها، مما يبدو كأنها مذكرات أحد صانعي الأحداث أو شاهدي العيان المعاصرين لجنكيزخان، وقد أفدنا منه خاصة في مجريات حياة جنكيزخان وطفولته وشبابه، كما زودنا بكل التفاصيل عن حروبه الداخلية والخارجية.

كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي لمؤلفه أحمد النسوي الذي كان قريبا نوعا ما من الأحداث، إذ أنه كان أثناء الغزو المغولي للدولة الخوارزمية مقيما في خراسان، وكان قد شغل مناصب أو له علاقات مع أركان البلاط في الدولة الخوارزمية قبل الغزو، ثم شغل منصبا في عهد جلال الدين منكبرتي، وقد أفادنا كثيرا في بداية الغزو المغولي للدولة

الخوارزمية، وخاصة في تدهور العلاقات المغولية الخوارزمية فيما يسمى بالقضية الأترارية، وما تلا ذلك من أحداث تخريب وتدمير لأهم المدن والحواضر في بلاد ما وراء النهر.

هناك مصدر آخر في غاية الأهمية هو كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، والذي يعتبر موسوعة في تاريخ المغول من عهد جنكيز خان إلى أحفاده، ونظرا للمكانة الرفيعة التي بلغها رشيد الدين في البلاط المغولي في عهد هولاكو، فقد ساعده ذلك في جمع كل ما صنفه عن المغول من جمع شهادات حية وقريبة من مصادرها الأصلية، وتمكنه من الوصول إلى الوثائق الإدارية الخاصة بالبلاط المغولي، وقد ساعدنا هذا الكتاب وخاصة تاريخ خلفاء جنكيز خان وتاريخ هولاكو في إعطائنا زبدة المظاهر الحضارية التي تميزت بها الدولة المغولية، مع شيء من بعض الغزوات والأعمال العسكرية منذ الحملات الأولى لجنكيز خان وما تلا ذلك في عهد خلفائه، ويعطينا تفاصيل الأعمال الإدارية والإصلاحات التي قام بها خلفاء جنكيز خان كل على حدا.

وبين أيدينا كذلك مصدر آخر مهم جدا هو كتاب تاريخ جهانكشاي تاريخ فاتح العالم للمؤلف عطا ملك الجويني، الذي تبوأ هو الآخر مكانة رفيعة في البلاط المغولي، حيث يعتبر كتابه من أكمل الكتابات في رواية الغزو المغولي منذ تأسيس الدولة إلى عهد هولاكو مؤسس الدولة الإيلخانية، فنجد مؤلفه مصدرا هاما لأنه تنقل بنفسه إلى بعض المناطق التي خضعت للمغول مثل تركستان وبلاد الأويغور في وقت كانت فيه الإمبراطورية المغولية لا تزال في أوج قوتها و وحدتها، وأخذ أغلب رواياته سماعا عن المغول النافذين في السلطة،

ومن بعض الروايات المدونة منها المغولية، والقريبة زمانيا من الأحداث، وتمثلت استفادتنا من هذا الكتاب في ذكر أحوال المغول قبل ظهور جنكيز خان وأولية ظهوره والقوانين التي سنها المتمثلة في الياسا، وبداية ظهوره على مسرح الأحداث وانتقال السلطة إليه، مع ذكر أبنائه الذين خلفوه في الحكم، كما يعطينا تفصيلا كاملا عن الأويغور ونسبهم ثم خضوعهم لسلطة جنكيز خان، كما يزودنا جويني بتفاصيل عن غزوات المغول على ممالك الخوارزميين، وحروبهم مع السلطان الخوارزمي.

وعلى نفس النمط جاء كتاب طبقات ناصري لمؤلفه منهاج السراج الجوزجاني حيث كان أيضا قريبا من الأحداث التي عاشتها المنطقة التي تعرضت للغزو المغولي، وشغل هو الآخر مناصب مكنته من الاطلاع على الوثائق والمعلومات الخاصة بغزوات المغول في الصين والدولة الخوارزمية، وأخذ روايات عن أصحابها كانوا في مسرح الأحداث عهد السلطان الخوارزمي محمد خوارزمشاه، وقد أفادنا كثيرا في ذكر الأحداث من ظهور جنكيزخان وبداية الغزو المغولي وعبورهم نهر جيحون واجتياحهم للدولة الخوارزمية، مع ذكر المواجهة بين السلطان جلال الدين الخوارزمي وجنكيزخان، ثم أتبع ذلك بذكره لأبناء جنكيزخان وأهم أعمالهم العسكرية حتى غزو ببغداد.

ويأتي مصدر آخر مهم جدا، وهو عبارة عن تقرير مفصل عن رحلة قام بها الرحالة الإيطالي ماركوبولو، الذي دوَّن كل ما شاهده في طريقه إلى البلاط المغولي في عهد قوبيلاي في الصين، وأفادنا كثيرا عن جيش المغول وتنظيماته، وفصل لنا الحياة الاجتماعية

والدينية والإدارية لدى المغول، كما وصف لنا كل ما شاهده عن عاصمة المغول ومعالمها العمرانية في الصين وقراقورمن ويعتبر كتاب الرحلات لماركوبولو من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من المراجع المختلفة العربية وغير العربية من أهمها: كتاب جنكيزخان قاهر العالم لمؤلفه رينيه غروسيه المترجم للعربية، والذي ساعدنا في وصف حياة المغول المبكرة قبيل ظهور جنكيزخان، كما أعطانا وصفا لحياته منذ ولادته حتى قيامه بتأسيس دولته وحروبه مع القبائل المغولية، ثم حروبه مع القوى الخارجية المجاورة، وكتاب المغول في التاريخ لفؤاد عبد المعطي الصياد، الذي أفادنا في أهم إنجازات خانات المغول المدنية والحضارية، خاصة فيما تعلق بالبريد، وكتاب المغول للباز العريني، وكتاب تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي لبارتولد فلاديميروفتش، وهو كذلك أعطانا أهم إنجازات المغول العسكرية والحضارية، وكتاب العالم الإسلامي في العصر المغولي لبيرتولد شبولر، وكتاب حياة جنكيزخان لمؤلفه فلاديميروستوف، والذي ساعدنا في تبيان شخصية جنكيزخان وكل أعماله الإدارية والسياسية والعسكرية، وكتاب الحياة السياسية في العراق لحمد القزاز، وكتاب تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي، وكتاب تاريخ إيران بعد الإسلام لعباس إقبال وغيرها.

الفصل الأول

جغرافية بلاد المغول

أولاً- الموقع الجغرافي

ثانياً- الطبيعة والتضاريس

ثالثاً- الثروة الحيوانية والنباتية

رابعاً- قبائل المغول

خامساً- محطات في حياة تيموجين (جنكيزخان)

أولاً ـ الموقع الجغرافي:

انتشرت قبائل المغول في وسط آسيا في المنطقة الواقعة بين نهري سيحون* وجيحون** من المغرب إلى حدود الصين من جهة الشرق الممتدة حتى أقصى الشمال الشرقي لآسيا[1]، حيثث نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي، وهي صحراء قفراء مناخها قاري[2]،هذه البلاد التي تعتبر أرض وموطن الأجداد وآباء المغول تقع بين نهري أوتون وكسير ولين وهي المناطق الواقعة إلى الشمال من الصحراء المغولية "صحراء كوبي"[3] أو جوبي.

* يسمى أيضا نهر الشاش، بقدر الثلثين من نهر جيجون، يجري من حدود بلاد الترك، يسير مغربا بميله إلى الجنوب من خجندة، ثم إلى فاراب ثم يصب في بحيرة خوارزم، ينظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص 62، ويضيف ابن خلدون أن مخرجه من بلد وجار في حدود بذخشان مما يلي الهند: ينظر: ابن خلدون: ابن خلدون، أبي زيد عبد الرحمان محمد، مقدمة ابن خلدون، ج1، ط7، تحقيق وتعليق: د.علي عبد الواجد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2014، ص 371.

** يخرج من حدود بذخشان، ويسير مغربا وشمالا حتى يصل إلى حدود بلخ، ثم إلى الترمذ ثم يجري كذلك مغربا وشمالا إلى خوارزم ثم يشرق إلى الشمال حتى يصب في بحيرة خوارزم، ينظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص 61، ولمزيد عن نهري جيحون وسيحون ينظر: ليسترنج كي: بلدان الخلافة الشرقية، ط2، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص ص 21-22.

[1] القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء النجف، 1970، ص 3.

[2] عادل هلال: العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 1997.

[3] الغامدي: المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، ط1، د. د. ن، وزارة الاعلام بالمملكة العربية السعودية، الرياض، 1990، ص 12.

ويبرز الباز العريني في تعريفه للتتار والمغول أن هؤلاء في الشطر الشرقي من آسيا الوسطى وفي الشمال الغربي من الصين، على أنهار كيرولين وأرخون وأنون[1]، ويمكن اعتبار هضبة منغوليا وسلاسل جبال "تيان شان" وما بينهما من سهول وصحراء جوبي وحول بحيرة بايكال وضفاف الأنهار الموجودة في المنطقة الموطن الرئيسي لهذه القبائل[2].

ولو أردنا أن نحدد إقليما جغرافيا كموطن أصلي للمغول لاستقر رأينا على منغوليا التي تمتد في أوسط آسيا وشرق تركستان بين جبال التاي غربا وجبال خنجان شرقا[3].

كما توطنوا في مناطق عديدة بآسيا الوسطى، تمتد ما بين حدود ممالك الخطا وأقصاها مدينة خان بالق بالصين شرقا والأويغور غربا والقرغيز وسلنكاي شمالا، وقبائل التنكوت جنوبا، كما اتخذ التتار من هضبة التبت مسكنا لهم[4]، ومن خلال تجوالهم على ضفاف نهري أونون وكيرولين شمال صحراء جوبي والمناطق الواقعة بالقرب من بحيرة بايكال تعتبر هذه المنطقة هي الموطن الأصلي للمغول[5].

---

[1] الباز العريني: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص 34.

[2] الخالدي: العالم الاسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984، ص 19.

[3] بدر مصطفى: محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص 74. محمد فتحي أمين: الغزو المغولي لديار الإسلام، ص 25.

[4] مرجونة: المغول والحضارة الاسلامية رحلة المغول من الإستكبار إلى الإنصهار، مؤسسة شباب الجامعة، 2010، ص ص32-33.

[5] الغامدي: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، ط2، دار ابن حذيفة، الرياض، 2004، ص 54.

وفي حديثه عن مبدأ المغول وظهورهم وأصولهم يورد لنا الجويني الذي عاصر تلك الأحداث من تاريخ المغول وكانت له عدة أسفار من وإلى بلاد المغول، يورد لنا حدود بلادهم ولو بإشارة خفيفة مقتضبة دون ذكر الأبعاد والمسافات والحدود والوصف الكامل لهذه البلاد، وجاء تحديده كالآتي:

وموضع إقامة التتار ومنشئهم ومولدهم بواد غير ذي زرع، تزيد مساحته طولا وعرضا عن مسيرة سبعة أو ثمانية أشهر، تحده من الناحية الشرقية بلاد الخطا، ومن الناحية الغربية بلاد الأويغور، ومن الشمال بلاد القرغيز وسلنكاي، ومن الجنوب تنكت والتبت[1].

أما مبعوث البابا أنوسنت الرابع في عهد الملك الفرنسي لويس التاسع يوحنا كاربيني في سنة 1245م إلى بلاط الخان المغولي مونكو بعد موت كيوك[2]، حيث وصف هذا المبعوث حدود أرض المغول في إطار أوسع مما ذكره الجويني خاصة من الشمال والجنوب والغرب، إذ أنه أدخل سيبيريا وجعل المتجمد الشمالي حدودها من الشرق، وتركستان الإسلامية حدودها من الجنوب، وجبال ألطاي حدودها من الغرب[3].

---

[1] الجويني: تاريخ فاتح العالم (جهان كشاي)، ج1، تحقيق: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007، ص 62.

[2] بارتولد: تاريخ تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1981، ص 696.

[3] إيمان الدباغ: نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث والرابع عشر الميلاديين، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2019، ص 20.

لذلك فإنه يبدوا أن حدود المغول تكون في إطار الأماكن التالية: سيبيريا تحدها من الشمال، وصحراء كوبي الحارة صيفا والباردة شتاء هي حد المغول من الجنوب، وربما تصل في هذه الناحية إلى أسوار الصين العظيمة، وجبال خنكاي من الشرق، وجبال الطاي (التاي) الشاهقة من الغرب[1]، وبالمختصر كان المغول يسكنون في الفيافي وأراضي الإستبس الواقعة شمال منشوريا ومنغوليا والتركستان، وكانت تجاورهم في مراعيهم القبائل التركية التنغوزية[2].

ثانياً ـ الطبيعة والتضاريس:

سكن المغول في مناطق مختلفة كثيرة تمتد من الصين شرقا إلى أواسط آسيا، تميزت جغرافيتها بتنوع بيئتها ومناطقها وتضاريسها، لذا سنحاول أن نعطي صورة ولو مختصرة لهذه البلاد في وصف بمسطحاتها المائية وجبالها وسهولها وتنوع مناخها.

البحيرات:

وجدت الكثير من المسطحات المائية التي عرفتها بلاد المغول والتي تنتشر بكثرة في الجهة الشمالية والتي تمثلت في البحيرات المتنوعة بين العذبة والمالحة.

أولى وأكبر هذه البحيرات هي بحيرة أوبسا "Upsa nur" وتقع إلى الجهة الشمالية من نهاية وادي البحيرات الكبرى، وهي تعتبر أكبر وأعمق بحيرة ذات مياه عذبة مساحتها حوالي

[1] عبد السلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 11.الغامدي: المغول، ص 17.

[2] حسين مؤنس: أطلس تاريخ الاسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 239.

2081كلم^2، وبعمق 239 مترا تقريبا[1]، وما يميزها أنها أعمق البحيرات ذات المياه العذبة على عكس البحيرات الأخرى والتي تكون مالحة لعدم وجود منافذ لها أو لمياهها[2].

ومن أهم البحيرات حوض بحيرة بلخاش الواقعة في جبال تيان شان و كوين لين وهضبة التبت، حيث يعيش في أطرافها طوائف مختلفة من الجنس الأصفر والأتراك[3].

وهناك بحيرات تتمتع بمناظر طبيعية رائعة في منغوليا، إذ تقع في أقصى الجزء الشمالي من البلاد، تحيط بها الجبال من جميع الجهات، من أهمها بحيرة "هارا" وبحيرة "هارا أوسا"، وبحيرة "هيركس" وبحيرة " خُنْبُسكُل" التي تتمتع بمنظر طبيعي بين البحيرات العديدة في منغوليا، وتستمد مياهها من أنهار كثيرة، كما توجد بحيرة "بوير" في أقصى الشمال وتعتبر من أكبر البحيرات المغولية الواقعة في الشرق من منغوليا[4].

الأنهار:

أما بالنسبة للأنهار في البلاد المغولية، فهي غنية بها لدرجة كبيرة وهي نوعان من الأنهار داخلية وخارجية، فأما الخارجية فيقصد بها الأنهار الكبرى التي تستمر في جريانها إلى خارج بلاد المغول حتى تصب مياهها في المحيط المتجمد الشمالي أو المحيط الهادي، من أهم أنهار هذا النوع نهر سِيلِنكا الذي تنحدر مياهه باتجاه الشمال، يستمد مياهه من منحدرات جبال خنكاي وتصب في المحيط المتجمد الشمالي عن طريق السواحل الروسية

[1] الغامدي: المغول: ص 21.

[2] الدباغ: مرجع سابق، ص 23.

[3] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 12.

[4] الغامدي: المغول، ص 21.

وهو صالح للفلاحة ويمتاز بوجود روافد كثيرة[1]، ومياه هذا النهر تتجمع من مساحات كبيرة، وعندما تخرج من الأراضي المغولية، فإن مياهه تتدفق في الأراضي المعروفة في الوقت الحاضر بولاية ما وراء بحيرة بايكال الروسية، ومنها إلى مياه المحيط المتجمد الشمالي عن طريق نهري انكارا، ويبلغ طول نهر سلنكا 1204كلم منها 1046كلم في الأراضي المغولية والباقي وقدره 158كلم في الأراضي الروسية[2].

كما توجد أنهار أخرى تصب في المحيط المتجمد الشمالي مثل نهر "تقرا" القريب من عاصمة المغول الحالية "اولان باتور"، ونهر "يورو"، ونهر "اورخون" الذي يعتبر أحد روافده نهر سيلنكا[3].

وهناك أنهار تصب في المحيط الهادي عبر سواحل الصين، أهمها نهر "كيرولين" ونهر "أونون"[4]، اذ يلتقي النهران ليكونا نهر "أمور" الذي يصب بدروه في السواحل الشمالية الغربية من المحيط الهادي،[5] وهو بدوره يلتقي مع نهر آخر هو نهر سونكاري فيكوِّنا نهرا واحدا تتجه مياهه إلى ناحية الشمال[6]، فنهر أونون يتدفق بسرعة ويندفع من الجبال باتجاه

---

[1] الدباغ: مرجع سابق، ص ص23- 24.

[2] الغامدي: المغول، ص 22.

[3] نفسه.

[4] الجنابي هاشم خضر: جغرافية اوراسيا.، ط1،جامعة الموصل، الموصل 1987، ص23.

[5] الدباغ: مرجع سابق، ص 24.

[6] الغامدي: المغول، ص 23.

الغابات، أما نهر كيرولين فيتسم بصفات أنهار السهوب، فهو يشق طريقه دونما انحدار، وهكذا يضل راكدا خلال جزء كبير من السنة، ويظل كشريط دقيق في منتصف الصحراء[1].

أما الأنهار الداخلية فهي التي تجري مياهها في الأراضي المغولية فقط ولا تخرج منها، حيث تصب إما في البحيرات أو في السهول والصحاري المفتوحة والواسعة.

من أهم هذه الأنهار نجد نهر "كبدو" ونهر دزبكان ونهر توين ونهر بابدرك، وتنتهي مياه معظمها في رمال صحراء جوبي أو كوبي[2].

وحسب الصياد يمكن تقسيم منغوليا إلى قسمين: قسم شمالي غربي به جبال كثيرة ووديان وقسم جنوبي يشمل صحراء جوبي، اذ تنساب من جبال المنطقة الشمالية الفروع العليا للأنهار بينما المنطقة الجنوبية لا يوجد بها أنهار[3].

ومن هذا نخلص إلى أن الأراضي المغولية غنية بكميات وفيرة من المياه كالبحيرات والأنهار إلا أنها تتركز في قسمها الشمالي وتنعدم في قسمها الجنوبي.

التضاريس:

تنوعت أرض المغول بالتضاريس المختلفة بين الجبال والسهول والصحاري الواسعة، وقد جاء وصفها الكثير من الجغرافيون بأنها بلاد تصعب فيها المعيشة نتيجة صعوبة تضاريسها

[1] غروسيه: جنكيز خان قاهر العالم، ترجمة: خالد أسعد عيسى، مراجعة وتقديم: د. سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982، ص 25.

[2] الغامدي: المغول ص 23. الدباغ: مرجع سابق، ص24.

[3] الصياد: المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 31.

لكثر الجبال وطبيعتها التي تتميز بقلة المياه، وقد تركزت الجبال الكثيرة التي توجد بينها هضاب في القسم الشمالي الغربي بصورة كبيرة عكس القسم الجنوبي الذي يشمل الصحراء[1].

ففي الشمال هنالك سلاسل جبلية عظيمة هي جبال ألطاي وسابان وخانقاي ويابلونوفي وخنجان، وهي تحتضن منطقة من المرتفعات المكسوة بالغابات الكثيفة وتؤلف امتدادا رئيسا هائلا لمنطقة التانجا السيبيرية المنيعة[2].

ويضيف الحموي وصفا لبلاد التبت في قوله" وفي بلاد التبت خواصٌ في هوائها ومائها وسهلها وجبالها، وبالتبت جبل يقال له جبل السم إذا مر به أحد تضيق نفسه، منهم من يموت ومنهم يثقُل لسانه[3]، وربما كان هذا لشدة ارتفاع الجبل ونقص الأكسجين في قمته والتي قد تؤدي إلى الاختناق من شدة العلو.

وهذه البلاد الممتدة من بلاد الصين إلى بلاد الأتراك بها الجبال الشاهقة التي ذكرها البيروني في قوله: "جبال شاهقة متصلة تمتد في أواسط عروضها على الطول من المشرق إلى المغرب وتمر على الصين وتبت وبلاد الأتراك"[4].

تمثل السلاسل الجبلية الكثيرة في البلاد النوع المميز من تضاريسها بمعدل يتراوح في ارتفاع جبالها 3050م أو أكثر، حيث تتمثل أعلى نقطة في الأراضي المغولية في قمة جبل

---

[1] الصياد: مرجع سابق، ص31.

[2] غروسيه: مرجع سابق ، ص 26.

[3] الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج2، ص ص 10-11. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.ن، ص 79.

[4] البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1958، ص 157. مرجونة: مرجع سابق ، ص 48.

"تابون بوكدو أولا" الواقع في مرتفعات جبال ألطاي، حيث يصل ارتفاعها إلى 4656,7م فوق سطح البحر، ويبلغ المعدل العام لارتفاع جبال آلطاي 3824م فوق سطح البحر بعرض قدره حوالي 200كلم تقريبا، وتنحدر هذه السلسلة الجبلية شرقا إلى 1769م في قمة جبل "بوجي ألطاي"[1].

إن جبال خنجان العظيمة التي يزيد علوها عن ستة ألاف(6000) قدم تكسوها على الدوام الغابات الكثيفة والأشجار الصنوبرية، كما هو الحال في منطقة التانجا المغولية[2].

ومن السلاسل الجبلية الشهيرة سلسلة جبال قراقورم، وهي تبدأ جنوب غرب شينجانج بالصين، وتمتد صوب الشرق حتى شمال التبت، ثم تغير اتجاهها ليصبح جنوبي شرقي، وتقع قراقورم عاصمة الإمبراطورية المغولية في وسطها تقريبا[3].

وهناك سلاسل جبلية أخرى مثل سلسلة جبال "كنتي kentei" في الشمال، أما في أقصى الشرق من الأراضي المغولية فهناك مرتفعات جبال "جنكاي" والتي تشكل قوسا من الشمال إلى الجنوب[4]، التي تتميز بمناظرها الخلابة وكذلك الغابات التي تغطي معظم أوديتها، وتعد أجمل جزء في الأراضي المغولية[5].

---

[1] الغامدي: المغول، ص 25.

[2] غروسيه: مرجع سابق ، ص 26.

[3] مرجونة: مرجع سابق، ص 48. الدباغ: مرجع سابق، ص 22.

[4] الغامدي: المغول، ص ص 25-26.

[5] الجنابي: مرجع سابق ، ص 25.

وتمتد من جنوب نهر التولا إلى جنوب شرقي نهر الأورخون سلسلة من التلال المستديرة، وهي التي أعطت المنطقة اسم "سماآري– كي إير" أي "ظهر الحمار"، ذلك أن الانسان لا يرى أي شيء في أي اتجاه سوى التموجات ذات اللون الأصفر[1].

أما عن المناخ في أراضي المغول فهو مناخ غير منتظم، ونظرا لموقع هذه البلاد في ضمن خطوط طول بين 120 درجة و85 درجة، وبين 42 درجة و52 درجة عرضية نجد أن المناخ مختلف، وهذا راجع إلى عوامل عدة منها علو هضبة منغوليا الكبير عن مستوى سطح الأرض، ثم إلى التكوينات غير العادية في تضاريس البلاد، ثم إلى انعزالها عن التأثيرات البحرية، فهي بعيدة جدا عن تأثيرات المحيطات والبحار حيث تحجبها السلاسل الجبلية المرتفعة مما نتج عن ذلك وجود مناخ جاف جدا شديد في درجات الحرارة بين الليل والنهار، وبين الشتاء والصيف[2].

اتصف مناخ منغوليا بشكل عام بأنه مناخ قاري متطرف، ترتفع فيه درجات الحرارة في فصل الصيف إلى أعلى درجات لتصل إلى 60 درجة، أما في فصل الشتاء فإنه ينخفض إلى حد الانجماد، إذ تنخفض في بعض الجهات منه لتصل إلى 58 درجة تحت الصفر، وذلك بسبب تعرض بعض الأقاليم للرياح الباردة الآتية من سيبيريا[3].

ومناخ هذه المنطقة يمتاز بشتاء طويل قاسي البرودة، تهطل فيه الأمطار، وتنخفض درجة الحرارة إلى أبعد حد، فتتجمد المياه، ويُرى الجليد حتى على أواني الشرب، فإذا ما حل

[1] غروسيه: مرجع سابق ، ص 191.

[2] الغامدي: المغول، ص 28.

[3] الدباغ: مرجع سابق، ص 25.

الصيف القصير اشتدت الحرارة، وهناك أيضا الرياح الشديدة التي تتحول إلى أعاصير عاتية يصعب معها بقاء الرجل في سرجه، ثم إن هذا المناخ لا يثبت على حال واحدة حتى ولو كان الوقت صيفا[1].

فهو مناخ شديد القساوة يندر وجوده في منطقة أخرى، فهو يبلغ النهايات العظمى في الحرارة والبرودة، وفي جفافه الشديد، وقوة الرياح العاصفة التي لا حدود لهان أما البرودة فهي الغالبة في معظم أيام السنة بسبب طول فصل الشتاء[2].

ويشير القرماني في وصفه لبلاد المغول أنهم يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم، وأفخر ملبوسهم جلود الكلاب والنموس[3]، وذلك يدل على شدة البرودة في هذه المنطقة التي تميزت عن غيرها بهذه الميزة.

هذه البرودة التي كانت مانعا في مزاولة المغول لنشاطاتهم وأعمالهم اليومية، حتى لو كانت مهمة، لدرجة أن الهمذاني في حديثه عن تنصيب خان جديد بعد وفاة جنكيز خان، أشار إلى هذا في قوله: "تبادلوا الرسل بينهم من الجهات المختلفة وانشغلوا بعقد القرويلتاي وعندما خفت حدة البرد، وظهرت بشائر الربيع توجه من كل صوب الأمراء الشطر الموطن القديم"[4] ، أي كان فصل الشتاء وبرودته تمنع اجتماع الأمراء لعقد القوريلتاي.

---

[1] غروسيه: مرجع سابق، ص 2. الصياد: مرجع سابق، ص ص 31-32.

[2] فهمي: مرجع سابق ، ص 12.

[3] القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج2، ط1، تحقيق: د. فهمي سعد، د. أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، 1992، ص 487.

[4] الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة وتقديم: يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت ، ص 28.

وعن مناخ المنطقة يقول بيرتولد: "هنالك في غربي الصين وشمالها تقع رقعة شاسعة من الأراضي تنبع منها أنهار سيبيريا العظيمة، وتؤلف السهوب جزءا كبيرا منها، ويتكون الباقي من صحاري، والمناخ في هذه الأماكن البعيدة عن البحر هو مناخ قاري تتخلله تغيرات متطرفة في درجة الحرارة"[1].

وعلى وجه العموم يمكن تلخيص مناخ منغوليا أنه في الشتاء سيبيري غاية في شدة البرودة، وفي فصل الصيف صحراوي شديد الحرارة، وفي فصل الربيع تكون شدة التقلب في درجة الحرارة، ولعل فصل الخريف افضل فصل لدى المغول، ومع هذا فإن التطرف المناخي الشديد وهو القاعدة العامة للمناخ في منغوليا[2].

ثالثاً ـ الثروة الحيوانية والنباتية:

امتازت أراضي المغول بوفرة هائلة في الثروة الحيوانية التي لعبت دورا هاما في حياة المغول بأعداد وأنواع كبيرة، ومناطق مختلفة سواء في الجبال أو الغابات أو الحيوانات الأليفة التي كانوا يربونها ويعتمدون عليها في حياتهم.

فهم رعاة يرعون الحيوانات الأليفة كالأبقار والأغنام والماعز والخيول، والصيادون يصيدون السمك من الأنهار والحيوانات من الغابات ذوات الفراء كالسمور والظباء[3].

---

[1] شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي، ترجمة: خالد أسعد عيسى، مراجعة: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1982، ص 19.

[2] الغامدي: المغول، ص 31.

[3] الصياد: مرجع سابق ، ص 32.

ويشير إلى ذلك ابن واصل في وصفه لطبيعة هؤلاء المغول في قوله: "يسكنون في البراري والقفار وهم أهل خيام، ليس لهم إلا الأغنام والخيل يأكلون لحومها ويشربون من ألبانها"[1].

أما في ما يتعلق بالحيوانات الأليفة لدى المغول فإن بيئتهم تمتلك ثروة حيوانية كبيرة جدا وأهم هذه الحيوانات الضأن والماعز والثيران والبقر والجمال والخيل، وهم يملكون أعداداً كبيرة من الخيول والأفراس، ويسمى الخيل المغولي "البوني"، ويمتاز بالقوة والرشاقة وخفة الحركة وتغلب على طبعه الحدة، ويتصف بالقوة والشدة على التحمل واتساع خطاه[2]، وأكثر دوابهم الخيل، وأقواتهم الأرز وألبان الخيل ولحومها[3].

كما يورد لنا غروسيه حادثة سرقة الخيول من عائلة تيموجين من طرف اللصوص، ووصفها بالكارثة التي حلت بهم، والخراب والدمار والخسارة التي لا تعوض، ثم يورد المغامرة التي خاضها تيموجين وصديقه "بوأورشو" لاسترجاع تلك الخيول المسروقة[4].

ونجد هذه الحادثة أيضا عند صاحب التاريخ السري للمغول الذي يصور لنا تفاصيلها والمدة التي دامت ثلاث أيام من أجل استرجاع الخيول التي وصفها بالخيول البيضاء

---

[1] ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4، تحقيق: د. حسين محمد ربيع، مراجعة: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، مصر،1975، ص 36.

[2] الغامدي: المغول، ص ص 35-36.

[3] القرماني: مصدر سابق، ص487.

[4] غروسيه: مرجع سابق: ص ص 75-77.

المخططة، وكيف أن تيموجين خاض قتالا مع صديقه لأجل ذلك[1]، وفي هذا بيان لقيمة الخيل ومكانتها لدى المغول.

وهذه الحيوانات الأليفة التي تتوفر بكثرة عند المغول يستفيدون منها للأكل والشرب والملبس، وبالأخص حليب الأفراس الذي كان المشروب المفضل لديهم[2].

أما عن الحيوانات البرية فتمتعت الأراضي المغولية بوفرة هائلة منها من حيث أعدادها وأشكالها حسب المناطق التي تعيش فيها.

ففي المناطق الجبلية ذات الأدغال والغابات تكثر فيها الحيوانات ذات الفراء كالسمور (حيوان ثدي من فصيلة العرسيان)، والقضاعة (ثعلب الماء) والفاقوم (حيوان ثدي من العرسيات)، والسنجاب والقندس، كما توجد في هذه المناطق أيضا الحيوانات ذات الحوافر منها الرّو (نوع من الظباء) والأيل، والموظ (نوع من الأيل) والرنة (نوع من الأيل)، أما في المناطق ذات المناخ شبه الصحراوي فتوجد حمر الوحش وكذلك الحصان البري المغولي[3].

بالإضافة إلى حيوانات أخرى ذكرها صاحب التاريخ السري، وهي الحيوانات التي كانت يصطادها المغول مثل العضل وهو جرذ الصحراء، وحيوان المرموط[4](الذي هو من القوارض من فصيلة السنجابية).

---

[1] مؤلف مجهول،: التاريخ السري للمغول، ترجمة: أ. د. سهيل زكار، دمشق، 2011، ص ص 155-156.

[2] الدباغ: مرجع سابق ، ص 28.

[3] الغامدي: المغول، ص 33.

[4] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 155.

أما بالنسبة للطيور فيوجد في منغوليا أنواع شتى منها الحجل الذي أكثرها وفرة، والرومي البري، وبعض الطيور المهاجرة كالبط والوز وطيور التّدرج[1]، (الذي يشبه الدجاج في الحجم والشكل).

أما فيما يتعلق بالغطاء النباتي، فهو يختلف باختلاف تضاريس أرض المغول، واختلاف المناخ وتتوفر بكميات هائلة في المناطق الشمالية والشمالية الغربية.

وأهم ما ميز الغطاء النباتي في المنطقة المروج الخضراء التي تمثلها النبتات الألبية، وتعتبر مناطق رعوية خصبة للحياة الحيوانية التي تمثل العمود الفقري لبقاء الفرد المغولي، والتي توجد في مرتفعات السلاسل الجبلية لجبال سيان وخنكاي والطاي، بالإضافة إلى غابات الصنوبر الجبلية وغابات السهوب[2]، ونجد في الأجزاء السفلى منها أشجار الأرز، كما تكثر أشجار الجوز والباتولاء والصفصاف التي تمتد على طول مجاري الأنهار حتى تصل إلى قلب السهوب[3].

كما توجد البراري ذات الأعشاب الكثيفة في الأجزاء الشرقية من منغوليا وتغطي مساحات واسعة من البلاد، مما يجعلها تشكل مراعي جيدة[4]، التي تكثر على محاذاة المناطق الجبلية العالية في اتجاه الجنوب، حيث تنزاح الغابات وتحل محلها منطقة الأعشاب السهبية، مثل نبات الظيان المتعرش ويدعى ياسمين البر، ونبات الليلك، والأفنستين (وهي

[1] الغامدي: المغول، ص ص 33-34.
[2] الغامدي: المغول، ص 32.
[3] غروسيه: مرجع سابق ، ص 1.
[4] الدباغ: مرجع سابق ، ص 30.

عشبة معمرة تستعمل في الطب لتسهيل الهظم والإدرار)، وحشائش النخيل المحبب للمواشي[1].

وفي منطقة نهر تولا العليا في فصل الربيع، نرى تلك البراري الشاسعة، فالأعشاب كثيرة كالصعتر بلونه الخبازي، ونبات الأريغارون ويدعى شيح الجبل، والسوس، كلها تمتزج هنا وهناك مع زهور النجوم البيضاء[2].

رابعاً ـ قبائل المغول:

عاش سكان هذه البلاد على شكل شعوب وقبائل مختلفة ومتمايزة على طول أرجائها وهم أمم لا يحصيهم إلى خالقهم، وكانوا مبددين في دشت القفجاق في حدود ممالك الخطا والصين، "وهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب، وكل طائفة تعد غارتها تقصد جارتها، وتلعن أختها وتنهب تحتها وتأكل أختها"[3]، وكانت كل قبيلة أو اثنين تعيشان منفصلتين لا تتفقان، النزاع والخصام قائم يستعر بينهم، اعتاد خان الختاي أن يطلب ويحصل منهم على ما يريد[4].

يفهم من كلام كل من القرماني والجويني أن القبائل التي كانت تسكن بلاد المغول، عاشوا متفرقين مختلفين في ما بينهم وهذا الاختلاف تمثل في الصراعات والخصومات والحروب التي جرت بينهم، وكثرة الغارات التي تحصل على القبائل الضعيفة، التي في

---

[1] غروسيه: مرجع سابق ، ص 1.

[2] نفسه: ص 190.

[3] القرماني: مصدر سابق، ص 487.

[4] الجويني: مصدر سابق، ص 62.

أغلب الأحيان كانت تحتمي في ظل قبائل أخرى، والتي تشكل في بعض الأحيان تحالفات قبلية، كما أن هذه القبائل في غالبية أمرها كانت خاضعة للصينين الذين يتحكمون في مقدراتهم ويضربون أحدها بالأخرى.

وكان المغول عشائر كثيرة العدد، وكان من الكثرة بحيث أصبح هناك فارق كبير بينهم نظرا لكثرة بطونهم واتساع رقعة أراضيهم[1]، ومن اهم هذه القبائل نذكر:

التتار:

وهم طائفة كبيرة من القبائل أحرزت شهرة واسعة حتى أن العديد من المؤرخين أطلقوا اسم التتار على كافة القبائل المغولية، واشتهر المغول باسمهم الأصلي إضافة على لقب التتار[2].

ولكن الملاحظ أن اسم التتار هو الذي غلب على هذه الأقوام، فأصبحت تعرف به أمام العالم الخارجي آنذاك، بالاضافة إلى أسمائها الخاصة، وانعكس ذلك منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) اسم التتر جميع المصادر المعاصرة صينية كانت أو إسلامية أو روسية أو بلغات أوروبا الغربية[3].

[1] عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجتمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص 48.

[2] حطيط: حروب المغول دراسة في الاستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيز خان حتى عهد تيمور لنك، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص 15.

[3] القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970، ص 6.

ونجد تفسيرات مختلفة لهذا الاسم، فهناك من يرى انه مشتق من (تات) بمعنى الجبل، و(آر) بمعنى الساكن، أي ساكن الجبال، ومن هنا يبدو من خلال كلمة (آر) التركية أن اسم التتار يعود بجذوره إلى اللغة التركية[1].

وكان التتار يقطنون المنطة التي تُحد شمالا بنهري أرخون وسيلينجا ومملكة القرغيز، وشرقا بإقليم الخطا، وغربا بممالك الأويغور، وجنوبا بإقليم التبت، وبصفة عامة يعيشون في الجنوب الغربي من بحيرة بايكال حتى نهر كيرولين، وهم من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا في أقاليم آسيا الشمالية[2].

كانت قبيلة التتر تتمتع بالمركز القيادي بين العشائر أو القبائل المغولية عامة في القرن الثاني عشر ميلادي/ السادس الهجري، ونظرا لما كانوا يتمتعون به من مكانة بارزة وعظمة مرموقة فإن عشائر أخرى قد تبنى أعضاؤها اسم التتر، أصبحوا جميعا يُعرفون به، ويعني هذا أن تلك العشائر كانت تعتبر أن عظمتها ومكانتها تأتي من أمر واحد وهو أنهم عدُّوا أنفسهم بأنهم يعودون في أصلهم إلى التتر[3].

وعن قوة وشوكة هؤلاء التتار يشير غروسيه أن ملك الذهب الذي هو ملك بكين قد تحالف معهم لإضعاف قوة المغول في مملكتهم الأولى، إذ يقول: "فلنتذكر أن سقوط العائلة

---

[1] أبرار كريم الله: من هم التتار، ترجمة وتعليق: د. رشيدة رحيم الصبروتي: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 25.

[2] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 16.

[3] فلاديميرستوف: حياة جنكيز خان الادارية والسياسية والعسكرية، ترجمة: الغامدي، ط1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1983، ص ص 21-22.

الملكية المغولية الأولى قد نجم عن تحالف التتار الذين شابهوا المغول مع ملك بكين من عائلة كين، لكن التتار الذين استخدمهم بلاط بكين لإخضاع أجداد جنكيز خان والقضاء عليهم، لم يلبثوا أن أصبحوا شوكة في جنب حماتهم ملوك الذهب"[1].

حيث أنهم كانوا في أغلب الأوقات مطيعين وخاضعين لهم، ولكن من آن لآخر، كانوا يثورون عليهم، فيسرع هؤلاء لمقاومتهم وإجبارهم على الخضوع مرة أخرى[2]، وعندها بادرت بكين في إحدى حركاتها البهلوانية التي اعتادت أن تتبعها في التعامل مع الشعوب البدوية المتنقلة حولها إلى التحالف مع جنكيز خان والكرايت ضد هؤلاء التتار[3].

وكان التتار قسمين، الأول يتألف من تسع قبائل والثاني من ثلاثين قبيلة[4]، ويبدو أن الصينين هم الذين عمموا هذه التسمية على جميع هذه القبائل قبل ظهور جنكيز خان[5].

ينتمي التتار إلى نفس العرق المغولي الجنكيزخاني، وكانوا منقسمين إلى قبائل متعددة تتجول قرب نهر الكيرولين الأسفل وبحيرتي كولين وبويور، وفوق سلسلة جنجان، وهي الجبال الممتدة بين منغوليا ومنشوريا[6].

وكانوا أقوياء وجريئين، إذ كان بينهم الوئام وليس الخصام، إضافة إلى عددهم الكبير، لم يكن باستطاعة القبائل الأخرى كالصينين وغيرهم الصمود أمامهم، وتميزوا بين

---

[1] غروسيه: مرجع سابق ، ص 119.

[2] الصياد: مرجع سابق ، ص 26.

[3] غروسيه: مرجع سابق ، ص 119.

[4] العريني: مرجع سابق، ص 33.

[5] الدباغ: مرجع سابق ، ص 37.

[6] غروسيه: مرجع سابق ، 144.

قبائل التتار المغولية منذ القدم، وكانوا دائما مسيطرين وحاكمين للسواد الأعظم من القبائل المغولية وأقاليمها ومحتلين من بينهم مركز الصدارة بعزتهم وقوتهم[1].

وقد صنف الصينيون في تاريخهم قبائل تتار إلى ثلاث: الصنف الأول سموهم بالتتار البيض، يعيشون على الجنوب الشرقي من منغوليا، أما الصنف الثاني فهم التتار السود ويعيشون إلى الشمال الأولى، والتتار المتوحشون وسكنوا الغابات والأدغال في شمال البلاد[2].

الكيرايت:

كانت هذه القبيلة كذلك من اكثر القبائل قوة وشوكة لتفوقها في العدة والعتاد والعدد[3]، بزعامة توأوريل (طغريل) الأونغ خان* الذي كان يعيش في الغابة السوداء بجانب نهر تولا[4]، وتقع مواطن هذه القبيلة شمال منطقة التقاء مياه نهري أورخون وسيلينكا أي المناطق السفلية

[1] كيتشانوف: حياة تيموتشجين (جنكيز خان)، ترجمة: طلحة الطيب، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2005، ص ص 41-42.

[2] الغامدي: المغول، ص 81.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص 74.

* هو لقب أطلقه ألتان خان الكيتات (الخيطاي) على زعيم الكيرايت طغريل الذي تحالف مع جنكيز خان وقضوا على قبائل التتار، فأعطاه لقب أونغ الذي يعني ملك أو أمير، ومن هنا تأصل اسم أونغ خان، ينظر: مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 204.

[4] غروسيه: مرجع سابق ، ص 172.

لنهر السيلينكا المذكور، وإلى الجنوب من بحيرة بيكال[1]، في الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي وجنوب بحيرة بايكال وحتى سور الصين[2].

وعن ديانتهم يخبرنا ابن العبري أنهم كانوا يدينون بالنصرانية[3]، حيث منذ أوائل القرن الحادي عشر للميلاد تحول ملكهم ومعظم رعاياه إلى الديانة المسيحية على المذهب النسطوري[4]، في عهد ملكهم قورجا قوس (هذا الاسم الذي يقابل سيريا كوين حيث كان مسيحيا نسطوريا) بوبيروق خان[5].

وحوالي سنة565 هجري الموافق لـ 1170 ميلادي مات كورياكوس خان الكرايت ابن ميرجوزخان، وصادف ابنه طغريل بعض العقبات في الاستحواذ على ملكه، إزاء معارضته من طرف إخوته وأعمامه، على أنه ظفر في حروبه عليهم بمساعدة يسوكاي[6]، ومنذ ذلك الحين صاروا يدينون بالنسطورية واتخذ زعماعهم في القرن الثاني عشر للميلاد أسماء مسيحية وكان طغريل من أشهر ملوكهم[7].

---

[1] الغامدي: المغول، ص 80.

[2] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 48.

[3] ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تصحيح: الأب أنطون الصالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983، ص 394.

[4] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 14.

[5] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 225.

[6] رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ق2، المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي، ترجمة: الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1997، ص 411.

[7] العريني: مرجع سابق ، ص 34.

وفي عهد جنكيز خان كان طغريل خان ملكا على قبائل الكرايت، وفي بادئ الأمر تربطهما مودة وصداقة، وكان جنكيز خان يقتدي بأبيه يسوكاي بهادر الذي كانت علاقته بطغريل على خير ما يرام[1].

وعن هذه العلاقة يحدثنا صاحب التاريخ السري أنهما كان يعيشان مع بعضهما في وئام ممتاز، حين أعلن ييسوغي خان والد جنكيز خان وطغريل خان أنهما حليفان بالقسم، وأن والد جنكيز خان قدم لحليفه مساعدات كثيرة من أجل قيادة القبيلة، وخاصة ضد أخيه الأصغر إيركي قارا الذي ثار ضده وأرغمه على الفرار، فتدخل ييسوغي بجيشه على مرتين لنجدة حليفه وتثبيته على رأس القبيلة[2]، وكانت هذه العلاقة التي جمعت بين ييسوغي وطغريل المبنية على الأخوة، اعتبرها جنكيز خان فيما بعد علاقة أبوة، "وأعلنا عن نفسيهما أبا وابنا، وكان السبب وراء ذلك هو أن الأونغ خان (طغريل) كان صديقا بالميثاق مع ييسوغي، وبفضل هذه الحقيقة قال جنكيز خان بأن الأونغ خان (طغريل) هو بمثابة الأب بالنسبة له"[3].

فكان كل من أونك خان ويسوكي يعتبر الآخر كصديق حميم، وعلى أنهما أخوان بالتبني، لهذا السبب نجد أن تيموجين عزم أن يذهب شخصيا إلى أونك خان يُذكّره بنفسه

[1] الصياد: مرجع سابق ، ص 28.

[2] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 225. غروسيه: مرجع سابق، ص ص 117-118.

[3] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 236.

آملا من وراء ذلك أن يُحسِّن من مركزه الاجتماعي ويحظى بالحماية من الغير، وذلك أثناء الفترة العصيبة التي مر بها[1].

واستطاع طغريل خان أن يهزم التتار، لإرضاء بلاط أسرة كين في الصين الشمالية، وبذا صار أقوى ملك في منغوليا، ومنحه امبراطور كين –كما سبق ذكره– تقديرا له على أعماله اللقب الصيني وانج، فاشتهر في التاريخ بلقبه الصيني والتركي وانج خان وبعدما اضطرت الحكومة الصينية في نهاية القرن الثاني عشر للميلاد إلى تحريض الكرايت والمغول ضد التتار[2].

كانت قبيلة الكرايت أمة رعوية تتكلم اللهجة المغولية، وكانوا على علاقة متبادلة مع شعب التنكوت بشكل مستمر، كما كانوا أيضا في علاقات مع شعوب التركستان، كما كان النسطوريون كثيري العدد بينهم، كل هذا جعلهم من الناحية الحضارية والثقافية يُعتبرون أرقى من قبائل التتار، وأغلب القبائل المغولية الأخرى[3].

أراد جنكيز خان أن يستمر ويستغل العلاقات الطيبة التي تربطه بحاكم الكرايت استغلالا مقنعا، حيث تبنى خطة ليؤكد فيها مكانته الخاصة به، فكانت تلك الخطة هي رغبته في أن يصبح نسيبا لذلك الخان القوي، وهناك تقدم جنكيز خان بطلب يد "تشور بيكي"

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص 48.

[2] العريني: مرجع سابق ، ص 34.

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص 47.

ابنة خان الكرايت لابنه الأكبر جوتشي (جوجي)[1]، ثم الرفض الذي قوبل به من طرف الخان الكرايتي.

ونستشف من خلال ما جاء به صاحب التاريخ السري من علاقات جنكيز خان مع ملك الكرايت أن هذه المبادرة التي تقدم بها جنكيز خان كانت أحد الأسباب التي أنهت هذه العلاقة التي وصفت بالطيبة، بالإضافة إلى هذا هناك أسباب أخرى جعلت العلاقة بينهما تسوء، منها أنه في سنة598هـ/ 1202م، عندما زحف جنكيز خان ضد التتار زحف الأونغ خان ضد الماركيت وغنم منهم، لم يعط من الغنائم والأسلاب شيئا لحليفه جنكيز خان، ثم هناك سبب أخر والذي تمثل في غدر ملك الكرايت لجنكيز خان وانفصاله عنه في الوقت الذي اتفقا فيه على مقاتلة "كوكساو وسابراق" زعيم احدى العشائر الثمانية، لكن الليل داهمهما فقرارا تأجيل أمر القتال إلى الصباح، إلا أن الأونغ خان انسحب في تلك الليلة تاركا نيرانه مشتعلة، وفي نفس الوقت تاركا جنكيز خان يواجه مصيره لوحده[2].

النيمان:

وهم من الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولي[3]، والذين يحكمون منغوليا الغربية في المنطقة الممتدة من سلسلة جبال خنقاي إلى جنغاريا، مركزها الطاي المغولي وإيرتيش العلوي[4]، في غرب الكرايت أي إلى الغرب من أعالي نهر أرخون ونهر نارون، ومع أن

[1] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 232. فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص ص 79-80.
[2] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص ص 232-237.
[3] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 14.
[4] غروسيه: مرجع سابق، ص 186.

اسمهم يبدو أنه مغوليا، إذ أن لفظة نايمان معناها ثمانية، فإن ألقابهم كانت تركية، ولذا يصح اعتبارهم من الترك المغول[1].

تعتبر قبائل النيمان من أكبر المجتمعات القبلية في منغوليا[2] التي جابهت المغول في ظهورهم وبروزهم كقوة عالمية، كونوا دولة من أكبر الدول في وسط أسيا ذات سلطان واسع ويحكمها ملك واحد، إلا أنه في الوقت الذي ظهر فيه جنكيز خان نجدها مقسمة إلى قسمين شرقي وغربي، ويحكمهما أخوين كل واحد مستقل عن الثاني، فكان بوييروق خان يحكم المملكة الغربية، وبيبوقا تايانك كان يحكم المملكة الشرقية[3].

كان النيمانيون أكثر حضارة وتقدما لأنهم تأثروا جدا بالحضارة الأويغورية، ومن المحتمل جدا أنهم أول من تبنى الأحرف الهجائية الأويغورية ونقلوها إلى اللهجة المغولية، كما كانوا على اتصالات وعلاقات تربطهم بأقاليم التركستان، أي لهم احتكاك بالمسلمين الذين يمتهنون التجارة، مما أدى إلى التأثير الثقافي من خلال ممارسات ومعاملات هؤلاء إلى كافة الشعب النيماني[4].

وبسبب اقتراب هذه القبائل من قبائل الأوغور التركية في الجنوب لهذا فقد امتصت قبائل النيمان في مرحلة مبكرة عناصر متعددة من ثقافة أسيا الوسطى كالديانة المسيحية

---

[1] العريني: مرجع سابق ، ص 35.

[2] الغامدي: المغول، ص 80.

[3] الغامدي: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والإتهام، ط2، دار ابن حذيفة، الرياض، 2004، ص ص 72-73.

[4] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص ص 91-92.

حسب الطقوس النسطورية[1]، وقد كانوا بدوا رحلا يقيم بعظهم في مناطق الجبال الوعرة، ويقيم البعض الآخر في الصحاري يعيشون بعادات وتقاليد تشبه عادات المغول، لهم ملوك مشهورين وأقوياء، ولهم جيوش عديدة[2]، ولهم نفوذ قوي، يطلق عليهم لقب "كوجلوك خان" أو "بوييروق خان"، ومعنى كوجلوك الملك المعظم والقوي، أما بوييروق فمعناه معطي الأمر، ومع ذلك فقد كان لكل ملك نيماني اسم أصلي آخر يختاره له أبواه[3].

وعرف النيمان بشجاعتهم وقوة بأسهم وبأعدادهم الكبيرة، وأنهم لا يخرجون عن طوع ملكهم[4]، أما عن ديانتهم فكانوا يدينون الشامانية، حالهم حال بقية شعوب الإستبس[5]، وكان بعظهم قد تحول إلى المذهب النسطوري[6]، وقد اعتنقوا المسيحية كما فعلت قبيلة الكرائيت (الكرايت)، إلى أنهم لم يكونوا على وفاق مع تلك القبيلة وكان بينهم صراع مستمر[7].

المركيت:

وهم من المغول الذين سكنوا المنطقة الواقعة شمالي بلاد الكرايت على مجرى نهر سلنجا وجنوبي بحيرة بايكال[8].

---

[1] شبولر: العالم الإسلامي، ص 20.

[2] الصياد: مرجع سابق ، ص 29.

[3] عبد السلام فهمي: الدولة المغولية، ص 14.

[4] الدباغ: مرجع سابق ، ص 41.

[5] العريني: مرجع سابق ، ص 35.

[6] غروسيه: مرجع سابق ص 187.

[7] إقبال: تاريخ المغول، ص 48. كيتشانوف: مرجع سابق، ص 45.

[8] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 15. أحمد حطيط: مرجع سابق ، ص 15.

واتصلت منازلهم بمنازل مغول جنكيز خان، وعاشوا إلى حد كبير على الصيد في الغابات إلى درجة التداخل في المساكن[1]، والمعروف أن والده جنكيز خان وزوجته تنتميان إلى المركيت، والراجح ان المركيت من المغول[2].

ويطلق عليهم أيضاً اسم مكريت ويُعدُّون أصلا من جنس المغول، ولكنهم قاموا بعدة حروب ضد جنكيز خان وأونك خان النيمان، كما عرفوا بميلهم إلى الشغف وإثارة الفتن[3]، ولهذا شن عليهم جنكيز خان حربا شعواء استعمل فيها أقسى ما عرف عن المغول من قسوة وشدة، وأصدر أمره بالقضاء عليهم جميعا[4].

كانت مركيت من أقوى القبائل المغولية، قبيلة كثيرة العدد، لها جيش قوي وعارم تتكون من ثمانية عشر قبيلة، كثيرة الحروب[5]، وذلك بتفوقهم واكتسابهم جيشا قويا ذو بأس شديد في الحروب[6].

فمن حيث القوة والمنعة وكثرة الرجال يعتبرون من أكثر القبائل المغولية شهرة بكثرة عددها ووفرة عدتها وعتادها، وأنها كثيرة الأحلاف الذين تستطيع أن تستند إليهم أوقات الحروب، وقد كانت رئاسة قبائل الماركيت في يد شخص يدعى "توقتابيكي"[7].

---

[1] العريني: مرجع سابق ، ص 35. الدباغ: مرجع سابق ، ص42.

[2] العريني: مرجع سابق ، ص 35.

[3] الصياد: مرجع سابق ، ص ص 28-29.

[4] عبد السلام مرجع سابق المغولية، ص 15.

[5] كيتشانوف: مرجع سابق ، ص ص 42-43.

[6] الصياد: مرجع سابق ، ص 28.

[7] الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 65.

الأويرات:

كانت هذه القبائل تقيم غربي بحيرة بايكال على مقربة نهر ينسي أو الأنهار الثمانية[1]، ما بين نهر أونون وبحيرة بايكال[2]، وهم قبيلة بدائية جدا[3]، تعيش على حياة الصيادين في الغابات[4]، وتعني "أوي أرات" رجال الغابات، وهم على أربع قبائل أساسية[5]، ارتبط تواجدهم في الغالب الأعم بجوار مناطق الرعي، حيث احترافهم حرفة الرعي، وإمكانية استغلال مراعيهم بسهولة ويسر[6].

وهم من أصل مغولي إلا أن لغتهم تفترق قليلا عن لغة القبائل المغولية الأخرى[7]، وكانوا كثيري العدد، تشعبوا إلى عدة شعب، إلا أنهم كانوا يأتمرون بأمر ملك واحد، ولما جاء جنكيز خان خالفوه بعض الشيء في البداية، وناصبوه العداء إلا أنهم سرعان ما قدموا له فروض الطاعة والخضوع وقد صاهرهم فيما بعد[8].

قبيلة قيات:

---

[1] أحمد حطيط: مرجع سابق ، ص 14.

[2] عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (605هـ/ 820م- 1343هـ/1925م)، ترجمة وتعليق: د. محمود علاء الدين منصور، راجعه: أ. د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص 346.

[3] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ط1، ترجمة: يوسف شلب الشام، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989، ص 11.

[4] الغامدي: المغول، ص 80.

[5] كيتشانوف: مرجع سابق ، ص 45.

[6] إبراهيم مرجونة: مرجع سابق ، ص 56.

[7] الصياد: مرجع سابق ، ص 29.

[8] عبد السلام فهمي: مرجع سابق، ص 13-14.

قبيلة جنكيزخان المغولية الوثنية التي كانت تقيم في الشمال الشرقي لمنغوليا الحالية، مابين نهري أونون وكيرولين[1]، على شواطئ الشعب العليا لآموروجبال قراقورم(يابلونوي الحالية)[2].

ويشير العزاوي إلى أصل هذه القبيلة وأن أكبر أولاد قابول خان الجد الثالث لجنكيزخان له ستة أولاد اشتهروا بالشجاعة والبطولة، وصاروا يسمون قييات الذي معناه السيول المنحدرة من الجبال، وأن أكبر هؤلاء اسمه نارتا خان ولد أشهل العيون، يقال له في لغتهم "بورجاغين"[3]، المعروفة بـ "بورجُقين" الطائفة التي نشأ فيها جنكيزخان[4]، وهي تُفضل على القبائل الأخرى من حيث الأصالة والعظمة[5]، ورغم قلة أفرادها تبوأت هذه المكانة المرموقة بين القبائل والطوائف المغولية[6]

الأويغور:

اعتبرت قبائل الأويغور مزيجا بين الأتراك والمغول لذا نجدهم في الكثير من المصادر التاريخية يظهرون أتراكا في بعض الأحيان ومغولا في أحيانا أخرى، إلا أن الغالب أنهم أتراكا، أو مغولا تشبعوا بالثقافة التركية.

---

[1] أحمد حطيط: مرجع سابق ، ص14.

[2] عباس إقبال: تاريخ إيران، ص346.

[3] العزاوي مرجع سابق ، ص65.

[4] الصياد: مرجع سابق، ص30.

[5] الجويني: مصدر سابق، ص74.

[6] فهمي عبد السلام: مرجع سابق، ص13.

ولعل أكثر من ذكرهم بصورتهم التركية نجد عطا ملك الجويني، الذي فصل كثيرا في ذكر أحوالهم حيث يقول: "كان أتراك الأويغور يسمون أميرهم "أيدي قوت"[1].

كانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال شرق التركستان الحالية[2]، وشمال بحيرة "لب نور" ونهر تاريم، أي مدن تورفان وبيش باليغ وبرقول وقره شهر[3].

وتذكر الروايات التاريخية أن أغوز أبا الترك كان على التوحيد عكس أبيه وأعمامه الذين نازعوه في العقيدة وحاولوا القضاء عليه، فانظم إليه بعض أقاربه وأيدوه، وصاروا يساندونه فأطلق عليهم اسم "إيغور" وهي كلمة تركية تأتي بمعنى الارتباط والتعاون فغلب عليهم هذا الاسم[4].

كان الأويغور يقيمون في منغوليا إلى سنة225هـ/840م، حتى تعرضوا لغزو قبائل القرقيز التركية[5]، فاقاموا مملكتين الأولى في إقليم كانصوا والأخرى في بيش باليغ، تعرضت الأولى لغزو التانغوت سنة419هـ/1028م، بينما بقيت الثانية قائمة إلى زمن خضوعها للمغول[6].

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 81.

[2] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ،ص 18. حطيط: مرجع سابق ، ص 16.

[3] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ص48-48.

[4] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 18.

[5] تاريخ الحضارات العام، ج3، (القرون الوسطى)، ترجمة: يوسف أسعد داغر وفريدم. داغر، منشورات عويدات، بيروت، 1965م، ص356. الصياد: مرجع سابق، ص 30.

[6] العريني: المغول، ص 30.

وعبد الأويغور الشمس والبعض الأخر كانوا نصارى، وعلى وجه العموم فإن كل دين وجد له أتباعا بين الأويغور في ما عدا اليهودية، ولم يكن هناك أدنى عداء ديني بين البوذيين والنصارى من الأويغور، وأيّاً ما كان الأمر فإن الشعور القومي بينهم كان أقوى من الشعور الديني[1].

كان الشعب الأويغوري يدين بالمسيحية والبوذية والمانوية، ولم يعرف الإسلام طريقه إليهم كذلك، ومما عزز هذه الديانات بين الأويغور هو نفوذ الحضارات المختلفة إليهم وذلك بحكم موقعهم الاستراتيجي الذي كان معبرا هاما لعامة شعوب آسيا المتحضرة، فقد أصبحوا بمثابة حلقة وصل بين الفرس والصينيين والهنود، بعدما تعرفوا على منجزات الشعوب ذات الحضارة وعلى مختلف ديانات عصرهم كالبوذية والمسيحية والزرادشتية والمانوية[2]، وبذلك كانوا بوجه عام أكثر قبائل الأتراك والمغول حضارة[3].

وبعد بروز وارتقاء الأويغور اتخذ رؤسائهم لقبا متواضعا بالنسبة لما يحمله رؤساء القرقيز وهو لقب "ألتابير Eltebir"[4]، حيث كانوا يألفون حلفا من تسعة قبائل[5].

وقبيل خضوع الأويغور لسلطة جنكيز خان، كانوا خاضعين لسلطة القراخطاي الذين استولوا على بلاد ما وراء النهر وتركستان، وفي عهد أميرهم "بارجوق" الذي كان يلقب "أيدي

---

[1] بارتولد: مرجع سابق ، ص ص 554-557.

[2] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ص 59-60.

[3] عباس إقبال: تاريخ ايران: ص 347.

[4] بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996، ص 50.

[5] العريني: مرجع سابق، ص 29.

قوت" ويعني سيد الدولة، كان الأويغور يدفعون الجزية لملوك القراخطاي الذي سلك ممثلوهم عند الأويغور سبيل الظلم والاستهزاء بأيدي قوت وأمرائه، مما سبب الكثير من المشاكل والتنافر بينهم.

وفي ذلك يشير الجويني إلى هذه المعاملة التي سببها ممثلوا ملك القراخطاي على شعب الأويغور ونتائج ذلك عليهم، تزامنا مع ذيوع وشيوع انتصارات جنكيز خان على الخطا، فيقول الجويني: "لما استولى قراختاي على بلاد ما وراء النهر وتركستان دخل بارجوق في طاعته وقبل دفع الجزية له، وسلكوا سبيل الظلم والاستهزاء بأيدي قوت حتى نفر الأمراء والرعية، ولما استولى جنكيز خان على بلاد الختاي وذاع صيته، أرسل أيدي قوت إليه معلنا الانشقاق والعصيان على القراختاي، ومذعنا ومستسلما لجنكيز خان"[1].

وكان الأويغور رغم أُفول نجمهم السياسي كدولة، يلعبون كأفراد دورا ثقافيا كبيرا وسياسيا بارعا عند دول الترك والمغول، وهم الذين عهد إليهم جنكيز خان تأديب أولاده كما قاموا على ديوانه وديوان أبنائه من بعده، بل وصل نفوذهم أن أصبحوا عمالا للمغول في أغلب البلاد التي فتحوها[2].

خامساً ـ محطات في فترة شباب تيموجين (جنكيز خان):

للحديث عن هذه الشخصية التي تميزت بالصفات القوية والغريبة، تجمع بين الحقيقة والأسطورة، إذ اجتمعت فيه صفات البشري والخارق، لدرجة أنه وصف بأنه ابن الشمس بين

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 81.

[2] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 19.

قومه، يمكننا في هذا الصدد أن نحاول إبراز هذه الشخصية حسب روايات بعض المؤرخين، وخاصة ماجاء به صاحب التاريخ السري، الذي يعتبر المصدر الوحيد الذي صور لنا حياة هذا الشاب منذ ولادته وأثناء طفولته وشبابه، وكل أعماله الجليلة التي قام بها في سبيل تأسيس أكبر امبراطورية عرفها التاريخ.

1 ـ ولادته:

ولد ابن مع اخوة ثلاثة للخان المغولي ييسوكاي بهادور الذي كان من بين رجال المغول البارزين الذين سعوا إلى توحيد المغول.

اختلف المؤرخون في تحديد اسمه وتاريخ مولده، ولا يسعنا المجال إلى ذكر هذه الاختلافات الكثيرة لكننا سنحاول تتبع الراجح منها، أما اسمه فجاء على نحو تمرجين[1] وتمرجي[2] وتموجين[3]، يذكر صاحب التاريخ السري سبب تسميته بهذا الاسم على النحو الآتي: "وأثناء تلك المعارك مع التتار أسر ييسوغي والده اثنين منهم يدعى الأول "تيموجين"

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 74. اليماني: غربال الزمان في وفيات الأعيان، تصحيح وتعليق: محمد ناجي زعبي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ت.ن.، ص 506. اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4، ط1، منشورات محمد علي بيصنون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ن.، ص 46.

[2] العيني: السيف المهند، ص 179. ابن واصل: مصدر سابق، ص 36.

[3] ابن العبري: مصدر سابق ، ص 394. مؤلف مجهول: مصدر سابق ،ص 239.

والثاني قوري، وفي تلك الأثناء كانت أوالون زوجة ييسوغي تحمل طفلا، وعلى نهر الأونان حيث كانت تقيم وضعت تيموجين، وقد أطلق عليه اسم تيموجين لأنه كان قد ولد في الوقت الذي قبض والده على تيموجين وأسره"[1]، وسماه باسم هذا الرجل التتاري الأسير.

وحسبما جرى عليه العرف التركي ـ المغولي القديم عند تسمية المولود الجديد، فقد كانوا يسمونه باسم يرتبط ببعض الظروف الواضحة المعالم، التي أصبحت ذات علاقة مرتبطة بالزمن الذي ولد فيه المولود، لهذا نجد أن يسوكاي يسمي ابنه باسم ذلك الأسير التتاري تيموجين[2].

وأما أصل معنى هذا الاسم فأفضل تفسير له "الحداد"، وهي مأخوذة من الكلمة التركية المغولية "تيمور" أي "الحديد"، وهكذا نرى أن الحظ الذي جعل من جنكيز خان قاهر العالم في المستقبل قد حدد حتى بالاسم[3].

ويضيف العريني في ذلك: "ولما فحص المولود، لُحظ أن بداخل قبضة يده قطعة من الدم المتجمد، كأنها حجر أحمر، فتراءى للزعيم المغولي (يسوكاي) الذي يؤمن بالأساطير أن هذا الحدث يشير إلى ما أحرزه من انتصار على زعيم التتار، ولذا أطلق على ابنه أسم هذا الزعيم تخليدا لانتصاره"[4].

---

[1] نفسه، ص ص 138-139.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص 27.

[3] غروسية: مرجع سابق ، ص 49.

[4] العريني: مرجع سابق ، ص ص 43-44.

وتذكر الكثير من الروايات أنه في وقت ولادته سار أبوه لمحاربة التتار، وقد واتاه الحظ فانتصر عليهم، وقضى على ملكهم تيموجين، واستولى على أمواله وأملاكه، ولما عاد علم بنبأ ولادة ابنه فتفاءل بتلك المناسبة وسمى ابنه تيموجين[1].

وعن تاريخ مولده، يذكر المؤرخون أنه ولد في قاقاييل (سنة الخنزير) الموافق لذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة[2]، على حسب رواية البناكتي، في العاشر من ذي القعدة على ما جاء به الرمزي[3].

ولد تيموجين في منغوليا عام 549هـ/1155م في إقليم "دولون بولدق" الواقع على الضفة اليمنى لنهر أونون[4]، وأبوه يدعى يسوكاي وكان رئيسا لقبيلة قيات، وأمه تدعى هوئلون، وله ثلاثة إخوة وهم قسار، ختشيئون، تيموج، وأخت تدعى تيمولون[5].

أما والده يسوكاي الذي كان رئيس قبيلة قيات وخانها والتي هي من قبائل المغول، كان رجلا فطنا أدخل المغول المجاورين تحت سلطته، وأصاب قدرا من القوة والأهمية إلى حد أن تخلص من التبعية، ودفع الجزية للصينين واستقل عنهم[6]، وكان سليل عائلة نبيلة

---

[1] الصياد: مرجع سابق ، ص 41.

[2] البناكتي: روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، المشهور بتاريخ البناكتي، ط1، تحقيق: محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2007، ص 400.

[3] الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، ج1، المطبعة الكريمية والحسينية، أورنبورغ، 1908، ص 345.

[4] فهمي عبد السلام: مرجع سابق ، ص 29.

[5] مرجونة إبراهيم: مرجع سابق ، ص 64.

[6] عباس إقبال: تاريخ إيران، ص 348.

قديمة من المغول، ولكن المصادر تختلف في تحديد أهميته وسلطته، فالكثيرون يصفونه بكونه كان قائد فئة من عشرة جنود، بينما تصفه مصادر أخرى بأنه كان أميرا مستقلا قضى حياته في قتال مستمر دفاعا عن أملاكه[1].

مرت على حياة طفولة وشباب تيموجين أحداث كثيرة اتسمت بالعنف والمغامرة أحيانا وبالأسطورة والخيال أحيانا أخرى، فصاحب التاريخ السري الذي يروي لنا حياة تيموجين منذ نعومة أظافره، نجدها غلب عليها الخيال في كثير من الأحيان، ومن الأحداث التي عاشها في طفولته ابتداءا من وفاة أبيه ثم انقطاع القبائل عن عشيرته وعيشهم في شظف وتشريد، ثم حادثة قتله لأخيه من أبيه إلى محنه التي تمثلت في اعتقاله من طرف أقربائه المنفصلين عنه، وبعدها سرقة خيول العائلة ودوره في استرجاعها إلى غير ذلك من الأحداث.

2 ـ يسوكاي يخطب لابنه تيموجين:

كان الزواج المبكر إحدى العادات السائدة في منغوليا، وعليه فعندما كان تيموجين في التاسعة من العمر بدأ يسوكاي يفتش معه عن خطيبته[2]، فقرر الاستعداد للذهاب إلى عند شعب الأولقونوأوت، أقرباء الأم أوإلون[3]، يبدوا أن الوالد اختار أخوال أولاده ليكونوا أنسباءه، ويربط علاقة مصاهرة معهم، وبالفعل انطلق قاصدا طريقه إليهم إلا أن الأمر لم يتم، إذ في

[1] بيرتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص 22.

[2] غروسية: مرجع سابق، ص 50.

[3] مؤلف مجهول: مصدرسابق، ص 139.

طريقه تغير رأيه ووجهته وقدر لتموجين أن تكون زوجته المستقبلية من وجهة أخرى غير التي أرادها والده.

ففي طريقهما إلى الأولقونوأوت التقيا برجل من زعماء قبيلة الأونغجيرات اسمه داي سيخين، فاستفسر هذا عن وجهتهما ومقصدهما، ولما أعلمه يسوكاي عن ذلك وأن نيته البحث عن خطيبة لابنه تيموجين، وهنا عرض عليه هذا الزعيم ابنته[1].

ويبدو من هذه الرواية أن والد تيموجين اتخذ قرارا سريعا في الموافقة على هذا العرض، وأراد أن تكون له علاقة مصاهرة مع قبيلة هي من القبائل البعيدة والمختلفة، متَّبعا بذلك عادة من عادات المغول ألا وهي الاغتراب في الزواج من جهة، ومحدثا نوعا من التقارب المبني على أواصر المصاهرة السياسية بين قيات والأونغيرات من جهة أخرى.

لقد كان هذا القرار الذي اتخذه يسوكاي، والذي يدل على رغبة شيخ قيات الصادقة بأن يرتبط مع أسرة داي ستِشن برباط المصاهرة طبقا وتأكيدا للقوانين والأعراف السائدة في منغوليا[2].

وفي صباح اليوم التالي قام يسوكاي بخطبتها رسميا من أبيها لتكون زوجة لابنه، وعلى كل حال كانت "بورتي" صغيرة السن، مع أن المغول كانوا يتزوجون في سن مبكرة،

[1] مؤلف مجهول: مصدرسابق، ص ص 139-141.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص 30.

ووافق والدها على إعطاء ابنته "بورتي" لابن يسوكاي تيموجين، وهذه الفتاة كانت في حوالي العاشرة من العمر، أي أنها أكبر منه بسنة[1].

ولعل ما يفهم من هذه المحطة والخطوة التي قام بها والده، أنه كان يرمي إلى تدريب ابنه الأكبر على تحمل المسؤولية العائلية التي قد تساعده في اكتساب مسؤوليات أكبر، وبخاصة أن تيموجين كان الوريث الشرعي له، علاوة على خلافته في رئاسة حلف مغولي كان قد نظمه والده.

3 ـ وفاة الوالد وتشتت القبيلة:

كان والد تيموجين يسوكاي بهادور رئيس وخان قبيلة "قيات" إحدى قبائل المغول الشهيرة، اشتهر بين قومه بعداوته مع قبائل التتار التي انتصر عليها رغم قوتها مما أكسبه التفاف العديد من زعماء القبائل المغولية حول رايته[2]، وعلى الرغم من أنه لم يكن إلا رئيس أسرة بورجقين من عشيرة قيات، فقد اشتهر يسوكاي بأنه كان محاربا شجاعا وقائدا بارعا.

تجمع الكثير من المصادر التاريخية أنه عندما توفي والد تيموجين كان سن هذا الأخير لا يتجاوز ثلاثة عشر سنة، وبذلك يكون يسوكاي والد تيموجين قد توفي حوالي 562هـ/1167م أو563هـ/1168م.

[1] غروسيه: مرجع سابق ، ص 52.

[2] عبد السلام فهمي: مرجع سابق ، ص 29.

إلا أننا نجد صاحب التاريخ السري يربط وفاة يسوكاي بالمناسبة التي تلت خطبة ابنه تيموجين الذي كان عمره تسع سنوات، فهو ذكر أن يسوكاي أثناء عودته بعد الخطوبة التقى ببعض التتار يقيمون وليمة فدسوا له السم في الطعام، ليفارق الحياة بعد ثلاثة أيام حين وصل إلى بيوته[1].

مع أن صاحب التاريخ لم يذكر سنة وفاة والد تيموجين، إلا أننا نستنتج أن هذا حدث سنة559هـ/1164م أو560هـ/1165م إذا قارنا عمر الولد آنذاك الذي كان في التاسعة من عمره، وأن يسوكاي توفي مباشرة بعد ثلاثة أيام حين عاد من مناسبة الخطوبة.

وقد ذكر كل من فلاديميرستوف وشبولر والغامدي أن وفاة يسوكاي كان سنة560هـ/ 1165م، في وقت كان الابن تيموجين يعيش وفق ما تقتضيه التقاليد المغولية في كشف من سيكونون أنسباؤه المقبلين، وأجبرته قسوة حظه على أن يفكر بسرعة بنفسه وأن يحاول التمكين لإرثه[2].

ولم يمض وقت طويل حتى ساءت الأحوال بالنسبة لهويلون وأطفالها، فقد كان يسوكاي قد استعمل نفوذه في جمع العشائر تحت سلطته حول عشيرة الكيات وقبل أبناء عمومته أمراء التايشي أوت زعامته عليهم، والآن وبعد موته بدأوا باسترداد سلطتهم، ولم يبقى

[1] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 142.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 31. شبولر: المغول في التاريخ، ص 13. الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 59.

لأسرة يسوكاي إلا أن تواجه هذا الموقف الجديد وتقلُّص قوتها بعد رحيل زعيمها الذي خلف طفلا في التاسعة من عمره ليخلفه[1].

وكان يؤدي الخراج إلى يسوكاي حوالي 30 أو 40 ألف بيت، ولما مات وخلفه ابنه وكان صغيرا صار الناس لا يخشون بطشه، ولذا حلا المال بأعينهم وصار يصعب عليهم إعطاؤه، ففروا منه ولم يبايعوه، وذهبوا إلى مواطن بعيدة بقصد التخلص من القيود، وافترقت قبيلة أبيه وتبعثرت أمورها[2]، وكان أن تعرض ابنه تيموجين للمتاعب بعدما شقت فئة من المغول هذه عصا طاعته[3]، وانتزعت المواشي من أرملة يسوكاي وأبنائه القُصَّر الذين آلت حالتهم إلى البؤس والشقاء وقساوة العيش غير المستقرة[4].

وحدث بعد تمرد القبائل التي كانت خاضعة لأبيه وأخذ كل منهم يطلب السيادة لنفسه، ان ساءت أحوال تيموجين المعاشية بصورة بالغة القسوة، ومع ذلك لم يدخل اليأس

[1] غروسيه: مرجع سابق، ص ص 55-56.

[2] العزاوي: مرجع سابق ، ص 74.

[3] عباس إقبال، تاريخ المغول، ص 57.

[4] بروي: مرجع سابق ، ص 360.

قلبه وظل يكافح[1]، بعدما انفض من حوله معظم أقاربه واتباعه، وكان يكابد البؤس مدة ثمانية وعشرين عاما[2].

فبعد انفصال التايجيئوت والأقرباء وانفصالهم عن الأرملة أوإلون مع أولادها الصغار، تحولت منزلة هذه الأسرة من الزعامة إلى أسرة تعيش على الفقر والفاقة، تقتات مما تجمعه الأم الأرملة من التفاح البري الحامض والتوت البري، والثوم والبصل البري[3].

4 ـ قتل تيموجين لأخيه غير الشقيق:

من أغرب المحطات التي عاشها تيموجين في طفولته وشبابه هي حادثة قتله لأخيه غير الشقيق، وحسب المصادر التاريخية أن هويلون أنجبت أربعة أبناء هم تيموجين وقاسار وقاجيون وتيموجي وابنة واحدة سميت تيمولون، كما أنجبت الزوجة الثانية ليوسوكاي "سوجيغيل" ولدين هما بيكتير وبيلغوتي[4]، فنجد هنا أن بيكتير وبلغوتاي هما الأخوان غير الشقيقان لتيموجين.

[1] قداوي: الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيليخانية (656هـ-735هـ/ 1258م-1335م) (دراسة تحليلية عن الإحتلال والمقاومة والجوانب الحضارية)، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص 46. حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والإقتصادية والثقافية، دار الفكر العربي، مصر، 1949، ص 127.

[2] البناكتي: مصدر سابق، ص 400.

[3] مؤلف مجهول: مصدر سابق ، ص ص 145-146.

[4] نفسه ، ص 139.

بالاضافة إلى أن أبناء يسوكاي كانوا ينتمون إلى والدتين مختلفتين، فالحياة الصعبة التي عاشها تيموجين وإخوته والمحيط الذي تربوا فيه المتميز بوجود بعض عوامل الحسد والغيرة التي لا تخلو منها الأسر والأقارب مع الحقد والضغائن الأخوية الماكرة التي تزيد حياة العزلة والفقر في اشتعالها، كل هذه العوامل صقلت شخصية تيموجين بالخشونة والعنف أثرت في مسار حياته[1].

ويورد لنا صاحب التاريخ السري حادثة قتل تيموجين لأخيه غير الشقيق بيكتير بسبب أنه أفتك منه سمكة كان قد اصطادها مع أخيه قاسار، فتربصا به وترصدا حركاته وخطواته حتى اختليا به فرمياه بالسهام وأردياه قتيلا[2].

ومما يبدو من رواية صاحب التاريخ السري، أنه لما لم يستطع الأخ الضحية أن يثني من عزيمة أخويه ويردهما عن تنفيذ خطتهما، استسلم للقاء مصيره المحتوم برجاء أخير تمثل في عدم المساس بأخيه بلغوتاي، ويُفهم من هذا أنه كان هناك نوع من الشحناء والمعارضة بين الإخوة غير الأشقاء التي تولدت من أجل زعامة القبيلة، كما أن تيموجين الذي لم يتوان في قتل أخيه الذي ربما كان يجرؤ على معارضته في ذلك، اكتسب بذلك جنكيز خان المستقبل صفة عديم الشفقة وعديم الرحمة، وكل ما يصاحب غزواته وحروبه من تدمير وتنكيل وخراب إنما اكتسبه هذا الشاب منذ طفولته وشبابه.

[1] غروسيه: مرجع سابق، ص 61.

[2] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص ص 147-148.

5 ـ اعتقاله من طرف التايجي أوت وفراره:

يضيف صاحب التاريخ السري محطة من المحطات في حياة هذا الشاب، والتي تمثلت في اعتقاله من طرف زعيم قبيلة التايجي أوت، الذي ربما سمع بحادثة قتل تيموجين لأخيه، وأدرك حالا أن نار الانتقام التي تولدت لدى هؤلاء الصغار قد كبرت معهم، لذلك رأى أن يطفئ هذه النار في مهدها، وذلك بقتل تيموجين الذي رأى فيه صاحب هذا الانتقام.

وعندما فضلت القبائل المغولية الانطواء تحت راية أحد زعماء القبائل ويدعى "تارقوتاي"، وبعدما توطد له الأمر لم يشعر براحة طالما بقي هناك من يطالب بحقه الشرعي لهذا أخذ يطارد تيموجين[1]. وبالفعل إتجه نحو الأم وأولادها لتنفيذ مخططاته.

ولكن ما أن وقعت أعينهم على التايجي أوت قادمين حتى اختبأوا في غابة كثيفة وأخذ قاسار يعيقهم بإطلاق السهام عليهم، مما أعطى لتيموجين فرصة الهروب داخل الغابة الكثيفة المنيعة، ولم يستطع التايجي أوت اللحاق به، واكتفوا بتطويق مداخل ومخارج الغابة[2]، وكانوا واثقين أن التعب والجوع سوف توصل طريدتهم إلى ما بين أيديهم[3].

[1] فهمي عبد السلام: مرجع سابق ، ص 30.

[2] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 150.

[3] غروسيه: مرجع سابق، ص 66.

فكان مجموع ما مكثه هناك تسعة أيام، وأخيرا قرر الخروج من الغابة، وقاد حصانه شاقا طريقه للخروج، لكن الحراس الذين كانوا يقيمون الحراسة سرعان ما ألقوا القبض عليه وحملوه إلى "تارقوتاي" زعيم التايجي أوت[1].

وهنا يضيف غروسيه أن إبقاء زعيم التايشي أوت على حياة تيموجين، يعود إلى ذرة من شعور بالاحترام من ذكرى يسوكاي حالت دون إعدامه على يد زعيم التايشي أوت، وأنه اعترف فيما بعد أنه كان ينوي إعدامه ولكن قوة خفية طاغية أوقفته ومنعته من تنفيذ هذه الرغبة، واكتفى بوضع نير ثقيل حول رقبة تيموجين[2].

يحدثنا صاحب التاريخ السري عن الطريقة التي نجا بها تيموجين من الأسر، وفراره إلى الغابات المجاورة ونجاته مرة أخرى من مطاردة التايجي أوت بمساعدة "سورقان شيرا" أحد رجال عشيرة "سولدوس"، الذي خبأه في عربة من الصوف لمدة ثلاثة أيام، ثم زوده بحصان وخروف مطبوخ وحليب فرس في قربة من الجلد، كما زوده بقوس وسهمين وأرسله إلى أهله[3].

[1] مؤلف مجهول: سابق، ص 151.

[2] غروسيه: مرجع سابق، ص ص 67-68.

[3] مؤلف مجهول: سابق، ص ص 152-154.

وكان تيموجين محظوظا حيث لم يقابل أي عدو في طريقه، ووصل دون أية حوادث بعدما اقتفى آثار عائلته إلى المكان الذي هم انتقلوا إليه وهو نقطة التقاء نهر كيمورقا بنهر أونون قرب تلة قورشوقي[1].

ارتفع شأن تيموجين بعد أن نجا من مؤامرة التايجي أوت، وأضحى الرجل القوي الذي تنشده سائر القبائل فصار في مقدوره أن يشترك في الأحوال السياسية بأن يكون من رجال المغول البارزين[2].

6 ـ سرقة خيول الأسرة واسترجاعها من طرف تيموجين:

من المحطات الأخرى أيضا في حياة تيموجين والتي كانت تصب عليه بالمحنة تلو الأخرى، أن حدث ذات يوم من الأيام سرقة خيوله من طرف بعض اللصوص، فيما كانت ثمانية من هذه الخيول ترعى في المحيط، إذ بجماعة من غزاة السهوب ينقضون عليها ويسرقونها أمامهم، بينما وقف تيموجين وإخوته عاجزين تجاه تلك الغارة المفاجئة[3]، ولم يبق لهم إلا حصان واحد بني اللون كان قد أخذه أخوهم بلغوتاي في عملية صيد، ولما عاد علم

[1] غروسيه: سابق، ص 73.

[2] العريني: المغول، ص 46.

[3] غروسيه: مرجع سابق، ص 75.

بالكارثة التي أصابتهم أراد أن يتبع هؤلاء اللصوص، لكن تيموجين أصر على أن يطارد اللصوص[1]، بثقة الشاب القوي الطموح إلى الزعامة.

انطلق في مسيرة البحث وتعقب اللصوص لثلاثة أيام بلياليها، حيث التقى في طريقه بصبي يافع اسمه بوؤرشو أرشده إلى أثار اللصوص الذين يسوقون الخيل المسروقة وأبدله بحصان آخر وقرر أن يرافقه في رحلة البحث هذه[2].

وبعدما أحس بالميل والعاطفة نحو تيموجين اشترك بورتشو معه في البحث عن الأفراس، حتى عثرا عليها فساقاها بعد أن ظهرت براعة تيموجين في مراماة أعدائه واجبارهم على أن يتخلوا عن اللحاق به، وكان من أثر هذه المغامرة أن توطدت الصلة بين تيموجين وبورشو[3].

وصل تيموجين إلى أهله الذين أصابهم القلق الشديد عليه بعد أن استعاد الخيول الثمانية بشجاعة، إنها لبداية متواضعة لذلك الشاب الذي قدر له أن يصبح في يوم من الأيام قاهر العالم في تجارب ومحن كان أولها مغامرة الأَسر التي كادت تبوء بالاخفاق أو تنتهي بالأسر الأبدي، ثم مغامرته في استرجاع الخيول بفضل عزمه وتصميمه[4].

---

[1] العريني: مرجع سابق ، ص 45.

[2] مؤلف مجهول: مصدرسابق، ص 155.

[3] العريني: مرجع سابق ، ص 45.

[4] غروسيه: مرجع سابق، ص 78.

ونستطيع القول من خلال تتبع هذه المحطات من طفولة وشباب تيموجين أنها تعكس لهذه الشخصية من الطباع والصفات المبهرة، التي تميزت بالاصرار والعزم والقوة وروح الزعامة، كما أنه استطاع أن يلفت إليه الأنظار لدرجة أن كل من اتصل به انجذب إليه وكن له الاحترام وكسب صداقته وربط مصيره بمصير هذا الشاب.

الفصل الثاني

الجيش المغولي

أولاً- النشأة والتكوين

ثانياً- مكوناته

ثالثاً- أقسامه ووحداته

رابعاً- أسلحة الجيش

أولا: النشأة والتكوين

يعد وجود الجيش من أهم المقومات التي تساعد على بناء واستمرار الدول على مر التاريخ، كما أن قوة الدولة تكمن في قوة جيشها، وتعتبر القوة العسكرية هي صمام أمان الدولة، فالدول والحضارات التي نشأت وتوسعت واستمرت إنما يعود ذلك إلى قوة ومتانة جيشها، وذلك ما أدرك حقيقته مؤسس إمبراطورية المغول وموحدهم جنكيزخان، فما كان منه إلا أنه سعى جاهدا تأسيس جيش قوي ومنظم يحافظ على دولته الناشئة ويعمل تأمين توسعاتها.

ومنذ أن أصبح جنكيزخان خانا أعظما للمغول. بدأ مباشرة بتحضير جيوشه وإعادة تنظيمها أكثر مما كانت قبيل توحيد القبائل، حيث كانت مجرد قوات تتمثل في كتائب عسكرية غير منظمة، ثم أصبح من أقوى الجيوش على الإطلاق في تلك الفترة.

ويجدر بنا أن نتطرق إلى بعض الدوافع والمؤهلات التي ساعدت على نشأة هذا الجيش المكتمل الأركان، من أهمها طبيعة الفرد والمجتمع المغولي، لأن المغول بطبيعتهم التي اعتادت على الترحال والتنقل والتنازع على الأراضي ومصادر الرزق ومواطن العشب[1]. حيث نتج عن ذلك هجرات كثيرة من الأوقات من منطقة إلى أخرى في شكل وحدات قبلية أدت في الأخير إلى إغارة بعض القبائل على قبائل أخرى[2]، كما نجد أن الطفل المغولي وعند نعومة

[1] ماركوبولو: : رحلات ماركوبولو، ج1، ط2، ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995و، ص 138.

[2] غنيمات: الجيش المغولي في الفترة مابين 615 ـ 736هـ/1218 ـ 1335م، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، الأردن، 2003، ص 32.

أظافره يلتحق بفرقة من فرق الفرسان ليمارس الحياة القاسية ويقوم بأسفار بعيدة عبر الصحاري، وهذا ما أكسب صفة الجد والشدة والصرامة وهي أوصاف يجب أن تتوفر في الجندي، وبالتالي تكونت في كل عشيرة وقبيلة مجموعة من الرجال الأشداء المتمرسين في فنون القتال، ومن هؤلاء تكونت النواة الأولى للجنس المغولي[1].

كما نجد أن من أهم الدوافع رؤية مؤسس دولة المغول لضرورة تكوين جيش قوي يحتوي على عدد كبير من الجند مهمته التصد للأخطار والتهديدات التي كانت تحدق به وبدولته، ويعمل على حماية حلفائها الذين انضووا تحت لوائه، فسعى جاهدا لكي يوجد قوة ترتكز عليها دولته الفنية، وتأتي ذلك من القوة العسكرية التي ورثها عن والده عندما خلفه في رئاسة القبيلة[2].

وبطبيعة الحال يأتي بعد ذلك الميراث الذي ورثه جنكيزخان عن والده بعد وفاته في قيادة قبيلة قيات التي كانت تمتاز عن غيرها من القبائل بالقوة والشوكة وتتفوق عنها بالعدد والعدة[3]، حيث كانت تفضل على القبائل الأخرى من حيث الأصالة والعظمة وقد كان أبناء جنكيزخان وأجداده سادة لهذه القبيلة ورؤساء عليها[4]، وبهذا وبعد تولي جنكيزخان قيادة القبيلة أصبح قائدا لمجموعة من المقاتلين من القبيلة دانوا له بالولاء والطاعة وتحدوا معه الصعاب، ولعل هذا الميراث الذي تركه يسوكاي والد جنكيز خان كان ثمرة جهوده التي بذلها في حياته

[1] رنسيمان : مرجع سابق ، ص 417.
[2] غنيمات: مرجع سابق، ص ص 31.30.
[3] الصياد: مرجع سابق ، ج 1، ص 46.
[4] الجويني: مصدر سابق، ص 74.

حين كان قائدا لقبيلة قيات، حيث وجد نفسه بحاجة إلى جمع قوة كافية تحمي قبيلته وذلك بالإعتماد على أخويه "نكون تا أيجي" و "جرايتاي أتشكين"[1].

وهذا يعني أنه أعتمد في البداية على أهل بيته وأقربائه في تجميع الأعداد الكبيرة من الرجال. واستطاع بمساعدة بعض من أقاربه وأنسابه وأنصاره الذين جمعهم تحت قيادته في تنفيذ حملاته وغاراته ضد خصومه وعلى رأسهم قبيلة المركيت والتتر[2].

كما عمل يسوكاي على ربط علاقة وطيدة تمثلت بطابعها السياسي العسكري مع زعيم قبيلة الكرايت طغرل خان الذي لقب بلقب "وانك خان"، هذه العلاقة التي أتت نتيجتها عندما تولى تيموجين زمام أمور قبيلة قيات، إذ أن يسوكاي ووانك خان يعتبر كل منهما كصديق حميم، وعلى أنهما أخوان[3]، بعد أن تدخل سيوكاي في خلافات الكرايت الداخلية وساعد وانك خان على استعادة سلطته والظفر في حروبه على إخوته وأقاربه المعارضين بحكم ما تعاهدا عليه، فهيأت هذه الصداقة ليسوكاي المكانة الرفيعة بين زعماء المغول[4].

وهنا تظهر نتيجة هذه العلاقة السياسية التي أسسها يسوكاي في فترة ظهور ابنه تيموجين الذي بدوره لم يهمل هذه العلاقة واستغلها أحسن استغلال في زيادة قوته، ويضيف حليفا إلى جانبه كي يتقوى به، فلهذا السبب نجد أنه قد عزم على أن يذهب شخصيا إلى

---

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص 26.

[2] نفسه.

[3] غروسيه: مرجع سابق، ص43.

[4] رنسيمان: مرجع سابق ، ص 411. سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص 25.

وانك خان وأن يذكره بنفسه، أملا في ذلك من أن يحسن من مركزه ويحظى منه بالحماية[1]، وفي نفس الوقت محاولة منه المحافظة على إرثه الذي ورثه عن أبيه، وهذا ما نتج عنه أن كتل جيشا من الأنصار المخلصين الذين كان يثق بهم دون أدنى تحفظ[2]، استطاع من خلاله أن يكون النواة الأولى لجيشه، وأن يحرز بواسطته مزيدا من الانتصارات، هذه الانتصارات جعلته يضيف العديد من الرجال الجدد إلى جيشه[3]، كما كان من نتيجة ذلك أن عدد كبيرا من العناصر المتأرجحة في السهب اعترفت به وناصرته[4].

وبتحقيق هذه الانتصارات على أعدائه سواء كانوا من المغول أو من غيرهم وضع جنكيزخان بذلك أساسا متينا لبناء إمبراطوريته المترامية الأطراف.

ولم يكد جنكيز خان ينظم إدارة إمبراطوريته، حتى شرع في مد رقعتها، أضحى لديه جيش ضخم أولى اهتمام كبيرا بتنظيمه، إذ أن كل أفراد القبيلة الذين يتراوح عمرهم بين الرابعة عشرة والستين سنة يلتزمون بالخدمة العسكرية وفقا للعرف المغولي[5]، وفي الحقيقة كان كل مغولي مجندا في خدمة دولته ومستعدا لحمل السلاح وخوض غمار القتال إذا ما أشار عليه جنكيزخان بذلك[6].

---

[1] فلاد يميرستوف: مرجع سابق ، ص 48.

[2] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 15.

[3] جورج لاين: عصر المغول، ط1، ترجمة: تغريد الغضبان، مراجعة: سامر أبو هواش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة، 2012، ص 59.

[4] بيرتولر شبولر: المغول في التاريخ، ص 15.

[5] رنسيمان: مرجع سابق ، ص 417.

[6] الصياد: مرجع سابق ، ص 361.

وتنظمت هذه القوى بعد استقرار أمر جنكيزخان وقيام خانيته، وكونت نواة الجيش المغولي. الذي نشأ أولا في الصحراء من أبناء القبيلة التي نشأ فيها جنكيزخان والتي اعتمد عليها عند كبره في إظهار مواهبه وقابليته في القتال والقيادة حتى بزغ اسمه وطارت شهرته، فالتفت حوله بعض القبائل وخضعت لزعامته، فتنقل بها من نصر إلى نصر على القبائل الأخرى حتى استقر فوق الجميع[1].

فرجال القبيلة جميعا جنود يدافعون عن قبيلتهم إذا ما دعاهم الواجب، وعلى ذلك كل مغولي جنديا مستعدا لخدمة القبيلة، وكان على أتم الاستعداد لحمل السلاح والانضواء تحت راية قبيلته وزعيمه[2]، الذي استطاع أن يوحد القبائل المغولية، وأن يكون جيشا يحمي هذه الدولة التي كان ظهورها سنة 1206م مع ظهور القوة العسكرية الضاربة، التي بدأت تمارس عملياتها الحربية في شمال الصين، حيث استولت على أكثر الأراضي ودخل كثيرون منهم في خدمة الخان الأعظم للمغول[3].

ثانيا: مكوناته:

سبق الإشارة إلى أن قبيلة قيات كانت تمتاز عن غيرها من القبائل بالقوة والشوكة، وأنها كانت تفضل عليها من حيث الأصالة والعظمة، فقد كان لها السبق وعليها اعتماد الجيش

[1] القزاز: مرجع سابق، ص ص 241-242.

[2] فايد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، تقديم: أ.د جوزيف نسيم، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعرف للنشر، القاهرة، د.ت.ن. ص 31.

[3] النبراوي ومهنا: قضايا العالم الاسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر، ط1، منشأة المعارف، مصر، 2012، ص 72.

المغولي منذ نشأته، وتعتبر قيات النواة الأولى لهذا الجيش، حيث عمل جنكيزخان على إظهار قوة جيشه بأبناء قبيلته قبل انضمام مجموعات من العشائر والقبائل الأخرى الخاضعة تحت لوائه.

بدأ تيموجين بمساعدة أونغ خان (وانك خان) بالسيطرة على قبائل صغيرة مختلفة، وكان يمارس نفس السياسة بعد كل انتصار يحرزه، فقد كان يقوم بقتل زعماء القبيلة المهزومة ثم يقوم بضم ما تبقى منها إلى أتباعه[1].

وقد أورد بيرتولد في حديثه عن انتصارات جنكيزخان أن المهزومين أو الخاضعين انظموا إلى جيوشه حيث يقول: "وبعد أن أباد قبيلة الكيريت ووجه هزائم حاسمة عن انتصارات جنكيز خان و الميركيت ما لبثت البقية الباقية من القبائل أن تلاشت أو انضمت إلى جيوشه"[2].

في بداية حملته كانت الأغلبية بين رفاقه من المغول الأصليين، إلا أن هذه الطائفة لم تكن كثيرة العدد في البداية، وكان عددها يقل مع كل حرب تخوضها، ولتعويض خسائر جيشه، كان جنكيزخان يختار جنودا جددا من بين سمان الممالك المفتوحة، خاصة من يتصل منهم بصلة عرقية أو أخلاقية بالمغول كطوائف النايمان والكرائيت والتنجغوت وأتراك

[1] إيمي شوا: عصر الامبراطورية، ط1، العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، 2011، ص150.
[2] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 14.

قبجاق وقنقلي وقرلق والأويغور، ويخضعهم لحكمه واحكامه وتنظيماته، إلى أن تعدت العناصر خارج المغول من حيث العدد[1].

وبهذا تمكن من إنشاء جيش مكتمل مكون من مزيج من الفئات المختلفة، عرف فيما بعد بالقوة والجبروت وفنون الحرب الفذة، وهذه القبائل المكونة للجيش المغولي والتي كونت تحالفات مع قبيلة جنكيزخان أو كانت خاضعة لها جرى انضمامها في هذا التحالف على ثلاثة طرائق كما يذكر "جورج لاين، تتلخص الطريقة الأولى بقيام القبيلة ككل بإعلان ولاءها المطلق وخاصة السياسي للقبيلة العظمى، وتتمثل الطريقة الثانية في توزيع أفراد القبيلة المغلوبة أو أسرها أو ضمها كغنائم على أفراد القبيلة العظمى، أما الطريقة الثالثة فتتمثل في تسخير وحدات من المدنيين التابعين لقبائل أخرى، ووضعهم في خدمة قادة عسكريين ينتمون إلى القبيلة العظمى[2].

ونذكر هذه القبائل على النحو التالي:

أ ـ قبيلة قيات:

وتعتبر القبيلة الأم والتي ينحدر منها نسب جنكيزخان[3]، وهي النواة الأولى للجيش المغولي حيث عليها في تأسيس الجيش ولها حق التقدمة على باقي القبائل، وتعود هذه التقدمة إلى عهد يسوكاي والد جنكيزخان حين كان زعيما لها، حيث استطاع أن يتحدى

[1] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 115.

[2] جورج لاين: مرجع سابق، ص 59.

[3] العيني: عقد الجمان (العصر الأيوبي)، ج4، ص 178.

القوة العظمى آنذاك والتي تمثلت في الإمبراطورية الصينية عندما أعلن رفضه تقديم الجزية لعمالها مما أدى إرسال حملات عسكرية ضده وما صاحب ذلك من مقاومة شديدة منه[1]، مما أكسبه وقبيلته وسمعة بين القبائل الأخرى.

اعتمد يسوكاي في أعماله العسكرية على أهله وأقربائه وبني قبيلته ضد خصومه وأعدائه من القبائل المجاورة مكونا منهم قوة استطاعت أن تجابه وتحطم القوى المنافسة له[2].

بعد تولى جنكيز خان حكم ورئاسة القبيلة خلفا لوالده حافظ على هذه التركيبة الخاصة من القوة العسكرية، وكان من الطبيعي أن يسند إلى أبنائه وأقربائه ومجموعة من أبناء القبيلة مناصب قيادية في دولته وجيشه وقد ذكر إقبال أنه لما قام جنكيزخان بتوحيد مختلف قبائل المغول والتتار تحت سيطرته، قام بتحديد عشر مهما لإدارة شؤون الدولة والجيش، وكان قد أعطى بعض المهام والمسؤوليات لأقربائه من أبنائه وإخوته مثل مهمة حمل السيوف التي يقوم بها أربعة أفراد يتولاهم قسَّار شقيق جنكيزخان، ومهمة رعاية الخيل التي أوكلها لشقيقه الآخر بيلجوتاي[3].

كما اعتمد جنكيزخان على أولاده الأربعة في المهام السامية في دولته وهذا ما يذكره ابن العبري في قوله:" وكان من زوجة جنكيزخان من زوجته أربعة بنين ولاهم الأمور العظام في مملكته، الأول توشي ولي أمر الصيد والطرد وهو أحب الأمور إليهم، والثاني جغاتاي ولي أمر الحكومات والسياسة والثالث أوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله وإصابة رأيه، والرابع

[1] صبري عبد اللطيف سليم: المغول وعالم الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، ص 11.
[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 26.
[3] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 122.

تولوي ولي أمر الجيوش وتجهيز الجنود والنظر في مصالح العساكر[1]، وهذا يعني أنه منح المناصب السامية والمسؤوليات العالية لأقربائه لتسيير دولته وتنظيم إمبراطوريته الناشئة.

ب- قبيلة كرايت:

سبق وأن أشرنا إلى العلاقة القديمة التي أسسها يسوكاي والد جنكيز خان مع زعيم قبيلة الكرايت، وكيف أن ابنه تيموجين حافظ على هذه العلاقة لما تولى رئاسة قبيلة قيات لكن مع مرور الزمن لم تكتب لهذه العلاقة أن تستمر على هذا النحو، نتيجة حسد أبناء أونك خان ووشاية من أقربائه وتشويه منهم لصورة جنكيزخان عند حليفه أونك خان زعيم الكرايت الذي توجس منه خيفة، ولا بد لنا هنا أن نوضح كيف أن هذه العلاقة الودية القائمة على التعاون والتحالف بين جنكيز خان وطغرل زعيم الكرايت الملقب بوانك خان قد تحولت إلى صدام عسكري بينهما وانتهت بالقضاء على هذا الأخير وأسرته وإخضاع قبيلته مع جيشها الذي أصبح ضمن قوات الجيش الجنكيزي.

ويذكر الجويني تفاصيل هذه الحادثة حيث يقول:" فلما رأى وانك خان شجاعته وعظمته، يعني جنكيزخان بالغ في إكرامه ورفع منزلته حتى فوض إليه أمور البلاد وشؤونها، فتألم أبناء أونك خان وإخوته وبخاصة المقربون منه، فامتلأت نفوسهم حقدا وحسدا، فأخذوا في طرح شباك المكر والخداع، حتى شك في أمره[2].

[1] ابن العبري: مصدر سابق، ص 396. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 136.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 74. سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص 29.

وقبل أن نصل إلى نتائج تدهور العلاقات بين الطرفين يجب أن نشير إلى بعض الأسباب التي أدت إليها، حيث يتبين أن هناك أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة، فأما غير المباشرة فنذكر منها ما أورده فلاديمير ستوف في حديثه عن طبيعة العلاقات والمعاملات بين الطرفين، حيث نستشف من خلاله أن هذه الأسباب هو رفض وانك خان لطلب جنكيزخان وعرضه الذي تقدم به ومفاده أن جنكيزخان كان يرغب في تطوير علاقته مع حليفه عن طريق التناسب والمصاهرة، حيث تقدم بطلب يد ابنة وانك خان لابنه جوتشي (جوجي)، وأن يقدم ابنته هو إلى أحد أحفاد وانك خان، إلا أن هذا الأخير رفض طلب جنكيزخان، ويقول فلاديمير ستوف في ذلك: "أن هذا الرفض جعل قلب تيموجين يتحجر وكأنه قطعة ثلجية متصلبة وصحب ذلك خيبة أمل عظيمة بالنسبة له"[1].

ولعل السبب المباشر والذي يستنبط من كتابات الكثير من المؤرخين، هو أن وانك خان ونتيجة خوفه المتزايد مع زيادة وتعاظم قوة جنكيزخان أراد أن يفرغ الساحة من أي منافس يعترض طريقه ولوكان حتى حليفه، كما ذكره كل من عباس إقبال وفلاديميرستوف، حيث أن الأول ذكر أن زيادة شوكة وقوة جنكيزخان هي سبب تخوف وانك خان من أن يتمكن يوما من السيطرة على أمره، مما دفعه إلى إرسال جيش تيموجين من أجل القضاء عليه[2].

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 80.

[2] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 57.

أما الثاني فيُرجع سبب هذا التصادم أن وانك خان دخل في إتفاقية مع شخصية كانت تمثل أشد أعداء تيموجين، ألا وهو جاموقة زعيم قبيلة الجاسيرات[1] والذي بدوره هيَّج روحه العدائية ضد تيموجين، حيث دس إليه بأنه كان في علاقات سرية مع النيمان وأنه قد وصل ـ أي تيموجين ـ إلى نقطة يوشك فيها أن يغدر بحلفائه[2].

ويضيف كل من ابن العبري والجويني في هذا الإطار أن المنزلة التي بلغها جنكيزخان من قوة وبطش بالإضافة إلى الوشايات و التخوينات التي قام بها أبناء وانك خان والمقربون منه أدت في النهاية إلى دخول الشك في نفسه واتهمه بتغيير النية[3].

ومهما يكن من أمر، فبعد تدهور العلاقات بين الطرفين وحدوث الطلاق السياسي، أقبل وانك خان على تنفيذ مخططه الذي يقضي بإفراغ الساحة من أي منافس، حيث بادر بإرسال قوة عسكرية هدفها القضاء على صديقه وحليفه القديم، وذلك باتباع خطة مفادها مهاجمته وقت السحر، إلا أن الحظ كان حليف جنكيزخان الذي كان لا يعلم شيئا مما حيك ضده.

تجلى ذلك ـ كما تشير المصادر ـ في أن غلامان من خدم أونك خان انضما إلى تيموجين واعلماه القضية وأخبراه بكل تفاصيل المؤامرة حتى الليلة التي يريدون الهجوم فيها فأخذ كامل احتياطاته و استعداده لمواجهة وإفشال ذلك المخطط والدفاع عن نفسه وقومه، وذلك باعتماد خطة تمثلت في نصب كمين لقوات أونك خان خارج البيوت التي تركوها منصوبة، وأفرغت من الأهل والقوم، ولما وصلت القوات المهاجمة إلى موضع الخيام في

[1] ملك الجاسيرات من ألد أعداء تيموجين ومنافسيه، للمزيد ينظر: طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين ، ص 27.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 77.

[3] ابن العبري: مصدر سابق، ص 394، الجويني: مصدر سابق، ص 74.

وقت السحر كما مخطط، خرجت قوات جنكيزخان من الكمين وأوقعوا بهم و أثخنوا فيهم القتال وهزموهم وغنموا من اونك خان مغانم كثيرة، وأبيد مع جيشه، وسبوا ذراريه وأهله، ويشير كل من الجويني وابن العبري أن هذا حدث سنة 599هـ[1].

فقد انضمت غالبية قواته إلى جيش جنكيزخان وقبِل بذلك طالما أنهم لم يقوموا بأي أعمال خيانة ضد قائدهم السابق.

أما خضوع الكرايت لحكم جنكيزخان فيرجع ذلك إلى الخلاف الذي دب بين وانك خان وجنكيزخان سنة 1203م حيث قامت معارك بينهما دارت دائرتها على وانك خان الذي لقي مصرعه في أرض المعركة وبالتالي خضع جيشه لجنكيزخان وحدود قبيلته كذلك ألحق بأراضي المغول[2].

يشير صاحب التاريخ السري إلى نهاية أونغ خان الذي فرَّ مع ابنه من ساحة المعركة ومصيرهما بعد فرارهما، عكس ما جاء به الدكتور سعيد عمران أن أونغ خان لقي مصرعه في ساحة المعركة.

يقول صاحب التاريخ السري:"ونجا أونغ خان وسينغوم بحياتيهما، وذهبا بعيداً غير راغبين بالخضوع لجنكيزخان، وعندما كان أونغ خان يعاني من العطش، ذهب ليشرب من

[1] ابن العبري: مصدر سابق، ص 394، الجويني: مصدر سابق، ص 75. الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 70.

[2] سعيد عمران: المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997، ص ص 32-33.

نبع "نيكون أوسون"، مرَّ برجل الإستطلاع النيماني "قوري سوبيجي" الذي اعتقل أونغ خان وذبحه في مكانه"[1]، وهكذا كانت نهاية الأونغ خان ملك الكرايت.

أما ابنه سينجوم، فلم يشأ أن يضع ثقته في ملك النيمان، لذلك فضَّل أن يضرب في الأرض جنوباً، وتمكن بطريقة ما الوصول إل حدود مملكة التانغوت التي طُرد منها، لينتقل غربا إلى أراضي الأيغور، حيث استمر في نشاطه اللصوصي، وهنا قتله سكان هذه المنطقة، وهكذا هلك آخر وريث لعرش الكرايت[2]

وعندما أخضع المغول شعب الكيريت وزعوا هذا الشعب بين بعضهم بعضا[3]، فقد كان جنكيزخان حذراً منهم لهذا استهدف إذابتهم في الأمة المغولية، مع عدم السماح لهم بتكوين وحدة سياسية، وفي الحقيقة تمكن عدد كبير منهم فيما بعد من شغل مناصب عالية سواء في الجيش أو الإدارة المغولية[4] بعد أن تم القضاء على زعيم قبيلة الكرايت وتشتيت شمله، تمكن جنكيزخان من اخضاع جميع قوات الكرايت لسيطرته ودانو له بالولاء والطاعة وانظموا إلى جيشه.

ج- التتار:

تعتبر قبيلة التتار من أشهر القبائل المغولية ومن أساسيات الجيش المغولي الذي أنشأه القائد جنكيزخان بعد توحيد القبائل، إذ أن له مع هذه القبيلة علاقة خاصة، حيث كبر

---

[1] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 270.

[2] غروسيه: مرجع سابق، ص ص184-185.

[3] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 270.

[4] غروسيه: مرجع سابق، ص 180.

وترعرع بحقده عليها، إذ سبق وأن أشرنا إلى أن والد جنكيز خان تم قتله غدرا في هذه القبيلة وبينهم قبل تزعمه سلطة توحيد القبائل وحروب طاحنة داخلية واصبح طموحه تحطيم وإخضاع الزعامات تحت سيطرته، فكان التتار من طموحاته ومحط أنظاره حتى استطاع إخضاعها وأصبح أفرادها من أهم مكونات جيوشه.

وكان قد أعلنها جنكيزخان مباشرة على التتار حيث عبر عن شدة غضبه عليهم بقوله :" كان التتار يقتلون أباءنا وأجدادنا من قديم الزمان فسوف نأخذ بثأر هؤلاء السلف"[1].

وبعد أن تعاظمت قوته وازداد عدد العشائر التي انضوت تحت لوائه استطاع أن يكمل مسألة تدمير التتار بشكل نهائي منتقما بذلك من كافة ثأراته السالفة ورغبة منه في تدمير أعداء أهل بيته الألداء القدماء واستطاع أن يمحو أثرهم من الوجود[2].

ويذكر الغامدي أن هجوم جنكيزخان على التتار جاء بمساعدة حليفه وانك خان زعيم الكرايتيين سنة 593هـ/ 1197م وذلك تحت إمرة الحكومة الصينية، حيث رأى جنكيزخان أن الفرصة مواتية للإنتقام والثأر من قتلة أبيه يسوكاي[3].

لكن ما جاء في التاريخ السري عن هجوم جنكيزخان على التتار وتفريقهم وإفنائهم مخالفا لما ذكره الغامدي، حيث يبدو أن هذا الأخير قد خلط بين تاريخ بداية الحروب بين جنكيزخان وأعدئه التتار وبين تاريخ نهايتها.

---

[1] كريم الله أبرار: مرجع سابق، ص 26.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص 75.76.

[3] الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 66.

إذ يورد صاحب التاريخ السري أن في خريف عام الكلب598هـ/1202م اشتبك جنكيزخان مع هؤلاء التتار المتكونة من القبائل "جاآن" و"ألجي: و"دوتاأوت" وأَروقاي"، ودمروهم ونهبوهم بالكامل وذبحوا الرجال واسترقوا النساء والأطفال[1]

وحدثت المعركة الفاصلة عام598هـ/ 1202م في منطقة دالان نيمورجيز(أي السبعين عباءة من اللباد)، وهي قرب مصب نهر خالخا(كالكا) في بحيرة بويور، فقد أمر جنكيزخان جنوده ألاَّ يعمدوا إلى أخذ الغنائم حتى النصر النهائي، وهكذا قُضي على التتار وسُحق جيشهم نهائياً وعلى الأربع قبائل التتارية الهامة قضاءً مبرما، تجسَّد في القرار الذي صدر عن مجلس كبار أتباع جنكيزخان، والذي نصَّ على" يجب أن نضحي بهم انتقاما لآبائنا وأجدادنا، ويجب أن نبيد كل شخص ذكر يتجاوز طوله عمود العربة، أما الصغار فسوف يصبحون عبيداً"[2]

وأتاح القضاء على التتار لجنكيزخان السيطرة على منغوليا الشرقية، ثم إنه لجأ إلى المنطقة التي كان التتار يحتلونها، وذلك بعد خصومته مع مع الأونغ خان ملك الكرايت الذي رأى أن موازين القوى في منغوليا قد انقلبت لمصلحة جنكيزخان، وبدأت تظهر بوادر سوء العلاقة بينهما[3]

[1] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص228.

[2] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص ص228–229. غروسيه: مرجع سابق، ص 149.

[3] نفسه.

تشتت التتار وتفرقوا بعد أن تغلب عليهم جنكيزخان وألحق الكثير منهم في جيوشه وشاركوا في الكثير من حروبه[1].

وتشير الكثير من المصادر أن إسم التتار أو التتر أطلق مرادفا للمغول في كثير من الأحيان بعد أن دانت هذه القبيلة لجنكيزخان[2].

د- النايمان:

هم كذلك من أشهر وأهم القبائل المغولية، وكما هو معروف من القبائل القوية التي شكلت خطرا على طموحات القائد المغولي جنكيز خان بزعامة تايانك خان، وحدثت الكثير من المناوشات والمعارك بين جنكيزخان وخصمه، حيث بدأ الصراع بينهما حين بلغ إلى مسامع جنكيز خان أن زعيم النايمان يتجهز ويستعد لحربه، لأن هذا الأخير بعد أن اشتم رائحة الخطر على نفسه وقبيلته نتيجة تعاظم قوة القائد المغولي الناشئة والزاحفة نحوه، إذ أنه أصبح سيد منغوليا الوسطى والشرقية، بعد أن ضم إليه بلاد الكرايت، وتوقع تايانك خان هجوما منه لذلك كان استعداده أن بدأ بالبحث عن حلفاء له، فتوجه إلى زعيم الأنكوت* يعرض عليه التحالف[3].

---

[1] محمود السيد: التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2001، ص 15.

[2] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 48.

* الأنكوت هم التتار البيض كان الصينيون يجاورونهم من الجنوب ومن الشمال التتار السود خضعوا لسلطة جنكيزخان بعد أن رفض زعيمهم التعاون مع تايانك خان زعيم التايمانيين، وقفوا إلى جانب جنكيزخان في معظم حروبه وكافأ جنكيزخان زعيمهم بمصاهرته إذ زوجه إحدى بناته، كانوا يدينون بالمسيحية على المذهب النسطوري، ينظر: سعاد الطائي، دراسات في تاريخ الترك والمغول، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2015، ص 291.

بعث تايانك رسولاً يدعى"توربي تاس" إلى "ألاقوس ديغيت قوري" الأنغوتي بالرسالة الآتية: لقد أخبرت بوجود قلة من المغول بعيداً من الشرق، إنك سوف تكون الجناح الأيمن وأنا سوف ألتحق بك من هنا، ولسوف نستولي على جعب سهامهم"، ورد "ألاقوس" على هذه الكلمات قائلا:" أنا لايمكنني أن أكون الجناح الأيمن"[1]، فما كان من هذا الأخير إلا أن أرسل مسرعا إلى جنكيزخان يعلمه بما يجري[2]، فكان هذا بمثابة إعلان للحرب بين الطرفين.

يصف غروسيه حكم تايانك بالمتقلقل وغير المستقر، ولم يتمتع بالهيبة والإحترام، ويصفه باللامبالات والضعف، فحين اشتم رائحة التهديد والخطر عليه من سلطة جنكيزخان المتزايدة يوما بعد يوم، هكذا صمم أن يقضي عل جنكيزخان قبل فوات الأوان، وبدأ بالاستعداد للحرب متبجحاً بأنه سوف يغزو أراضي المغول بنفسه، ويستولي عل جعب سهامهم[3].

رغم التفوق العددي للنيمانيين ضد المغول، إلا أن المغول استعملوا خطة أوهموا من خلالها أعداءهم بأن أعدادهم كثيرة، وذلك حين أوقد كل واحد منهم خمسة نيران في أماكن مختلفة، هذه الخطة التي قام بها القائد المغولي "دودي جيربي" ووافق عليها جنكيزخان

---

[3] سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص 30.31. الطائي: مرجع سابق ، ص 294.

مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 274.[1]

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص 92.93. سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص 31.

غروسيه: مرجع سابق، ص ص 186-187.[3]

واستحسنها، أتت بثمارها حيث شاهدها النيمانيون أثناء الليل زادتهم رعبا قائلين: إن نيران معسكرهم أكثر عددا من نجوم السماء[1].

هذا التفوق الذي زاد منه التحالف الكبير والقوي بالتحاق الإمدادات العديدة من أعداء جنكيزخان، مثل توقتو بيكي زعيم المركيت، وبعض الكرايتيين الذين لم يخضعوا بعد، ثم قوتوقا بيكي زعيم الأويرات، وأخيراً جاموقا ومعه بقايا قبائل التتار وجميع من قهرهم جنكيزخان في الحروب الماضية من الأعداء الحقودين[2].

ويذكر فلاديمير ستوف أن جنكيزخان بدأ حملته العسكرية ضد النمانيين في أوائل الربيع من سنة 600هـ/1204م، في حين استعدوا هم بقيادة زعيمهم تايانك خان وابنه كوتشلوك لمقابلته، إلا أنهم منيوا بهزيمة ساحقة، فبينما هرب الابن فإن تايانك فقد حياته[3].

والواضح من خلال تتبع أحداث ومجريات الصراع والمعارك بين الزعيم المغولي وأعدائه النايمانيين أنها استمرت لمدة بلغت حوالي ست سنوات، إذ أنه بعد قضاء جنكيزخان على تايانك زعيم النايمان واصل ابنه كوتشلوك خان المقاومة بعد هروبه إلى الغرب، حيث يشير العريني أن فتوحات جنكيزخان في منغوليا لم تكتمل إلا بعد أن قضى على النايمانيين في الشطر الغربي سنة602هـ/1206م[4]، وهذا ما يتنافى مع الحقيقة التاريخية، لأن المغول لم يتوجهوا نحو الغرب إلا بعد القضاء على مملكة كين في الصين الشمالية وذلك بعد

---

[1] مؤلف مجهول: مصدر سابق ، ص 278.

[2] غروسيه: مرجع سابق، ص ص 191-192.

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 95.

[4] العريني: مرجع سابق، ص 54.

615هـ/1218م، وهو تاريخ القضاء على كوتشلوك خان بعد أن بدأ المغول في تعقب أعدائهم الفارين إلى الممالك الغربية[1].

هـ- المركيت:

هم كذلك مجموعة من القبائل القوية التي خضعت لسلطة القائد المغولي بعد سلسلة من المعارك فيها المركيتيون حلفاء في صفوف أعداء جنكيزخان من الكرايتيين والنايمان والتتار، وبالرغم من المركيت كانوا من أخواله إذ أن والدته "أويلون" منهم، لم يمنعه هذا من تسليط جام غضبه عليهم لمشاركتهم في هذا الحلف كباقي القبائل الأخرى، كما يعتبر المركيتيون ألد أعدائه، حيث كان عداؤهم مستحكما فهم من كانت لهم الأسبقية في العداء حينما أغاروا على قبيلته وأخذوا منه عروسته غصبا.

ففي خريف سنة601هـ/1204م تحارب جنكيزخان مع "توقتوبيكي" مقدم المركيت عند نبع "قارادال"،وقد اقتلعه من هناك وأخضع قبيلته وجميع شعبه في سهل "ساآري"، وقد تمكن توقتو مع ولديه "قودو" و"جيلاأون" وقليل من الناس، وكانوا مجردين من كل شيء، تمكنوا من النجاة والفرار[2].

فبعد أن نجا من الكارثة التي حلت بالنيمان، فرَّ زعيم المركيتيين "توقتا" مع حفنة من أتباعه وذهبوا جميعا للالتحاق بالنيمانيين المنفيين، وبدأوا بالتجوال مع الأمير النيماني كشلوغ قرب حدود منغوليا الغربية، وهنا شرع جنكيزخان بمطاردتهم، وقد وصل إلى أسفل جبال

[1] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 65.

[2] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 288.

ألطاي حيث قرر أن يقضي الشتاء هناك لينقضَّ عليهما في ربيع602هـ/1205م[1]، إذ وبعد الانتصارات التي حققها على هذا التحالف استمر جنكيزخان في تعقب الفارين المهزومين ومنهم "تكتار" زعيم المركيت حيث استطاع اللحاق به وقتله بعد أن نجح في الهروب من قبل، وأكمل تدمير البقية الباقية منهم وهناك أخذ زوجة له من بين النساء المركيتيات[2].

وكان توقتو مع ابنيه غير راضين بالخضوع لجنكيزخان، ونفس الشيء بالنسبة لكوشلوك خان النيمان الذي رفض هو كذلك الخضوع، فأقام تحالفا مع توقتو، وفي ربيع سنة الثور602هـ/ 1206م انطلق جنكيزخان لمحاربة هذا التحالف، فأصيب توقتو بسهم طائش وسقط قتيلا في المعركة، ولم يستطع أولاده دفنه[3].

ويشير الغامدي في سرده عن المعركة الأخيرة للمتحالفين ضد جنكيزخان إلى أن قبيلة المركيت برئاسة شيخهم "توقتا بيكي" اتحدوا مع كوتشلوك زعيم النايمان في حملة عسكرية ضد جنكيزخان إلا أن قوات التحالف منيت بالهزيمة في معركة سفوح جبال آلتاي سنة 601هـ/ 1205م، وأن زعيم المركيت قتل بسهم طائش[4].

---

[1] غروسيه: مرجع سابق، ص 202.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 97. الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 75.

[3] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص 291.

[4] الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص75.

وكان المركيت الذين خضعوا من قبل قد قاموا مرة أخرى بثورة وحاولوا الخروج من المعسكر الأساسي لجنكيزخان، لكن أعاد جنكييزخان إخضاعهم وأمر بتوزيعهم وتشتيتهم حتى آخر رجل منهم[1].

قام بهذه المهمة قائد مغولي اسمه "تشمبي"، الذي جهزه جنكيزخان بجنود من الجناح الأيسر من جيشه، وكانت عشيرة "أواس" وعشيرة " أودوبيت" المركيتيتين من بين الذين تمردوا وثاروا ضد جنكيزخان في هذه المناسبة إلى أن قضي عليهم قضاءً تاماً[2]

وبالتالي استطاع جنكيزخان الانتصار على المركيتيين وبسط نفوذه وعلى منطقتهم وضمهم إلى قواته كما فعل مع القوى الأخرى التي انتصر عليها، ولم يكتف جنكيزخان بذلك فقد تعقب المركيت في ما بعد، وقضى عليهم نهائيا ودانت بعد ذلك القبيلة لحكمه وسيطرته بعد إعلان تأسيس دولته[3].

و- الأويغور:

هم كذلك من الأقوام التركية، ذكرهم الجويني أنهم كانوا في طاعة القراخطائيين الذين استولوا على بلاد ما وراء النهر وتركستان وقبل أميرهم دفع الجزية لهم[4]، ولما صار الصيت لجنكيزخان وشاع ذكره في البلاد أرسل إليه أميرالأويغور بطلب الأمان لنفسه ولرعيته

---

[1] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص292.

[2] غروسيه: مرجع سابق، ص 202.

[3] شبولر: العالم الإسلامي، ص 24.

[4] الجويني: مصدر سابق، ص 81.

والدخول في زمرته، فأكرم جنكيزخان رسله وبادر هو إلى الحضور في خدمته من غير توقف[1].

وبهذا أعلن أيدي قوت الانشقاق والعصيان على القراختاي والإذعان والإستسلام لجنكيزخان[2]، ومنذ ذلك الحين صار الأويغوريون من أتباع جنكيزخان ومناصريه[3].

وحينما تحرك جيش المغول قاصدا كوجلك تلقى أيدي قوت (أمير الأويغور) أمرا بضرورة مجيئه هو وعدد من أبطاله من نواحي الأويغور، فسار إليه مع ثلاثمائة من رجاله تنفيذا للأمر الصادر إليه وقدم إليه مساعدات كثيرة[4]. ثم صار فيما بعد أقوى حليف له[5].

بعد خضوع ملك الأويغور "بارجوق" لجنكيزخان سنة 1209م، اشترك أولا في الغارة التي شُنَّت على كوجلوك سنة 1218م، ثم في الهجوم على محمد خوارزمشاه، ثم في الحرب التي شنها جنكيزخان على التانغوت[6].

ويبدو أن الأويغور دخلوا في طاعة الفاتح المغولي طواعية، بل إنهم استنجدوا به لما لاقوه من ظلم وسوء معاملة من طرف والي القراخطائيين عليهم، وبالتالي نراهم اكتسبوا مكانة في البلاط والجيش المغولي.

---

[1] ابن العبري: مصدر سابق، ص 399.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 81.

[3] الصياد: مرجع سابق، ص 51.

[4] الجويني: مصدر سابق، ص 81.

[5] عبد السلام فهمي: مرجع سابق، ص 33.

[6] بارتولد: تاريخ الترك، ص208.

لذا نجدهم أول معلمين، بل وأول عمال للدولة في الإمبراطورية المغولية، وفيما بعد دخل عمال الأويغور الأقطار المتحضرة كالصين وبلاد الإسلام في معية الغزاة المغول[1].

مكونات أخرى للجيش المغولي:

بالإضافة إلى المكونات الأساسية للجيش المغولي سالفة الذكر، والتي تعتبر أساسية فيه ومن مصادره الأولى، نجد أن هناك عناصر أخرى مختلفة التحقت وقدمت خدماتها في الجيش كانت قد خضعت لسلطة المغول سواء بالقوة أو بالسلم.

من أهم هذه العناصر قبائل "الأنغوت"[2]، حيث نجح جنكيز خان في إقامة حلف مع ملكهم عندما بدأ هجوماته على مملكة كين الصينية[3]، واعترف بسيادة جنكيز خان أرسلان ملك القارلق حوالي607هـ/1211م وكذا أمير المالق، ولم تلبث قبائل القرغيز التركية النازلة على نهر ينيسي أن خضعت لجنكيز خان[4].

ويروي لنا البناكتي أحداث الغزو المغولي للبلاد الخوارزمية وانضمام بعض القوات إلى جيش جنكيزخان حيث يقول:" ولما بلغ حدود قياليق قدم رئيس الأمراء هناك أرسلان خان

---

[1] بارتولد: تركستان، ص-ص 553-554.

[2] هم التتار البيض النازلين في جنوب منغوليا، ينظر الباز العريني: مرجع سابق، ص 65.

[3] الصاوي: جنكيزخان فاتح العالم، ط1، دار طيبة للطباعة، مكتبة النافذة للنشر، مصر، 2012، ص 86. منصور عبد الحكيم: جنكيز خان إمبراطور الشر وقاهر العالم، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2008، ص 74.

[4] العريني: مرجع سابق، ص 64.

معلنا فروض العبودية، ومضى لجيش المغول على أنه مدد لهم وقدم إيغور بخيله وقدم سوقناق تكين من الماليغ بجيشه"[1].

وحينما ارتفع شأن جنكيزخان واستعلت كواكب سعادته، أرسل السفراء إلى القبائل الأخرى، وأدخل في زمرة أمرائه وحشمه كل شخص أعلن الانقياد له والإذعان لأمره من القبائل الأخرى مثل الأويرات والقنقورات وشملهم بعنايته ورعايته[2]، وتعني الخضوع والتبعية هنا، والانضمام والمشاركة في كل الأعمال العسكرية وإرسال القوات المساندة لعملية الغزو إلى جانب الجيش المغولي.

وكان العنصر الأساسي في جيش جنكيزخان يتألف من الرماة الفرسان، وكانت الشعوب المستقرة في الأراضي التي فتحت والتي كانت تجبر على الخدمة في الجيش تلعب دورا مهما، وكان السكان مصدرا للإمداد بوحدات المشاة والمدفعية والقيام بأعمال الحصار واستخدام المنجنيق والسهام النارية[3].

وفي حربه ضد الصينين استطاع جنكيزخان هزيمتهم مستخدما الحيلة والحرب النفسية وربما أهم من ذلك، باستغلاله الصينين وتقنياتهم بإرغام الآلاف منهم للعمل في خدمته

[1] البناكتي: مصدر سابق، ص 407.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 76.

[3] هيلدا هوخام: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 227.

بإشراف الجنود المغول، وكانوا يحملون لهم الماء ويحفرون الخنادق وقد يجرون المجانيق الخشبية الهائلة الحجم وبراجمات الحجارة[1].

وفي مهمتهما التي أوكلها لهما جنكيزخان، انطلق القائدان "شبي" و "سوبوتاي" للبحث عن السلطان خوارزمشاه وقاما خلالها بأعمال عسكرية بما معهما من الجنود، ثم جمع هذان القائدان المغوليان الكثير من الجنود المرتزقة من التركمان والأكراد من أهالي تلك البلاد الذي انضموا تحت لواء المغول للقتال معهم في حروبهم[2].

ويضيف محمود السيد في حديثه عن حروب المغول في أوروبا قوله:" وكان يتم تجنيد شباب الشعوب المقهورة في صفوف جيوش المغول، وعقب هزيمة روسيا تم تجنيد كثير من الروس في جيوش المغول الذين اشتركوا بدورهم في عمليات اخضاع كثيرة، لقد بلغ عدد المحاربين من أصل روسي في جيوش المغول حدا كبيرا للغاية، كذلك ضم المغول إلى جيوشهم الشركس والقفجاق والبولجار"[3].

ويضيف ابن الأثير وصفا آخر لمكونات الجيش المغولي في حديثه عن استيلاء المغول على مدينة الري فيقول:" وقد انظاف إليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك أيضا من المفسدين من يريد النهب والشر"[4].

---

[1] إيمي شوا: مرجع سابق، ص 159.

[2] محمود السيد: مرجع سابق، ص 90.

[3] نفسه، ص 91.

[4] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 410.

وبقي المغول يعتمدون على الفرد المغولي كمادة للجيش، حتى استمرت فتوحاتهم وقامت دولتهم في البلاد التي خضعت لهم، حينئذ بدأوا يستفيدون من خدمات سكان البلاد المفتوحة في التجنيد لسد النقص في جيوشهم، ولزيادة عددها، كما استعانوا بالأمراء المحليين الذين دانوا لهم بالطاعة والذين كان عليهم أن يقدموا عددا من جندهم إلى الخان في حالة الحرب[1].

وهذه العناصر التي تشكل منها الجيش المغولي، حدث فيما بعد أن انضم إليها بعض القوى من خارج المنطقة كحلفاء للمغول، فمثلا في عام 658هـ/1260م عندما هاجمت قوات المغول مدينة حلب ومدن الشام الأخرى اشتركت معهم قوات أخرى كالفرنج الصليبيون والروم والأرمن، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم كانوا على رأس الجيش المغولي الذي دخل مدينة دمشق[2].

وكان الجيش المغولي كلما توغل غربا كلما زاد عدد الأتراك الذين انضموا إليه طوعا أو كرها، ففي أيام الزحف على خراسان كان جيش جنكيزخان يتألف من الأتراك بصورة رئيسية شبه عامة، وكان جنكيزخان يعمد دائما إلى إغراء الأتراك الذين كانوا يخدمون في جيوش الأعداء بأن يهجروا تلك الجيوش وينضموا إلى جيشه مذكرا إياهم بالحماقة التي يرتكبونها إذا استمروا بممارسة النزاع الأخوي[3].

[1] القزاز: مرجع سابق، ص 242.

[2] غنيمات: مرجع سابق، ص 45

[3] شبولر: العالم الإسلامي، ص ص 31- 32.

ثالثاً- وحداته وأقسامه:

عند الحديث عن تقسيمات جيش المغول يجدر بنا الإشارة إلى نوعين من التقسيمات وهما التقسيم من ناحية العدد الكلي للجيش، ونقصد به التقسيم إلى فرق وكتائب ومجموعات حسب تخصص الجنود، وتقسيم ثاني من حيث العدد والتشكيلة الميدانية أثناء المعارك والحروب.

أـ وحداته:

اعتنى جنكيزخان منذ تأسيس الجيش بكل أموره التنظيمية الأساسية والجزئية، وعمل على تطوير كل ما يتعلق به من تنظيم وتطوير في العدد والعدة، فإلى جانب ما تميز به الجيش المغولي من القوة والشدة والبأس نتيجة الطبيعة التي نشأ فيها، تميز أفراده بالوفاء والولاء لقائدهم، فنجده يتألف من وحدات متعددة تختلف حسب اختلاف المهام والمسؤوليات وهي كالآتي:

1- حرس الخان:

اختار جنكيزخان جماعة من حرسه الخاص كان يطلق على كل منهم إسم "كشيكجي" (كلمة مغولية معناها النوبة) منهم ثمانون شخصا لنوبة الليل، وسبعون لنوبة النهار[1].

[1] الصياد: مرجع سابق ، ص 360.

أطلق على المجموعة الأولى اسم "كيبتووت" وعلى الثانية اسم "تركووت" وكلتا المجموعتين كانت تكون حرس الحماية، وكان الحرس يضم رماة السهام والفراشين وحرس الأبواب وسواس الخيل[1]، وكان هذا التنظيم الأول الذي جرى سنة599هـ/1203م عقب انتصار جنكيزخان على الكرايت.

وفي عهده نشأت المؤسسات العسكرية التي عززت كفاءة المغول وسرعان ما تحول حرسه الخاص إلى فيلق من خيرة المحاربين المخلصين المتميزين والمنضبطين للغاية، فاختار جنكيزخان من بينهم قادته ومستشاريه[2].

وبخلاف الحرس الخاص كان لدى جنكيزخان ألف شخص من صفوة المحاربين ويعرف واحد باسم "بهادر"، وتعني المقاتل أو الشجاع، وكان هؤلاء المحاربون يتقدمون طلائع الجيش وقت الحرب[3]، وعن وصف تلك الفرقة يضيف ثروت عكاشة في حديثه عن عملية اقتحام جنكيزخان لسور الصين في وصف للحرس بقوله:" هذا بالإضافة إلى ألف من الرجال الأشداء كانوا حرس جنكيزخان الخاص يمتطون جيادهم السوداء"[4].

كان عدد الحرس الخاص الذي أنشأه جنكيزخان يقوم بحراسته في بداية الأمر يتكون من 70 رجلا فقط[5].

---

[1] بارتولد: تركستان، ص 548.

[2] هيلدا هوخام: مرجع سابق ، ص 227.

[3] عباس إقبال: تاريخ المغول، ص 122.

[4] ثروت عكاشة: إعصار من الشرق "جنكيز خان"، ط5، دار الشروق، القاهرة، 1992، ص ص 115.116.

[5] بروي: مرجع سابق، ص 273.

وهذا وقد أجري تنظيم جديد للحرس في عام602هـ/1206م عندما كسر تيموجين التايمان ورفع عدد الحرس بشكل متدرج، وبهذا أصبح الحرس يضم الآن عرشة آلاف رجل[1].

أوكلت إلى فرقة حرس الخان أهم مهمة في الدولة، وهي حماية أعلى رأس الهرم فيها، وهذا الفريق يقوم على خدمة الخان مباشرة، ولا يخرج إلى الحرب إلا إذا كان الخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال[2]، فهم من خيرة الجنود وأكثرهم وفاء وأطولهم باعا في خدمته، ويعكس عدد أفرادها الكبير مقدار سطوته وثرائه والتي أطلق عليها إسم الحرس الإمبراطوري[3].

كانت الغاية التي يسعى جنكيزخان إليها، بأن يكون لديه كتيبة منتقاة من الرجال العسكريين مثل حرسه الشخصي الذي يعول عليه لحراسة مراكز سكناه ومعسكراته المتنقلة، بالإضافة إلى سعيه لإيجاد منظمة تكون تحت قيادته ومراقبته الدائمة والشخصية، لتصير مدرسة لتخريج ضباط يكونون موضع ثقته[4].

وكان لحرس الخان شأن كبير في دولة المغول، فقد كان الجندي الواحد منهم أعلى مرتبة من قائد الألف رجل في الجيش ويتم إختيار هؤلاء بعناية، عرفوا بالقوة وشدة البأس وهؤلاء

[1] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص325. بارتولد: تركستان، ص 549.

[2] الصياد: مرجع سابق ، ص 360. العريني: مرجع سابق، ص 56.

[3] لاين: مرجع سابق، ص 153.

[4] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 104.

يقومون بخدمة الخان ويلازمونه ولا يخرجون للقتال إلا مع الخان نفسه ولا يتلقون الأوامر إلا منه[1].

وكان جيشه الخاص ويبغ عدده عشرة آلاف رجل من أشداء الرجال، هو قوام قوته وسلطته وكان ألف من هؤلاء يؤلفون حرسه الخاص، والواقع أن جنكيز خان أخضع حرسه هذا لتدريب عنيف أساسه العدل كان يشرف عليه بنفسه، وكان كل من أفراد الحرس يعد مساويا في الرتبة للقواد[2].

وعلى قدر مهمة هذه الفرقة ومكانتها في الدولة المغولية كان يتم إختيار أفرادها بعناية كبيرة ويشير إلى ذلك فلاديمير ستوف مبينا الشروط التي وضعها جنكيزخان في اختيارهم قائلا:" وهؤلاء الرجال الذين سيرتبطون بين شخصيا يجب أن يتم إختيارهم من بين أبناء الإشراف أو من المواطنين الأصليين، ولا بد أن يكونوا رشيقي القوام وذوي أجسام قوية وأصحاب قوة شديدة التحمل"[3].

2ـ الفرسان:

تعتبر وحدة الفرسان من أهم الوحدات في الجيش المغولي إذ أن المغولي بطبيعته يعتبر فارسا وقد اكتسب الفروسية منذ نعومة أظافره، وحين وقت فراغه وخاصة أثناء ممارسة عملية الصيد، إذ يشير الجويني إلى أن عملية الصيد التي كان يقوم بها المغول

[1] الصلابي: المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة، بيروت، 2009، ص 81.

[2] بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ط5، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 383.

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص ص 104-105.

هدفها لم يكن الصيد لذا تبدل ليتمرنوا ويتعودوا على القتال ورمي السهام وتحمل الصعاب والمشاق[1].

هذه الفرقة عادة ما تكون في القوات الأمامية مرتدية دروعا كاملة راكبين على خيول مغطاة بدروع لحمايتها وذلك لكثرة تعرضها للأخطار أكثر من غيرها[2]، إذ أن العنصر الأساسي في جيش جنكيزخان يتألف من الرماة الفرسان[3]، حيث بقيت وحدات الفرسان أهم وحدات الجيش لسرعة تحركها وخدماتها المتفوقة ـ إلى حد بعيد ـ أفضل من كل ما استطاعت تعبئته آنذاك الإمبراطوريات المتحضرة[4].

كان الجيش المغولي يختلف بشكل صارخ عن الجيوش التقليدية، ذلك أن جميع أفراده كانوا من الخيالة، وكان عدم وجود الجنود المشاة بين أفراد الجيش المغولي قد وفر له ليس فقط حرية وسرعة حركة أكبر بل قدرة على توجيه ضربات مفاجئة وحاسمة[5].

وفي وصف للمغول يشير رنسيمان أن حياة المغول ومعيشتهم في طبيعة خاصة جبلتهم على الفروسية، "كانوا يؤلفون جيشا من الفرسان والرماة امتطوا براذين سريعة العدو ودرج الرجال والأفراس منذ الولادة على ممارسة الحياة القاسية، والقيام بأسفار بعيدة عبر

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 67.
[2] محمود السيد: مرجع سابق ، ص 118.
[3] هيلدا هوخام: مرجع سابق ، ص 227.
[4] بروي: مرجع سابق ، ج3، ص 275.
[5] ايمي شوا: مرجع سابق ، ص 159.

الصحاري، ليس لديهم إلا قدر قليل من الزاد والماء، وهذا الإرتباط بين سرعة الحركة والنظام والأعداد الضخمة لم يكن معروفا من قبل"[1].

وفي حديث ماركو بولو عن جيوش المغول وطريقة تشكيلها ونظام زحفهم يعطينا وصفا غريبا في ذلك، خاصة في عدد الأحصنة التي تتوفر للجندي المغولي في الجيش وطريقة المواجهة في المعرقة حيث يقوم الجندي بمناورة عجيبة تعتبر ميزة خاصة عنده،" ولكل رجل في المغول ثمانية عشرا حصانا وفرسا، وعندما يتقدم هؤلاء التتار للإشتباك يظلون يحومون حول أعدائهم ويطلقون عليهم سهامهم من كل جانب، متظاهرين أحيانا بالفرار، وهم يطلقون السهام إلى الخلف أثناء فرارهم على متعقبيهم فيقتلون الرجال والخيول كأنما يقاتلونهم وجها لوجه[2].

كانت هذه الخيالة مقسمة إلى ثلاثة أنواع:

أ- **السرايا الفدائية:** واجبها فتح المعركة وذلك بالشروع بالقتال والاشتباك مع العدو.

ب- **سرايا الصاعقة:** وهي الخيالة الثقيلة واجبها التغلغل في صفوف الأعداء واستثمار الفوز.

ج- **السرايا الخفيفة:** وهي من الخيالة الخفيفة واجبها المطاردة وستر الجناحين في القتال[3].

3 ـ المشاة:

[1] رنسيمان: مرجع سابق ، ص ص 417-418.

[2] ماركو بولو: مصدر سابق، ج1، ص ص 144-145.

[3] محمد أمين: مرجع سابق ، ص 85.

تأتي وحدة المشاة بعد الفرسان في الجيش المغولي من حيث الأهمية، وذلك لدورهم الكبير الذين يقومون به في المعارك، وتأتي ذلك لما اكتسبه المغول من شخصية في حياة البداوة في منطقة فرضت عليهم أن يتمرسوا على فنون الحرب والقتال أثناء أدائهم لواجباتهم اليومية، ومهامهم المستمرة خاصة أعمال الصيد فانعكس ذلك بشكل إيجابي في صقل ذهنياتهم القائمة وتعلم الفنون الحربية والجلد وتكوين الجندي في الحالة السلم والحرب.

كانت فرقتا الفرسان والمشاة دائما مصاحبتين لبعضهما البعض نظرا للدور الكبير الذي كانوا يقومون به في المعارك وذلك لكونهم في مقدمة الجيش فيقع على عاتقهم تحقيق النصر في المعارك[1].

عندما هاجم المغول مدينة سمرقند أمر جنكيزخان الفرسان بالسير في المقدمة ويليهم المشاة حتى أن الفرسان وصلوا إليها قبل المشاة بيوم، ثم أمر جنده بنصب كمين للقوات الخوازرمية وذلك بتظاهر الفرسان بالانسحاب ونصب المشاة الموجودين في الخلف كمينا لهم[2].

[1] الدباغ: مرجع سابق، ص 131.

[2] غنيمات: مرجع سابق، ص 59.

وفي سنة 651هـ/1253م حينما هاجم المغول قلاع الملاحدة، كانت مقدمة جيش هولاكو تحت إمرة "كيتو بوقا نويان" الذي سار على رأس 5000 فارس و 5000 من الرجال متوجها إلى قلعة "كردة كوه"[1].

من الملاحظ أن جيش المغول كان تقريبا أ من حيث العدد- متوازنا بين الفرسان والمشاة وذلك لأهمية وحدة المشاة ودورها في الأعمال العسكرية والغزوات التي بلغ بها المغول إلى أقاصي الشرق والغرب من آسيا.

4- النشابون:

وهم الرماة، وهم الجنود الذين يستخدمون النشاب في المعارك، وكانت هذه الفرقة في جيش المغول من أمهر الرماة بالقوس والنبال، وذلك لما اكتسبوه أثناء مزاولتهم للصيد، غذ أن عملية الصيد عن المغول كانت تتم بالسهام، حيث تضرب الحلقة على عدد كبير من الحيوانات، حتى إذا ما ضاقت تلك الحلقة أكثر، انطلقوا في مطاردتها فيأخذون في رميها بالسهام صائدين[2].

[1] الهمداني: جامع التواريخ، مج2-ج1 (الإيلخانيون تاريخ هولاكو)، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة وتقديم: يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العلمية، د.ت.ن، ص 243.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 68.

هذا ما أعطى الجيش المغولي صورة مخيفة لدى أعدائهم نتيجة مهارة وخفة النبالين الذين يهاجمون بصورة مفاجئة وبضربات دقيقة وحركة خفيفة خاطفة فيعتقد الأعداء أنهم أمام جيش كبير لا يحصى له عدد[1].

نتيجة للممارسة المستمرة في استخدام النشاب، نشأ المغولي منذ صغره على تعلم الرماية، حيث نجد نموذجا من ذلك تمثل في قسار شقيق جنكيزخان الصغير الذي كان رامي سهام ماهر منذ طفولته[2]، لذا كان حِرص المغول على ممارسة الصيد حرسا شديدا كحرسهم أثناء حروبهم، وكان القادة يحثوا الجند على ممارسته لهدف التمرن والتعود على القتال ورمي السهام[3].

لعبت فرقة النشابون دورا هاما في الأعمال العسكرية المغولية خاصة في البلاد الإسلامية، وتمثل ذلك في المجازر التي كانوا يقومون بها ضد الأسرى في المعارك، وحتى السكان العزل، والأمثلة كثيرة في هذا لا حصر لها نذكر منها ما أورده العيني من أحداث موقعة "كوساداغ" سنة 654هـ/1256م بين التتار والسلاجقة وأن هجوم التتار كان بالسهام الكثيرة التي وصفها شهابا كالشهب المحرقة، وكان السهم لا يقع إلا في الفارس أو الفرس[4].

---

[1] بروي: مرجع سابق، ج3، ص 347.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 40.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص 67.

[4] العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك، ج1، تحقيق: د. محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010، ص 119. المنصوري: زبدة الفكرؤة في تاريخ الهجرة، ط1، تحقيق: دونالدوس ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998، ص 21.

ومنها ما أورد النسوي، ففي سنة 617هـ/1220م عندما هاجم المغول مدينة "نسا"[1] بقيادة صهر جنكيزخان "تفجار نوين"، وبعد دخول المدينة واستباحها، قاموا بإخراج السكان خارج المدينة" فساقوهم إلى فضاء وراء البساتين، ثم أمروهم بأن يكتف بعضهم بعضا، جاؤوا إليهم بالقوس وأضجعوهم على العدا، وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهوام[2].

وأخذ جنكيزخان أسلوبا جديدا للنشابين بعد أن حارب الخوارزميين، حيث أفاد من أسلوبهم في التسليح، فلقد درع الخيل بالجلد المقوى وجعل لكل فارس قوسين، قوسا ستعملها وهو راكب وأخرى وهو راجل، وجعل له جعبتين للسهام تضم أنواعا ثلاثة منها للمسافات البعيدة وأخرى للمتوسطة وثالثة للقريبة[3].

5- المنجنيقيون:

وهذه الفرقة كذلك لها من الأهمية بمكان في الجيش المغولي، إذ أنها مهمتها تتمثل في قصف ورجم الأعداء داخل المدن والحصون والقلاع، وذلك برجم الحجارة والقاذفات عليهم.

على أن المغول لم يألفوا مهاجمة المواضع المنيعة التحصين، ولم تبدأ جيوش جنكيزخان في تعلم الحصار في الحرب إلا حينما دخل في خدمته مهندس من مملكة كين الصينية[4]. لكن الجيش بعد تطوره اقتبس أنواعا أخرى من الأسلحة وهي التي أصبح يحتاجها عند

---

[1] من أعمال خراسان، مدينة كثيرة المياة والبساتين، وهي في الشمال من سرخس وعلى سبعة وستين فرسخا، وفيها قلعة حصينة ويقال للمدينة بالعجمية "جيفول"، ينظر: أبو الفداء: مصدر سابق، ص 401.

[2] النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953، ص ص 114-115.

[3] ثروت عكاشة: مرجع سابق، ص ص 154-155.

[4] رنسيمان: مرجع سابق، ص ص 418-419.

حصار المدن خاصة، ومنها المنجنيق الذي كان يستعمل لقذف الحجارة على المدن المحصورة لتهديم أبراجها وقتل الجنود الذين يدافعون عنها[1].

يمكن اعتبار الفترة التي تلت توسعات المغول في الصين هي البداية لإستخدام المنجنيق، فقبل عام 612هـ/1215 لم يعرفوا استخدامها، ويرجع الفضل في ذلك إلى المهندس الصيني "ليو بولين" الذي دخل في خدمة جنكيزخان ودرب القوات المغولية على فن وطرق الحصار باستخدام المنجنيق[2].

سارع جنكيزخان بإدخال هذا التنظيم إلى جيشه الذي يدربه المهندس الصيني، وكان إلى تلك الفرقة إختيار أماكن الرمي وإعداد المجانيق وإطلاقها، وكانت تلك المجانيق لا تنقل إلى ميادين الحرب كاملة، بل كانت تنقل مجزأة لتركب في المواقع المختارة، حتى إذا ما انتهت الحرب فكت لتحمل مجزأة إلى حيث تخزن[3].

يتضح من ذلك أن المغول بدأوا في إستخدام هذا النوع من السلاح في أعمالهم العسكرية بعد سنة 612هـ/1215م، وكانت البدايات في المدن الإسلامية في إقليم ما وراء النهر، وقد تمكنوا بواسطته من تدمير تلك المدن وقتل سكانها مثل سمرقند[4].

---

[1] القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970، ص 250.

[2] الدباغ: مرجع سابق، ص 133.

[3] ثروت عكاشة: مرجع سابق، ص 154.

[4] غنيمات: مرجع سابق، ص ص 68-69.

قد ذكر ابن العبري ذلك عند حديثه عن حصار المغول لمدينة خوارزم حيث اجتمع العساكر المغول ورتبوا آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها من قطع أشجار التوت[1]. كما نصب المغول على مدينة "نسا" بعد حصارها خمسة عشر يوما منجنيقا تجذبها الرجالة الذين جمعوا من أطراف خراسان، ثم انتقلوا إلى مدينة "نيسابور" أواخر سنة 618هـ/1221م ونصبوا حولها مائتي منجنيق مكملة الأسباب فرموا بها واستولوا عليها[2].

بعد ذلك دأب المغول على إستعمال المنجنيق في حروبهم على البلاد الإسلامية، عندما استعصت مدنها وقلاعها عليهم في السنوات التالية، خاصة أثناء غزوهم لإقليم خرسان،

ويعطينا الجوزجاني وصفا لبعض هذه الأعمال التي قام بها جيش المغول في هذا الإقليم، ففي ربيع الأول سنة 618هـ/1221م دك المغول قلعة "نصر كوه" بطالقان وحطموا السور بضربات الحجارة والمنجنيق ثم استولوا عليها، وفعلوا نفس الشيء بعد محاصرة مدينة هراة التي نصبوا حولها المجانيق ودمروها بعد ثمانية أيان حتى استولوا عليها، ومثله فعله المغول على مدينة "سيستان" التي حاصرها المغول بجيش جرار منه عشرة آلاف من رجال المنجنيق لدك قلعة "اشيار" وعلى هذا ضربوا مدن خراسان بأسرها[3].

كما استعمل هولاكو في جيشه الذين حاصر به حلب سنة 658هـ/1260م عشرين منجنيقا حطموا به سور المدينة ليدخلها المغول مستبيحين المدينة قتلا وتخريبا[4].

---

[1] ابن العبري: مصدر سابق، ص 410.

[2] النسوي: مصدر سابق، ص ص 114-118.

[3] الجوزجاني: مصدر سابق، ص ص 132-141، ابن واصل: مصدر سابق، ص 58.

[4] الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص 176.

من خلال هذه النصوص والروايات يتضح لنا مدى استفادة المغول من استخدام المنجنيقات في اقتحام المدن وإخضاع سكانها، ومدى أهمية فرقة المنجنيقين في الجيش المغولي.

6- الجواسيس (العيون):

تعددت صفات وتسميات هذه الفرقة ومهماتها في الجيش المغولي، فنجدها أحيانا غير منتمية إلى القوات بصفتها المدنية وقد تتمثل في التجار أو الرجال العاديين، كما نجدها في مواضع أخرى تشكيل في الجيش بصفته العسكرية.

فمن الصفة الأولى نجد أن جنكيزخان لما استولى على أترار إستعمل بدر الدين العميد الذي كان ينوب عن وزير السلطان الخوارزمي بأترار في مكيدة لإفشال قوة هذا الأخير، هدفها توهم خوارزمشاه مشاه من أمرائه وتفريقهم من حوله، كما عرفه على الوحشة والتنافر بين خوارزمشاهمشاه ووالدته، مستعملا في ذلك كتبا مزورة تزرع الفرقة بينهم، فإستعمل جنكيزخان ذلك لصالحه نتيجة ما اكتسبه من معلومات هامة من عند بدر الدين العميد، وقد أشار إلى هذه الحادثة النسوي بالتفصيل[1]، كما استعمل التجار لهذه المهمة، فحين أرسل مجموعة من التجار منهم المسلمون في قافلة إلى بلاد خوارزمشاه، إذ أخذنا برأي من يرى أن هؤلاء الذين كانوا في تلك القافلة هم جواسيس وليسوا تجارا، وكانت نهايتهم القتل من قبل نائب السلطان على مدينة أترار [سيأتي ذكرها بالتفصيل-.

[1] النسوي: مصدر سابق ، ص ص 92-93.

حيث اتخذ جنكيزخان من حادثة مقتل تجار المغول من قبل حاكم أترار حجة للهجوم على الخوارزميين، رغم أن هدفه من إرسال التجار لم يكن لغرض التجارة، وإنما لجمع المعلومات الإستخبارية عن الخوارزميين، وفعلا استفاد من تلك المعلومات من خلال خطة عسكرية محكمة بالقضاء عليهم[1].

فضلا عن هذا فقد كان في معية جنكيزخان وفي معية أبنائه أيضا عدد من التجار المسلمين الذين قاموا بمهمة الوساطة بين المغول والسكان، وعملوا دون شك على تعريف المغول بظروف الأحوال في كل موضع، بينما تؤكد خطط جنكيزخان الإستراتيجية وأسلوب تنفيذها أن الظروف الجغرافية للمنطقة كانت معروفة لديه جيدا[2].

أما الصفة الثانية وهي فرقة الجواسيس العسكرية المنظمة والمهيكلة عسكريا فهي هيئة خاصة للإستخبارات (الرتل الخامس) في الدول المجاورة[3]، وهذا القسم يطلق عليه كذلك إسم الطليعة يتقدم لإستكشاف طريقة العدو ومناوشته وإرباكه، وقد تكون هذه الفرقة عددا محدودا من الجند[4].

وقد تكون مهمة هذه الوحدة عدا الإستطلاع وجمع المعلومات هي إعداد الطريق لحملة كبيرة، كالتي عملت عليها هذه الفرقة قبيل حملة هولاكو على إيران، حيث أرسل المرشدين ليختبروا الطريق التي تمر منه العساكر، وأرسل قوة بقيادة كيتوبوقه نويان التايماني

---

[1] الدباغ: مرجع سابق ، ص 134.

[2] بارتولد: تركستان، ص ص 580-581.

[3] الصلابي: مرجع سابق ، ص 83. محمد أمين : مرجع سابق ، ص 86.

[4] القزاز: مرجع سابق ، ص 249.

للإستطلاع، وبلغ عددها اثنا عشر ألف رجل، عملت على فتح ولايات قهستان وإعداد الطريق في انتظار وصول حملة هولاكو[1].

ونجد بروي يصف هذه الفرقة بتجهيزاتها وعددها ومهمتها، ويسميها بالكشافة فيقول:" عندما يقرر الإمبراطور موعد الحرب، يرسل قبل يومين بضع مئات من الفرسان الكشافة، إذ أن الجندي لا ينتقل سوى قربتين ملأيين بلبن الفرس، وإناء للطهي ومظلة تقيه من المطر، ومن هنا فجميع الإحتياطات متخذة إذن لتأمين سهولة تحرك الجيش[2].

ونستنتج أن وجود هذه الوحدة المنظمة في هيكلة الجيش المغولي من أهم أسباب نجاحاته وتفوقاته الميدانية الحربية على جميع الأصعدة، إذ كان أفرادها يستعملون جميع مهاراتهم وتقنياتهم وقصارى مجهوداتهم لرسم الطرقات والحصول على المعلومات من الأعداء وترصد جميع التحركات عن مداخل المدن ومخارجها ومدى حامياتها وقواتها العسكرية.

ب ـ أقسامه:

أما التقسيم الذي نشأ في الجيش المغولي، نجده جاء من حيث العدد الكلي للجيش والتشكيلة الميدانية أثناء الحروب، وهذا التقسيم يقوم على نظام العشرات والمئات والألوف وعشرات الألوف من الجنود، وهذا ما عرف بالنظام العشري.

[1] الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ هولاكو)، ص ص 235-236.
[2] بروي: مرجع سابق ، ص 374.

ويبدو من كلام جورج لاين أن هذا النظام لم يكن من إنشاء جنكيزخان ولم يكن مستحدثا في الجيش المغولي، بل ورثه من أسلافه زمن الإتحاد الأول بين القبائل في آسيا الوسطى في القرن الثالث قبل الميلاد[1].

كان على جنكيزخان تنظيم القوة العسكرية في إطار جيش قومي، وتلك هي المهمة التي حملها على عاتقه، وهكذا قسم الجيش كله إلى أقسام عشرية[2]، فمن أحسن الترتيبات وضعهم أمراء الألوف والمئات والعشرات، فهو أضبط لما يحاولونه، وأسرع إفهام لما يطلبونه[3].

وقسموا الخلائق إلى مجموعات تضم كل مجموعة عشرة وعينوا واحدا من كل عشرة أميرا على التسعة الباقيين، واختاروا واحدا من بين كل عشرة أمراء وأسموه أمير المائة، أخضعوا المائة كلها لأمره، وتمضي هذه النسبة حتى الألف، فإذا ما وصلت إلى عشرة آلاف، نصبوا عليهم أميرا يدعونه بأمير التومان[4].

وعن هذا التشكيل المنظم يعطينا ماركو بولو وصفا في تنظيمه قائلا :" ينظمهم بالطريقة التالية: فيعين ضابطاً على كل عشرة رجال، وآخرين لقيادة كل مائة وكل ألف وكل عشرة آلاف على التعاقب"[5].

---

[1] جورج لاين: مرجع سابق ، ص 63.

[2] شبولير: المغول في التاريخ، ص 20.

[3] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث (ممالك الشرق الاسلامي والترك ومصر والشام والحجاز)، تحقيق: أ. د. أحمد عبد القادر الشاذلي، الجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، 2003، ص 109.

[4] الجويني: مصدر سابق، ص 70.

[5] ماركوبولو: مصدر سابق، ج1، ص 143. فتيحة النبرواي و نصر مهنا: مرجع سابق ، ص 77.

وكان الجنود موزعين على الوحدان العشرية السابقة ذكرها والتي هي كالآتي:

- **الأربان:** عشرة جنود.
- **الجاغون:** مئة جندي.
- **المينغان:** ألف جندي.
- **التومان:** عشرة آلاف جندي[1].

ونجد ماركو بولو يطلق على مجموعة المائة الألف جندي إسم "توك" "tuc"[2].

ويسمى قائد التومان "نويان" أو "نوين"[3]، ويتم الإشراف على هذه الوحدات من قبل قائد يسمى "جورتشي"[4] ويتم تعيين الأشخاص القادة لهذه الكتائب وهم ذوو خبرة ومراس، ومعروفين شخصيا لدى الخان[5].

وعلى رأس كل قادة هذه المجموعات أمير: وهو أمير الأمراء يطلق عليه إسم: "بكلاري بك" الذي يعود له كل أمور الجيش[6].

---

[1] لاين: مرجع سابق، ص 153.

[2] ماركو بولو: مصدر سابق، ج1، ص 144.

[3] الصلابي: مرجع سابق، ص 82.

[4] لاين: مرجع سابق، ص 153.

[5] فلاديمير ستوف: مرجع سابق، ص 93.

[6] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، دار الكتب الخدوية، القاهرة، 1914،ج4، ص ص 423-424.

ويعطينا العزاوي ألقاب أمراء الفرق الذين تولوا هذا المناصب وهي قائد التومان يسمي "نويان" أو "نوين" وقائد الألف يقال له "بيكباش"، وقائد المائة يدعى "يوزباش" وقائد العشرة يسمى "أونباشي"[1].

وأثناء الحرب كانت التومانات تنتظم في ثلاث تشكيلات أساسية وهي الجناح الأيسر والأيمن والقلب، وكانت تلك التشكيلات الدائمة للجيش[2].

بالإضافة إلى هذه التشكيلات الثلاث وجدت المقدمة والمؤخرة واللتان هما تشكيلتان إضافيتان مع الجيش، أوردهما ماركو بولو في قوله:" وعندما يتقدم الجيش لأداء خدمة، يرسلون أمامه كوكبة من الرجال تتقدمه مسيرة يومين، وتوضع فصائل في جناحيه ومؤخرته رغبة في الحيلولة دون مهاجمته على حين غرة[3].

رابعاً- أسلحة الجيش المغولي:

اعتبر كافة المغول جنودا في الجيش وعليهم حمل السلاح إذا ما دعت الحاجة ولذلك أعتبر المغولي راعيا للأغنام في السلم وجنديا أوقات الحرب، وكان على الجميع تدريب أنفسهم وإعداد الأسلحة اللازمة للقتال[4].

---

[1] العزاوي: مرجع سابق، ص 131، شبولر: العالم الإسلامي، ص 27.

[2] شبولر: المغول في التاريخ، ص 20.

[3] ماركوبولو: مصدر سابق ، ج1، ص 144.

[4] سعيد عمران: المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، د. م. ن، 2003، ص 40.

وأثناء حروبهم استعمل المغول أنواعا مختلفة من الأسلحة، منها المحلية التي نشأ المغولي على استعمالها، ومنها ما جلبت من الأقطار التي غزاها المغول، حيث تعرفوا على بعضها أثناء غزواتهم خارج منغوليا، وإمتازت أسلحة المغول من ناحية حجمها وشكلها بتنوع خفيف وثقيل فردي وجماعي، وحسب إستخدامها تنوعت كالآتي:

- أسلحة خفيفة محلية:

وهذا النوع من الأسلحة استعملها المغول منذ القدم، وكانت تستعمل من قبل فرد أو جندي واحد وهي ملازمة لهم من أهمها:

السيف: هو السلاح الملازم للجندي المغولي في سلمه وحربه، يعلق في خصره أو يحمله بيده، مصنوع من الفولاذ والحديد.

وهو سلاح هجوم للفرسان ويحمل باليد، ويكون ذا نصل طويل مستقيم أو مقوس، مثبت في مقبضه وله واقية لليد في كثير من الأحيان فكان الفارس بدون سيف يكون مجردا من حق المشاركة في القتال[1].

احتل السيف مكانة مرموقة بين جميع أنواع الأسلحة التي استخدمها المغول، حيث ساعدت طبيعة منطقتهم الزاخرة بالجبال الغنية بالمعادن على إزدهار صناعة السيوف[2]، كما يعتبر سلاح المحارب الخفيف[3].

[1] الدباغ: مرجع سابق، ص 136.

[2] غنيمات: مرجع سابق، ص 88.

[3] لاين: مرجع سابق، ص 160.

وقد ورد في الكثير من المصادر التاريخية هجومات المغول على أعدائهم خاصة أثناء غزوهم للبلاد الإسلامية، أنهم استعملوا السيوف لقتل سكان المدن التي إقتحموها.

إذ يورد ابن واصل خلال حديثه عن غزو المغول لأقاليم الخوارزمية أن المغول استعملوا سيوفهم في قتل السكان في بخارى التي اقتحمها المغول يوم الثلاثاء 04 ذي الحجة 616هـ فدخلوها "وبذلوا فيها السيف"، ونفس الشيء فعلوه في مدينة قزوين التي "هجموها بالسيف".

وفي هجموهم على تفليس حين هزموا الكرج "وركبتهم السيوف من كل جانب"، وكذا فعلوا بالبلغار حين كمنوا لهم وأخذهم السيف من كل ناحية[1].

وفي حديثه عن بعض حروب المغول يورد لنا ماركو بولو بعضا من طرائف حربهم وأسلحتهم في قوله:" حتى إذا أفرغوا كل سهامهم يستلون سيوفهم ودبابيسهم، وينقضون بها بعضهم على بعض بضربات عنيفة"[2].

القوس والنشاب:

يعتبر هذا النوع من السلاح من أهم أنواع الأسلحة في الجيش المغولي حيث تميزوا به لإستعمالهم المستمر في حياتهم، خاصة وأنهم يتدربون عليه كثير أثناء عملية الصيد وطيلة حياتهم اليومية.

اشتهر المغول بمهارتهم في الرماية، سواء أكانوا مراجلين أم فرسانا واضعين هذا السلاح في جعبة مثبتة على ظهورهم تحوي ستين سهما، وقوسين مصنوعين من أعواد الخيزران

[1] ابن واصل: مصدر سابق، ص ص 43-47-48-56.

[2] ماركوبولو: مصدر سابق، ج3، ص 107.

وأوتار ثور التيبت الضخم وقرونه، وهب تلصق ببعضها وتثبت بحيث تصبح شديدة التماسك والمرونة والقوة في الوقت نفسه[1].

يصف لنا ماركو بولو تفوق المغول وخبرتهم العالية في استعمال القوس إذ أنه هو السلاح الذي هم فيه خبراء يجيدون إستخدامه إلى أقصى حد، وذلك لتعودهم منذ نعومة أظافرهم أطفالا على إستخدامه في رياضاتهم[2].

تميزت فرقة المؤخرة المكونة للقلب في جيش ا لمغول بإستخدامها لهذا السلاح لأنه يتناسب مع طبيعة عملها ومهمتها، بإعتبارها أسلحة خفيفة تسهل عليها الحركة أثناء تقديم المساعدة للقوات الأمامية[3]، فكان سلاحهم قوسين وثلاثة أنواع من السهام، فأخذ القوسين كان يستعمل للرمي راكبا، والآخر للرمي عند الترجل لزيادة الدقة في التصويب، وكان النوع الأول من السهام يستعمل لخرق الدروع، والنوعان الآخران للقتال الإعتيادي، الراكب والراجل[4].

وعن طريقة استعمال المغول لهذا السلاح في القتال، فإنهم عندما يخرجون للحرب يكلف كل واحد منهم بحمل ستين سهما، ثلاثون منها ذات حجم أصغر أعد للرماية عن بعد، على حين أن الثلاثين الأخرى أكبر حجما، ولها نصل عريض فيعمدون إلى إستخدام هذه الأخيرة

---

[1] لاين: مرجع سابق ، ص 159.

[2] ماركوبولو: مصدر سابق، ج1، ص 142.

[3] سعيد عمران: المغول والأوروبيون، ص 41. فايد عاشور: مرجع سابق ، ص 34. محمود السيد: مرجع سابق ، ص 118.

[4] ماركو بولو: مصدر سابق، ج3، ص 106.

عن قرب ويضربون بها أعدائهم في وجوههم وأذرعهم[1] دون الإشتباك مع العدو، عدا عن ذلك فإنه يسبب إحتمال الموت لمن يصيبه، دون أن يعلم من أين يأتيه السهم[2].

أدى إستخدامهم المتزايد للحديد في صناعة أسلحتهم كرؤوس السهام، ويحملون مبردا في جعابهم لإبقائها حادة على النحو المرغوب فيه، وكان هناك نوع آخر من السهام النارية التي كانت تصنع بوضع بارود بطيء الإشتعال في رؤوسها تضرم النار في المواد قابلة الإشتعال[3].

وعن طريقة صنع هذا السلاح يوضح لنا جورج لاين كالآتي: يشد القوس باتجاه انحنائه الطبيعي بوتر مما يعطيها قوة دفع تمنح الرامي القدرة على التسديد والإصابة بقوة، وقاتلة في أغلب الأحيان، ولجعل رؤوس السهام حادة تسخن بداية على النار لدرجة الاحمرار، قم تغمس في ماء شديد الملوحة ويمكنها اختراق الدروع ويستخدم ريش النسور لموازنتها وأحيانا يضاف السم لرؤوسها[4].

اهتم المغول إهتمام كبيرا لهذا النوع من السلاح، حيث أولى خاناتهم حرصا شديدا لإكتسابه، ولعل الحكاية التي أوردها الهمذاني لدليل على إهتمام أوكتاي بصاحب مهنة صقل

---

[1] الدباغ: مرجع سابق ، ص 138.

[2] محمد فتحي أمين: مرجع سابق ، ص 49.

[3] هيلدا هوخام: مرجع سابق ، ص 227.

[4] جورج لاين: مرجع سابق ، ص 159.

السهام الذي مثل بين يديه فأغدق عليه الخان بمئة وسبعون كيسا من النقد مقابل أن يحضر في كل سنة عشرة آلاف من السهام المصقولة[1].

وفي عهد قوبيلاي كان في قصر الخان مبان مخصصة تودع فيها المخزونات العسكرية وقد خصص لكل نوع من الأسلحة مبنى تودع فيه، بينما تشغل القسي والأوتار والسهام وجميع الأدوات الأخرى التي تخص النشابة (الرماة) مخزنا آخر[2].

[1] الهمذاني: جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ص 78-79.

[2] ماركو بولو: مصدر سابق، ج2، ص 28.

الفصل الثالث

حروب المغول وتوسعاتهم

أولاً- حروبهم في الصين

ثانياً- القضاء على كشلوك النيماني والدولة القراخطائية

ثالثاً- غزو القفجاق وروسيا وشرق أوربا

رابعاً- غزو إقليم الدولة الخوارزمية

كنا قد تطرقنا في الفصل السابق إلى جملة من الأعمال التي قام بها جنكيز خان في منغوليا، تعتبر بمثابة حروب داخلية استطاع من خلالها أن يخضع جميع شعوب المنطقة تحت سلطانه ويكسر شوكة خانات وزعماء القبائل التي عارضت مشروعه التوسعي، حيث استطاع أن يجمع قوة عسكرية تضم مختلف شتات القوة الخاضعة مكونة من أشد وأمهر المقتلين، ليبدأ بعدها مرحلة جديدة من التوسع تعتبر أكثر قوة وأشد عنفا، خاض فيها سلسلة من الحروب كانت نتيجتها إرساء قواعد الإمبراطورية الناشئة ليتم أبناؤه بعده بنائها وتوسيعها حتى أصبحت أكبر امبراطورية عرفها التاريخ.

عند الحديث عن حروب المغول يمكن القول أن هذه الحروب التي انطلقت مع مؤسس الدولة جنكيز خان بداية من منغوليا ثم الأراضي الجنوبية منها من حيث القوة الصينية وبعدها الجهة الغربية من منغوليا لتشمل كامل أراضي الأتراك عندما اجتاحت الدولة الخوارزمية مرورا منها إلى الأراضي الروسية والجنوبية منها مثل القفجاق وبلغاريا وما وراء نهر الفولغا وصولا إلى كشف نقاط الضعف في أروبا الشرقية، وتواصلت الأعمال العسكرية مع أبناء جنكيز خان وأحفاده من بعده، كل هذه الأعمال كانت بمثابة غزو مبهر وإخضاع منقطع النظير لكثر من القوة أنا ذاك، مثل الدولة العباسية وبدون هزيمة تقربا إلى أول هزيمة وانكسار ووقف للزحف والتوغل خاصة نحو الغرب وبالضبط في عين جالوت على حدود دولة المماليك المصرية.

امتدت هذه الحروب والغزوات فترة طويلة من الزمن تعتبر عصر القوة للإمبراطورية المغولية، بدأت في عهد جنكيز خان سنة 602هـ/1205 م واستمرت إلى غاية 658هـ/ 1260م عهد حفيده قوبيلاي.

كانت وجهة هذه الحروب في بداية الأمر نحو الشرق والجنوب من منغوليا، حيث توجد الأراضي الصينية التي كانت منقسمة إلى ثلاث ممالك مكونة كل واحدة منها امبراطورية منفصلة عن الأخرى وتحكم كل واحدة منها أسرة من الشعوب المتحضرة.

أولا: حروبهم في الصين الشمالية:

عمل جنكيز خان مباشرة بعد أن تولى قيادة القبائل المتحدة على توجيه أنظاره وأطماعه نحو الجنوب كغيره من أسلافه السابقة طمعا خلف الأسلاب والغنائم وسعيا وراء المجد.

حيث خاض في الأراضي الصينية حروبا طويلة منع الامبراطوريتين الواقعتين شمال الصين وهما امبراطورية الكين أو المملكة الذهبية والتي كانت عاصمتها بيكين في الصين الشمالية الشرقية، والأخرى مملكة التانغوت أو سي هيا شمال غربي الصين[1].

قبل الشروع في الحديث عن تفاصيل غزوات المغول في البلاد الصينية لا بأس أن نشير إلى بعض الأسباب والدوافع التي أدت إلى ذلك منها أنه بعد وضع الأسس الأولى

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 132. أحمد حطيط: مرجع سابق ، ص ص 16 أ 17.

للدولة المغولية كان لزاما على جنكيز خان النظر حوله في القوة المجاورة لإجاد مصادر لتأمين متطلبات وحاجيات دولته الناشئة وخاصة الأسلحة، فكانت وجهته بلاد الصين التي كانت أكثر جاذبية بحضارتها وعلاقتها التجارية[1]، واهتم بفكرة غزوها خاصة لما سعى قادة المكاتب المغولية في إغراء ملكهم واستحالته إلى هذه الفكرة لما شاهدوه في هذه البلاد أثناء مشاركتهم في الحروب بين الصينيين حينما استنجد أحد الملوك الصينيين بجنكيز خان ضد ملك أخر، وأثناء تواجد القوة المغولية في أرض ذات ثروة وغنى وعجائب كثيرة فتنوا كثيرا بحسنها، لأن بلاد الصين اخدت بخط كبير من الحضارة والمدنية، وخاصة لما شاهدوا ما للصينيين من باع في الحرب وفنونها، وما ملك الصينيون من أسلحة حربية ووسائل دفاعية ولعل ما زاد دهشتهم كما رأوا استخدام الصينيين البارود في حروبهم، وامام كل هذه الاغراءات اخد جنكيز خان يحضر جيوشه لغزو الصين الشمالية[2].

ثم إن بعض اسباب الغزو المغولي للصين نجد السبب الذاتي لجين كيز خان والذي يمثل في شيئين اثنين أولها رغبة الشديدة في الانتقام والثأر من الاسرة كين الحاكمة في الصين الشمالية وحكامها الذين كانوا يبذلون ما في وسعيهم ليبقي اقوام السهوب تحت المراقبة الدائمة وكبح جماحهم وتبنيهم في سبيل ذلك سياسة "فرق تسد" وذلك بإثارة النزاع والخلاف بين اولئك البدو من اقوام المغول وتحريض قبيلة ضد الأخرى[3]، فوجد جنكيز خان

[1] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 22.

[2] ثروت عكاشة: مرجع سابق ، ص 111.

[3] فلاديميرستوف: مررجع سابق، ص ص 134-135. الصياد: مرجع سابق ، ص 51.

الفرصة سانحة للثأر من هذه الأسرة بسبب معاملتها السيئة لآبائه واجداده، أما الثاني فتمثل في سعي جنكيز خان وراء الغنائم والمجد الذي عمل عليه أسلافه من قبل في البلاد الصينية، حيث أصبح هذا الامر تقليدا سائرا بين الشعوب البدوية القاطنة شمال الصين، وفي الوقت الذي أصبح جنكيز خان يرأس القبائل والعشائر البدوية المتحدة في الشمال، وجد نفسه في عين ذلك الوضع المتكرر دائما في حالات كثيرة سابقة من هذا النوع بناء على ذلك نجده ينجذب جنوبا مثله في هذا المضمار كغيره من اسلافه السابقين[1]، بالإضافة إلى جملة من الدوافع التي منحت المغول فرصة الانقضاض على الصين الشمالية منها أن حملة الغزو المغولي التي اراد جنكيز خان شتها على الاراضي الصينية وفي بدايتها الاراضي التانغوتية اتاحت له فرصة لاختبار جيوشه ومدى مقدرتها على القتال خاصة وأن العدو يملك دفاعات وتحصينات قوية، كما أن هذه البداية قد تؤمن له الحماية لممتلكاته ودولته الناشئة وبالتالي يأمن عدر التانغوتيين ويستمر في اخضاع باقي الاراضي الصينية.

1 ـ إخضاع مملكة التانغوت (هسي. هيا):

كانت فاتحة غزوات المغول في الأراضي الصينية من مملكة التانغوت الواقعة في الشمال الغربي من الصين إقليم التبت حاليا، أراد جنكيز خان من خلال غزو هذه المملكة حماية ظهره عندما ينتقل إلى غزو مملكة الذهب، كما أن مملكة التانغوت كانت أقل تحصينا وأضعف الممالك الصينية، ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى قطع الصلة لمملكة كين من

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص131. سهيل طقوش: المغول العظام، ص 44.

الجهة الغربية، كما أنه باستلائه على سي. هيا يحكم قبضته على الطريق الرابط بين الصين وتركستان[1]، أو ما يعرف بطريق الحرير.

وجه جنكيزخان أولى ضرباته للصين ضد مملكة التانغوت وعاصمتها ننج هسيا، وقد غزاها ثلاث مرات601هـ/1205-603هـ/1207-605هـ/1209م[2].

وكالعادة كما هو معروف بالنسبة لجنكيز خان أنه يتخذ كامل الإجراءات والاحتياطات والتدابير لكل عمل عسكري يقوم به، فعندما خطط لغزو بلاد الصين والتانغوتيين أيضا أخذ تدابيره العسكرية المادية والمعنوية، حيث أنه استعمل العناصر المغلوبة والخاضعة تحت سلطته في هذه الحرب كما هو الحال مع النايمانيين والكرايتيين الذين كان لهم علاقات مع التانغوتيين منذ زمن طويل[3]، استغل جنكيز خان هذه العلاقات فيما يحتاج إليه من معلومات في منتهى الدقة عن بلاد التانغوتيين.

انطلقت حملات المغول على مملكة التانغوت على ثلاث مراحل ابتداء من سنة 603هـ/ 1206م واستمرت إلى 606هـ/ 1209م كانت تحت قيادة جنكيز خان بنفسه، استطاع من خلالها اكتساح جميع أراضي التانغوتيين وإلحاق الهزيمة بقواتهم، ومحاصرة عاصمتهم لمدة طويلة، أجبرت حكومتهم على طلب الصلح، فوافق جنكيزخان شرط أن تُقبل صاغرة وتصبح

[1] الصلابي: مرجع سابق، ص 61. أحمد حطيط: مرجع سابق، ص 21.

[2] مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص357. غروسيه: مرجع سابق، ص236.

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 133.

تابعة للدولة المغولية وخاضعة لسلطانها[1]، وهذا ما حصل بالفعل، ففي سنة 606هـ/ 1209م وافق حاكم التانغوت بورقان خان على القبول بالسيادة المغولية على أراضيه ودفع الجزية لجنكيز خان[2]، وبذلك أصبح جنكيز خان سيد مملكة التانغوت، وعاد بعدها إلى بلاده محملا بالغنائم والأسلاب الهائلة.

يذكر عكاشة في هذا السياق أنه بعد ما تحقق لجنكيز خان ما أراد من وراء إخضاع مملكة التانغوت أن أصهر إلى الأسرة الحاكمة فتزوج فتاة منهم يريد أن يستأنسهم ويجعل بينه وبينهم ألفة ورباطا[3].

استفاد جنكيز خان كثيرا من إخضاعه لمملكة التانغوت، فعلى غرار أنه اكتسب إلى جانبه حليفا مهما، ضم إلى قواته قوة جديدة من جيوش التانغوتيين، كما قام هذا الملك بتزويده بالجمال التانغوتية الشهيرة كاحتياط للخيالة المغول[4].

وبعد أن أخضع جنكيز خان دولة التانغوت التي كانت خاضعة لإمبراطورية كين منذ وقت قريب، ألقت بنفسها في أحضان هذا الفاتح وأصبحت له أكبر عون على تحقيق آماله الكبرى[5].

---

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 133. الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 77.

[2] أحمد حطيط: مرجع سابق، ص 21، الصاوي: مرجع سابق، ص 85.

[3] ثروت عكاشة: مرجع سابق، ص 112.

[4] إيمي شوا: مرجع سابق، ص 158.

[5] عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، الجمعية الخيرية التركستانية، د.ت. ن ، ص 76.

يقول رشيد الدين نقلا عن كيتشانوف أنه في حملة جنكيز خان على التانغوت احتل كل النواحي ورجع إلى دياره منتصرا وظافرا وراضيا[1]، ويضيف كتشانوف أن من أسباب حملة جنكيز خان على التانغوت هو رفضهم دفع الاتاوات وعدم اعترافهم بالتبعية الاقطاعية له[2].

2 ـ غزو مملكة كين:

كانت الحرب مع مملكة الكين هي المهمة التالية بعد إخضاع مملكة التانغوت، ونظرا للحقد الذي كان يُكنه جنكيز خان لهؤلاء القوم بات يولي أهمية وحرصا شديدين لهذه المهمة، مع إدراكه الشديد أنه يلقى صعوبات لم يقابلها خلال غزوه مملكة التانغوت، والتي تمثلت في التحصينات المنيعة للمدن والقلاع علاوة على وجود سور الصين العظيم، وحصونه الممتدة من الشرق إلى الغرب، واتخذ لهذا جملة من الإجراءات والتدابير والتجهيزات لم يتخذها مع التانغوتيين من قبل.

بدأ بجمع المعلومات والمعطيات والتفاصيل الصغيرة والكبيرة عن تلك المملكة من جميع النواحي، الجغرافية والعسكرية والمادية والبشرية معتمدا في ذلك أساسا على التجار من المسلمين، الذين لهم دراية كبيرة بتلك البلاد، كما استخدم عناصر الاستخبارات والتجسس والدوريات[3]، إذ استفاد كثيرا من المعلومات الوافرة التي أعطاها إياه بعض الجنود الذين فروا

[1] كيتشانوف: مرجع سابق ، ص 229.

[2] نفسه.

[3] فتحي أمين: مرجع سابق ، ص 48.

من الأسر أو الذين كان المغول يختطفونهم من الحدود الصينية وأيضا بعض اللاجئين الذي هربوا من أراضي إمبراطورية الكين[1].

بالإضافة إلى أن جنكيز خان أحسن استغلال التقارير التي جاءه بها التجار المسلمين الذين جاءت معلوماتهم في غاية الأهمية وفي الوقت المناسب، إذ أنهم ألموا بكافة المناطق الواقعة بين الصين وبلدان آسيا من حيث اطلاعهم الواسع على جميع الطرق التجارية ومعرفتهم بأصحاب المدن الصينية أثناء ممارستهم المعاملات والتبادلات التجارية معهم[2].

كما توجهت أنظار القائد المغولي أيضا إلى التحالف مع القبائل المقيمة شمال سور الصين، حيث نجح في إقامة أحلاف مها، إذ بدأ بالتحالف مع ملك القبائل الأنغوت المقيمة شمال السور وعزز هذا الحلف بعلاقة مصاهر بعد زوجه إحدى بناته[3]، حتى خضعت له البلاد الواقعة داخل سور الصين[4]، وكانت نتيجة هذا العمل أن مال الأنغوت لاخوانهم المغول وعقدوا معهم حلفا وسمحوا لجيوش جنكيز خان بالمرور عبر بوابات سور من ناحيتهم[5].

---

[1] حافظ أحمد حمدي: مرجع سابق، ص130، فتحي أمين: مرجع سابق، ص48، فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 137.

[2] نفسه، ص ص 137- 138.

[3] الصاوي: مرجع سابق، ص86، العريني: مرجع سابق، ص64.

[4] الصياد: مرجع سابق، ص52.

[5] منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص74، غروسيه: مرجع سابق، ص240.

وبالمقابل كانت هناك عدة عوامل ساعدة جنكيز خان وسهلت له فكرة غزو بلاد الصن لعل من أهمها عامل الضعف والانحلال الذي كان ينخر في الأقاليم الصينية، حيث يشبهها فلاديميرستوف في قوله: "أنها لم تكن بأي حال من الأحول إلا عبارة عن تمثال ضخم يقف على أقدام من طين"، زد على ذلك أن جيش الكين كانت تنقضه وحدة التجانس إذ أنه تكون من أجناس مختلفة[1]، وأهمها الخيطائيون الذين كانوا يمثلون صخرة الدفاع على الخطوط الأمامية لسور الصين العظيم، حيث لعبوا دورا كبيرا في حماية أسرة كين من الهجمات الخارجية للقبائل البدوية قبل ظهور جنكيز خان، كما لعبوا دورا كبيرا أثناء هجوم هذا الأخير على شمال الصين بعدما استمالهم إلى صفه، إذ ساهموا اسهاما كبيرا في اسقاط مملكة كين.

وبعد أن اجتمعت كل الأسباب والمؤهلات والعوامل، بدأ جنكيز خان حملاته من قلب منغوليا متجهة ناحية الجنوب قاصدة مملكة كين شمال الصين منطلقة من على ضفاف نهر كيرولين والتي امتدت ما بين سنوات 607-612هـ/ 1211-1215م، وانقسمت إلى ثلاث حملات، كان لكل حملة من هذه الثلاث أسباب ونتائج .

الحملة الأولى 607هـ /1211م:

اتخذ جنكيزخان لهذه الحملة ذريعة ولعلها السبب المباشر، تمثلت فيما قام به الامبراطور الصيني الجديد، اذ أنه كان يحكم الصين الشمالية قبيل هذا التاريخ امبراطور اسمه "شانغ تونغ" توفي سنة 605هـ /1208م وخلفه ابنه "واي وانغ" الذي وصف بالتهور، فقام بإرسال

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص140-141. أحمد حطيط: مرجع سابق، ص23.

رسالة إلى جنكيز خان يعلمه فيها بجلوسه على العرش ومطالبته بدفع ما كان يدفعه لأبيه من قبل، الامر الذي قوبل بالرفض من جنكيز خان والذي أدى في الاخير إلى توتر العلاقات وبداية الصدام العسكري[1].

بعد أن أصبحت المواجهة العسكرية بين الطرفين حتمية، جمع جنكيز خان جيشا عظيما في ربيع سنة 607هـ /1211م[2]، وأعطى اشارة الهجوم على مملكة الكين حيث اشرك في جيشه أبناءه الأربعة ومعه افضل قادته العسكريين.

كان الصينيون على علم بانطلاق جحافل المغول المتجهة نحو بلادهم فاتخذوا لذلك كافة الاحتياطات اللازمة للدفاع على اراضيهم، فكان من تلك الاجراءات ان الصينين لما احسوا بخطر جنكيز خان الداهم قام الإمبراطور الصيني بتزويد ابراج المراقبة على السور بقذائف من كل الأنواع، وتقوية الدفاعات عليه، وتم تشييد أربعة حصون من الحجارة وحفر ثلاثة خنادق مائية خارج السور[3]، كما خططوا للقيام بهجوم معاكس ضد الهجمة المغولية، لكن باءت كل مخططاتهم بالفشل، حيث اخفقت القوة الصينية ولم تقو على التصدي لجيش المغول[4].

---

[1] سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص ص44-45. ثروت عكاشة: مرجع سابق، ص112.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص140. إبراهيم مرجونة: مرجع سابق، ص79. سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص45. سعد الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص78. أحمد حطيط: مرجع سابق، ص23.

[3] منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص73.

[4] إبراهيم مرجونة: مرجع سابق، ص79. فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص141. سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص45.

وبطبيعة الحال لم يجد جنكيز خان صعوبات في اختراق الدفاعات الأولى واستطاع ان يسحق القوات الصينية واصبحت قواته تسيطر على الاراضي الواقعة داخل السور العظيم بعد ان قضى على القوة العسكرية الصينية بقيادة القائد الصيني "تاشي"، كما توغلت كتائب مغولية اخرى داخل الاراضي الصينية بقيادة القائد المغولي "جِبِهْ نويان" واستطاعت ان تحتل الحصون التي كانت تحمي مدينة "تاي تونغ"[1]، العاصمة الغربية لإمبراطورية الكين.

استعمل جنكيز خان في حملته هاته خطة عسكرية تمثلت في ارسال موجات عسكرية متتالية قصد اضعاف قوى المدافعين على المدن حتى يضطروا إلى الانسحاب والهروب منها وتركها للمدنيين العزل في مواجهة القوات المغولية التي تقتحمها لتحرقها وتحرق سكانها[2].

استطاع جنكيز خان خلال فترة وجيزة ان يستولي على معظم المدن الصينية الشمالية ويحكم قبضته على اهم الممرات والطرق المهمة التي استثمرها في حملته الثانية.

كانت لهذه الحملة نتائج أولية جد إيجابية بالنسبة لجنكيز خان معنوية واخرى مادية، فأما المعنوية فتمثلت في رفع المعنويات للقائد المغولي جنكيز خان والتي بعثت فيه روح الطموح للتقدم أكثر والاستلاء على باقي المدن الصينية[3]، وبتحقق الانتصارات الأولى على خطوط الدفاعات الصينية ثم الوصول إلى الاراضي الصينية الداخلية والقضاء الجيش النظامي الصيني انتهت في نظرة المغول تلك الاسطورة التي تعظم وتعطي الجيوش النظامية

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص141-142.

[2] منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص73.

[3] إبراهيم مرجونة: مرجع سابق، ص ص79-80.

الصينية هيبتها، وبالتالي اصبحت لا شيء أمام هجمات المغول خاصة بعد أن استطاعوا العبور عبر السور الصين العظيم وتخريب بعض صفوفه وقلاعه، اما فيما يخص النتائج المادية فتمثلت في المكتسبات التي وضع عليها جنكيز خان يده من غنائم واحتلاله لبعض المدن والمواقع والممرات الاستراتيجية، اهمها مدينة "تاي تونغ" من اكبر مدن الكين الغربية ومدينة "سون ته–فو suen. te–fu "، ومدن أخرى واقعية في مقاطعة شانسي الشمالية[1]، مثل مدينة "هسوان" ومدينة "باوران "ومدينة "هوايلاي"[2]، كما استطاعت القوات المغولية ان تحكم قبضتها على الممر الجبلي "يي أ هو"[3] وبذلك احكموا سيطرتهم على الطريق الذي يربط بين منغوليا وسهل الصين الشمالية، ثم عادوا ادراجهم بما حققوه من انجازات مع حلول فصل الخريف[4].

الحملة الثانية 608هـ/1212م:

تحين جنكيز خان الفرصة لهذه الحملة بعد فترة قصيرة قضاها في صحراء جوبي وبعد انقضاء فصل الشتاء، ففي ربيع سنة 608هـ/ 1212م أرسل جنكيز خان قوات مغولية تحت قيادة القائد المغولي جيبي حيث توغلت داخل الأراضي الصينية لكنها اصطدمت بقوة دفاعية عسكرية صينية أمام أسوار مدينة لياويانج التي ضربت عليها القوات المغولية حصارا لمدة طويلة بدون أية نتيجة، لأن هذه المدينة كانت من قبل تحت حصار القوات الصينية

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص142.

[2] منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص74.

[3] الصاوي: مرجع سابق، ص86.

[4] سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص45.

التي حاصرتها بعدما أعلن أميرها الخطائي تمرده ضد حكومة الكين، وأرسل مستنجدا بجنكيز خان.

وكان الخطائي من أصل مغولي ويسكنون إقليم "لياو. يانج" في جنوب منشوريا ويمتون بصلة قرابة إلى شعب جنكيز خان، لكنهم أصبحوا بعد أن سكنوا قرابة ثلاثة قرون في أراضي الصين يطغى عليهم الطابع الصيني، ولا شك أنهم كانوا يرغبون في الانتقام من قاهريهم الكين الذين قضوا على أجدادهم[1].

وبعد إعلان هذا القائد الخطائي المدعو "ليوم ـ شو- وانك" تمرده واعترافه بولائه لجنكيز خان حصل منه بالمقابل على مساعدة ضد الكين[2]، وذلك بإرسال قائده جيبي لمحاصرة القوات الصينية المحاصرة للأمير الخطائي، فضُرب حصاران على المدينة، الأول من طرف القوات الصينية، والثاني من طرف القوات المغولية، يطوق القوات الصينية، ودام ذلك لفترة طويلة.

ولما رأى جيبي أنه لا طائل من وراء هذا الحصار ابتدع حيلة تمثلت في إظهار انسحابه تاركا خيامه وعرباته لمدة يومين، ولما رأى الصينيون فعلة جيبي واطمأنوا أن المغول قد أبعدوا في السير نزلوا عن حصارهم وحصونهم يسلبون وينهبون ما تركه المغول، وهم في ذلك حتى عاد جيبي بجنودهم مسرعين إلى معسكرهم الذي تركوا وانفضوا على

[1] طقوش: المغول العظام، ص 45.

[2] الصاوي: مرجع سابق، ص 86. أحمد حطيط: مرجع سابق، ص 24.

الصينين وأحاطوا بهم وهم عزل غارقين في النهب، فأعملوا فيهم السيوف ووجدوا أبواب المدينة مفتوحة فاقتحموها[1]، وأعلن الأمير الخطائي قائدا عليها تحت السيادة المغولية[2].

حقق المغول في هذه الحملة انتصارا لا يقل أهمية عما حققوه في الحملة الأولى، حيث تمكنت القوات المغولية من الاستيلاء على مدينة "لياو. يانج" الواقعة في الشمال الشرقي وبالتالي أصبح الشمال الصيني كاملا تحت سيادة المغول الغزاة، كما انضمت إلى القوات المغولية قوات من الخطائيين الذين أصبحوا جندا تابعين لقوات جنكيز خان، وانتهت هذه الحملة عندما أصيب جنكيز خان بسهم في ساقه أثناء حصار المدينة[3]، وقرر العودة إلى منغوليا.

ولما رأى ضرورة العودة إلى منغوليا مع حلول فصل الخريف بعث جنكيز خان رسالة إلى الامبراطور الصيني فحواها صلح مؤقت بينهما إما لما شعر به من تعب وإما لما أحس به من ضرورة العودة إلى منغوليا بعد تلك الإصابة، وجاء في الرسالة: "كل ما تمتلكه في شانتونج من أراضي وكل ما يقع شمال النهر الأصفر من بلاد ملك لي، فما أصبحت فيه من ضعف قابله ما توافر لي من قوة، غير أني أحب أن أتوقف عن المضي في القتال، إنما

[1] ثروة عكاشة: مرجع سابق، ص 119. منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 75.

[2] غروسيه: مرجع سابق، ص 243.

[3] نفسه، ص 243. طقوش: المغول العظام، ص 47.

لا يتم ذلك إلا بشرط واحد، وهو أن تبذل من الضيافات والهبات لقادتي ورجالي ما يجعلهم يخلدون إلى الهدوء والسلام"[1].

استجاب الامبراطور لشروط جنكيز خان المفروضة عليه، وأغرقه بكثير من الهدايا والهبات تمثلت في إعطاء جنكيز خان ابنة له ومعها صداق كثير من الذهب والفضة، وخمسمائة غلام وجارية، وثلاثة آلاف فرس[2].

وفيما يخص هذا الصلح فيرى كل من د. أحمد حطيط والصلابي أن الامبراطور الصيني كان صاحب المبادرة في الصلح وأن جنكيز خان أبدى موافقته بشروط، والتي جاءت في رسالته[3]، ثم إن هذا الصلح كان مؤقتا كما سنشير إليه لاحقا.

المرحلة الثالثة 610هـ/ 1214م:

لم يستمر الصلح المؤقت الذي رأى فيه الامبراطور الصيني أنه انقذ العاصمة الصينية بكين ولو مؤقتا من هجمات المغول، وربما من أن يمكنه ذلك من استعادة بعض النفس وترتيب وإعادة تنظيم قواته، حيث أنه ما لبثت ان اجتازت القوات المغولية العائدة إلى منغوليا سور الصين حتى قام الامبراطور بخطوة عجلت من نهايته وإتمام المغول ما بقي ناقصا، ففي اثناء حمل جنكيز خان غنائمه وهو في طريقة عودته إلى عاصمته في منغوليا

---

[1] العريني: مرجع سابق، ص ص 65-66. الصياد: مرجع سابق، ص ص 52-53. إبراهيم مرجونة: مرجع سابق، ص ص 81-82. طقوش: المغول العظام، ص 47. غروسيه: مرجع سابق، ص 243.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص 145-146.العريني: مرجع سابق، ص ص 66-67. مرجونة: مرجع سابق، ص 82. ثروة عكاشة: مرجع سابق، ص 122. smith johm massom : op.cit , p .271

[3] أحمد حطيط: مرجع سابق، ص ص 27-28. الصلابي: مرجع سابق، ص 64.

حتى بلغ إلى مسامعه أن الامبراطور الصيني قرر مغادرة العاصمة بكين متجها إلى مدينة كاي. فونغ الواقعة وراء النهر الأصفر جنوبا ليعيد ترتيب قواته وتحصين قلاعه، وكان قد ترك مهمة الدفاع لابنه الأكبر "بين كنغ"[1]، على العاصمة بكين[2].

بعد أن أقدم الامبراطور الصيني على هذه الخطوة غير المحسوبة كان كمن حفر قبره بيده، اذ كان لها تابعات خطيرة داخل البيت الصيني، حيث اعتبر معظم قادته العسكريين وحتى شعبه انها خيانة وضعف، فعمل ذلك في تحطيم معنويات القوات الصينية وتمرد بعضهما والتحاقها بالمغول مما أدى إلى انتشار الفوضى داخل المدينة[3].

بعد تفاقم الأحداث والاخطار استدعى الامبراطور الصيني ابنه ليلتحق به ويترك العاصمة بكين في فوضى كبيرة الأمر الذي اعتبر خطأ سياسيا وعسكريا كبيرا اكثر من سابقه، حيث تركت المدينة تواجه مصيرها المحتوم في حالتها الآيلة إلى الزوال[4]، ومهما يكن من أمر ما ان وصلت انباء هذه التطورات إلى مسامع جنكيز خان علم ان الفرصة التي اتيحت له على طبقة من ذهب لا يمكن تضييعها، فما علية الا ان استدار بجيوشه في

---

[1] هو الابن الأكبر للامبراطور الصيني واي وانغ، تولى مهمة الدفاع عن العاصمة بعد أن رحل عنها والده، وبعد تمرد وحدات الجيش الصيني بعد هذا العمل الذي اعتبره خيانة من الامبراطور، خشي هو على نفسه وغادر بيكين تاركا إياها في امرة القادة العسكريين، والتحق بأبيه، ينظر: منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 78.

[2] الصاوي: مرجع سابق، ص 88، العريني: مرجع سابق ، ص 66. الصلابي: مرجع سابق، ص 64. ثروة عكاشة: مرجع سابق، ص 123. الصياد: مرجع سابق ، ص 53. أحمد حطيط: مرجع سابق ، ص 28. طقوش المغول العظام، ص 49. فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 146.

[3] طقوش: المغول العظام، ص 49.

[4] الصياد: مرجع سابق، ص 53. فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص 146-147.

اواخر سنة 611هـ/ 1215م، فأرسل افضل فرقه العسكرية إلى الجنوب باتجاه النهر الأصفر لمطاردة الامبراطور الصيني الهارب بقيادة ابنه جوجي[1]، وتقدم هو على رأس الجيش الكبير باتجاه العاصمة بكين التي دبت فيها الفوضى بمساندة العسكريين من الصين الذين التحقوا بالقوات المغولية وضرب عليها حصار اخير اقوى وأشد[2].

اشتبكت القوتين المغولية والصينية في معركة فاصلة انتهت باندثار الاخيرة ودخلت القوات المغولية القوية في صيف1215م في الشهور الأولى من سنة 612هـ[3]، وبهذا أكمل جنكيز خان حملاته على مملكة الكين الصينية الشمالية.

عاد جنكيز خان بعد اكمال غزو مملكة الكين الصينية إلى عاصمته وهو يحمل غنائم كثيرة تتكون أساسا من انواع مختلفة من الذهب والفضة، ومن الاقمشة خاصة تلك المصنوعة من الحرير، ومن حيوانات ذوات حمل الاثقال، من العبيد وأصحاب الحرف والفنانيين.

ثانياً- القضاء على كوشلوك النيماني والدولة القراخطائية:

ذكرنا فيما سبق أن كوتشلوك النيماني ابن تايانك زعيم النيمان وبعد مقتل هذا الأخير على يد المغول في حملة جنكيز خان عليهم، كان قد فر نحو الغرب، وللإشارة فإن

[1] طقوش: المغول العظام، ص 49.

[2] ثروت عكاشة: مرجع سابق ، ص 124.

[3] أحمد حطيط: مرجع سابق، ص 28. فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 147. طقوش المغول العظام، ص 49. الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 78. بيرتولد شبرلر: المغول في التاريخ، ص ص 22-23. الصياد: مرجع سابق، ص 53. الصلابي: مرجع سابق ، ص 64. العريني: مرجع سابق، ص 66.

كوتشلوك ورد اسمه في المصادر والمراجع التاريخية بهذا الاسم وأحيانا بأسماء أخرى مثل كوجلك و كوشلوك، واستطاع بعد أن التجأ إلى كورخان زعيم القراخطائيين[1] أن يعيد جمع قواته ويكون جيشا تدرج من خلاله بالحيل والخديعة أن يفتك زعامة هذه الدولة ويتربع على عرشها بعد أن تحين فرص المؤامرات والفتن التي ظهرت في الدولة القراخطائية، ولا يسعنا المجال لذكرها، وكان أول ما قام به للوصول إلى هدفه أن عرض تحالفه مع السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزمشاه، منتهزا فرصة العداوة التي قامت بينه وبين كورخان حاكم الدولة القرخطائية.

تمثلت هذه الفرصة في الاتفاق الذي عقده كوتشلوك مع خوارزمشاه، حيث يشير بارتولد أن هذا الاتفاق بني على أن تصبح تركستان ملكا لأول من يهزم الكورخان منها، فإذا أفلح خوارزمشاه في ذلك أصبحت جميع الولايات إلى كاشغَر[2]وخُتَن[3]ملكا له، أما إذا نجح كوتشلوك فعلى خوارزمشاه أن يعترف به أميرا على جميع المناطق الواقعة شرقي سيردريا[4].

تظاهر علاء الدين خوارزمشاه بقبول هذا التحلف وتعهد بمساعدة كوتشلوك في حربه ضد كورخان، وفي نفس الوقت أرسل كورخان إلى خوارزمشاه يعرض عليه الإتحاد وتناسي

---

[1] نزحت قبائل الخطا من شمال الصين موطنهم الأصلي واستقروا في تركستان سنة 519هـ وأسسوا دولة لهم سمية بالقراخطائية أو القره خطائية، وقيل أن هذه القبائل هي خليط من المغول والتانغوت ولقب حاكمها بالكر خان، ينظر: منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 84.

[2] وتنطق كاجغَر بالجيم الساكنة وفتح الغين وهي مدينة من نواحي تركستان، الحموي: مصدر سابق، ج 4، ص 427.

[3] خُتن بظم أوله وفتح التاء وهي مدينة دونكاشغر معدودة من بلاد تركستان وهي في واد بين الجبال في وسط بلاد الترك، الحموي: مصدر سابق، ج2، ص 347.

[4] بارتولد: تركستان، ص 514. إبراهيم مرجونة: مرجع سابق، ص 83.

العداوة ضد كوتشلوك، ولم يرفض أيضا هذا العرض، وسارت القوتان المتعاديتان الأولى على رأسها كوتشلوك والثانية كورخان كل لمحاربة الاخرى وكل منهما يظن ان القوة الخوارزمية إلى جانبه حتى انهزمت جيوش الكورخان هزيمة منكرة على يد قوات كوتشلوك، فما كان من خوارزمشاه إلا إعمال السيف في البقة الباقية من الخِطا[1].

كان من نتائج ذلك ان أملاك قرخطاي في اقليم ما وراء النهر غزاها محمد خوارزمشاه وما تبقي منها إلى الشرق احتله كوتشلوك ملك النيمان، وبعد ذلك استطاع هذا الاخير ان يوطد سلطانه دون منازع في هذه البلاد وحل في عرش الكورخان حيث اقتصرت مملكته على حوض نهر التاريم ومن أشهر مدنها كاشغر وختن[2].

وكان أيضا من نتائج هذه الحرب أنه بعدما اعتلى كوتشلوك عرش الدولة القراخطائية وبما انه كان بحكم عداوته لجنكيز خان قد وجه أنظار هذا الأخير نحو الأقاليم الغربية من آسيا رغبة في الانتقام، مما أدى إلى الكوارث التي حلت بالدولة الخوارزمية والعالم الإسلامي عامة على أيدي المغول، خاصة بعدما أخذ كوتشلوك يقوي نفوذه ويوسع أملاكه حتى شملت المناطق الممتدة من بلاد الثبت حتى حدود الدولة الخوارزمية[3].

اختلفت المصادر التاريخية في تاريخ استيلاء كوتشلوك النيماني على عرش دولة القراخطائيين ومدة بقائه في حكم هذه الدولة حتى قضاء المغول عليه، إلا أن المعروف عن

---

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص ص 339-340، الجويني: مصدر سابق، ص 95، الجوزجاني: مصدر سابق، ص 116. حافظ أحمد حمدي: مرجع سابق، ص 78، بارتولد: تركستان، ص 526.

[2] العريني: مرجع سابق، ص 67، الصياد: مرجع سابق، ص 55.

[3] حافظ أحمد حمدي: مرجع سابق، ص 78، الصياد: مرجع سابق، ص 55.

كوتشلوك أنه استولى على الدولة القراخطائية في الوقت الذي احتدّت فيه العداوة بين محمد خوارزمشاه والكوررخان ملك القراخطائيين، وهي فترة توسع الخوارزميين على حساب جيرانهم سنة 606هـ/1209م، وجرت بينهما حروب كثيرة ساعدت على إضعاف الدولة القراخطائية، وهي الفرصة التي تحينها كوتشلوك لاعتلاء عرش القراخطائيين، أما نهايته فكانت على أيدي المغول بعد إخضاعهم لشمال الصين سنة612هـ/1215م.

ويشير ابن الأثير في ذكره لحوادث سنة 604هـ إلى العداوة بين الخوارزميين والقراخطائيين وكيف كانت نهاية هذه الأخيرة على يد الخوارزميين وتزامن ذلك وخروج طائفة من التتر من حدود بلاد الصين وأن ملكهم كشلي خان ، واقتتاله مع الكورخان[1]

كان لزاما على جنكيز خان أثناء حملته على الكين أن يتوقف على مطاردة اعدائه الفارين إلى الغرب في السنوات609ـ 613هـ/1211-1216م، حينما اشتدت الحاجة إلى كل القوات المغولية في الصين، فبعد أن وطد سلطانه فيها سير جيوشه نحو الغرب قاصدة اولآ إخضاع قبائل المركيت التي انضمت إلى بلاد كوتشلوك بقيادة ابنه جوجي وقائده سوبوتاي، كما أرسل قائده جيبي للبحث عن كوتشلوك وإحضاره حيا أو ميتا، حيث انطلق هذا الأخير سنة 615هـ/1218م على رأس قوة عسكرية مكونة من عشرين ألف مقاتل باتجاه كوتشلوك[2].

---

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 339.

[2] محمود السيد: مرجع سابق، ص 62، الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص ص 105-106. فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 161. مرجونة: مرجع سابق، ص 83. منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 105.

حققت القوة العسكرية بقيادة سوبوتاي نجاحا باهرا في القضاء على بقايا الهاربين من المركيتيين وأُخد احد أبناء "توقتا" زعيم المركيت أسيرا وصدر الأمر عليه ليقتل حتى تستأصل شأفتهم[1]، وبعد هذا الانجاز الذي قام به جوجي مع القائد سوبوتاي استولى المغول على قرغيزستان وقازخستان الشرقية الحالية[2].

يشير الغامدي نقلا على المؤرخ المغولي والمستشرق الإنجليزي ساووندرز أن المسلمين المضطهدين على يد حكومة كوتشلوك قد لجأوا إلى جنكيزخان طالبين منه انقاذهم مما كانوا يعانونه من الاضطهاد والتضييق، فكان ذلك ذريعة للمغول لكي يبرروا تدخلهم العسكري في المنطقة التي كانت تحت حكم كوتشلوك[3].

ولعل ما أورده الجويني في كلامه عند إرسال جنكيز خان جمعا من قواده لاستئصال شأفة كوجلك في كاشغر حيث قال: "اجازوا الأذان والتكبير وأداء الصلاة.. ولقد أدركنا أن وجود هذه الجماعة رحمة من الرحمات الربانية وفيض من الفيوضات الإلهية"[4]، فيستدل منه أن المغول استمالوا السكان نحوهم بشعورهم الديني فكان نتيجة ذلك أن استبشر السكان بهم خيرا، لأن المغول اطلقوا الحرية الدينية للجميع، وتنفس المسلمون الصعداء، إذ ان بهذا الاجراء خلصهم مما كانوا يعاونونه من ضيق وحرج على يد كوتشلوك في نواحي كاشغر وختن، حتى أنهم استقبلوهم استقبال المحررين لبلادهم.

---

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص 159-160.

[2] يلماز أوزطونا: المدخل في التاريخ التركي، ترجمة أرشد الهرمزي، ص 364.

[3] الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص ص 104-105.

[4] الجويني، مصدر سابق، ص 97.

يروي لنا الجويني مقدم المغول نحو كوجلك وانه كان في تلك الاثناء في كاشغر، وحين علم بمقدم الجيوش المغولية نحوه لاذ بالفرار مؤثرا الهزيمة، وكان جنود المغول في طلبه اينما اتجه، وأبيدت كل قواته، وانطلق كوجلك في عدوه كالكلب المسعور حتى وصل إلى حدود بَدَخشان[1] التي حوصر فيها حتى ألقي عليه القبض من طرف سكانها فقطعوا رأسه وحملت إلى جنكيز خان[2].

ويستنتج من هذا أنه لم تقم أية معركة تذكر وأن المدينة أخذت بغير حرب ولا خسائر مادية ولا بشرية بالنسبة للمغول، اذ خلال الاستعدادات بين الطرفين فضل كوتشلوك النيماني الهروب على المواجهة العسكرية، لكن القوات المغولية جدت في البحث عليه إلى أن ألقي عليه القبض، وبهذا انتهي الخطر النيماني، وزال معه الوجود القراخطائي ودخلت جميع أراضي القراخطائيين سلميا تحت سلطة المغول، واصبحت جزءا من امبراطوريتهم التي أصبحت مجاورة للدولة الخوارزمية.

اختلفت المصادر التاريخية في تاريخ استيلاء كوتشلوك ومدى بقائه على عرش الدولة القراخطائية حتى قضاء المغول عليه إلا أن المعروف أن كوتشلوك اعتلى حكم القراخطائيين في الوقت الذي امتدت فيه العداوة بين محمد خوارزمشاه والكورخان ملك القراخطائيين، وهي فترة توسع الخوارزميين على حساب جيرانهم من سنة 602هـ /1205م إلى سنة 612هـ

[1] بدخشان بفتحتين والخاء ساكنة والشين والألف والنون والعامة يسمونها بالخشان باللام وهو الموضع الذي فيه معدن البلخش المقاوم للياقوت، ومن بدخشان يدخل تجار أرض التبت، وهي بلدة في أعلى طخارستان مناخمة لبلاد الترك، ينظر الحموي: مصدر سابق، ص 359.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص ص 97-98.

/1215م، وجدت بينهما حروب كثيرة أدت إلى إضعاف القوة القراخطائية وهي الفرصة التي تحينها كوتشلوك للانقضاض على الملك القراخطائي وتحييده عن الحكم واعتلائه هو عرش الدولة القراخطائية، اما نهايته فكانت على أيدي المغول بعد إخضاعهم لمملكة الكين في 612هـ/1215م.

وقد أشار الذهبي في ذكره لأحداث سنة606هـ/1210م إلى ذلك في قوله: "وفي هذا الوقت ـ اي سنة 606هـ ـ مبدأ ظهور التتار فإنهم كانوا ببادية الخطا فلما سمعوا بالهزيمة العظمى على الخطا قصدوهم مع القان كشلوخان»[1]. والمقصود هنا بالتتار هم النيمانيين الفارين من جنكيز خان وكان قائدهم كشلوخان الذي اعتلى عرش الدولة القراخطائية بالتعاون مع محمد خوارزمشاه وتقاسما مملكتها بينهما.

ويشير ابن الأثير في ذكره لحوادث سنة 604هـ إلى العداوة بين الخوارزميين والقراخطائيين وكيف كانت نهاية هذه الأخيرة على يد الخوارزميين وتزامن ذلك وخروج طائفة من التتر من حدود بلاد الصين، وان ملكهم كوشلخان واقتتاله مع الكورخان[2]، الذي ضعفت قوته نتيجة هجومات الخوارزميين، اما نهايته فيذكرها ابن الأثير من غير تاريخ، وهذا يحدث كثيرا في كتابة حيث يروى الكثير من الاحداث في غير محلها ولا تاريخها، حيث يقول عن: "وكان جنكيز خان قد سار إلى تركستان فملك كاشغر وبلاسغون وجميع البلاد، وازال عنها

[1] الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص112.

[2] ابن الأثير، مصدر سابق، ص 393.

التتر الأولى"[1]، و التي يعني بها كشلوخان زعيم النيمان والمتغلب على القراخطائيين، ويقول في موضع آخر متحدثا في إشارة إلى نهاية كوتشلوك وبغير تاريخ كذلك حيث يقول: "وكان سبب غيبة الكفار عن بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله وعادوا[2]".

أما النسوي فيذكر بالعنوان العريض أن هلاك كشلوخان كان على يد دوشي خان بن جنكيز خان سنة 612هـ مع اشارته لما اورده ابن الأثير ان ذلك كان سنة 616هـ وتأكيده على أنه خطأ[3]، ويشير النسوى كذلك في هذه الوقعة إلى أول صدام عسكري بين المغول والخوارزميين حين قضوا على كشلوخان واصبحوا مجاورين للدولة الخوارزمية.

اما ابن العبري فنجده يذكر في أحداث سنة 606هـ أن فيها استولى جنكيز خان على بلاد قراخطا[4]، أي هي السنة التي قضى فيها المغول على كشلوخان لأن نهاية الدولة القراخطائية انتهت مع نهاية حكم كشلوخان.

واذا اتبعنا ما قاله الديار بكري في تاريخ خميس نجده تكلم عن خروج التتر الأولى وملكهم كشلوخان قد ظهروا بعد ضعف الخطا لما قاتلهم محمد خوارزمشاه، وكان ذلك في

---

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 402.

[2] نفسه، ص 403.

[3] النسوي، مصدر سابق، ص 46.

[4] ابن العبري: مصدر سابق، ص 398.

سنة 606هـ أي مبدأ ظهورهم[1]، وقرن ذلك بظهور جنكيز خان الذي استغل كشلوخان بحربه مدة، ولم يذكر هذه المدة قصيرة أو طويلة وكم مدتها من السنوات.

لكننا نجد في قراءتنا لما جاء به ابن أبي الحديد المدائني خلال روايته لحملات الغزو المغولي التي عاشها وعاصرها أثناء استيلائهم على التركستان حيث يقول: "فانتدبت منهم طائفة نحو عشرين ألف مجتمعه ... وخرجوا إلى بلاد تركستان وملكوا البلاد"، ويفهم من هذا المقصود بهذه الطائفة هي القوة التي ارسلها جنكيز خان بقيادة ولده جوجي لتتبع بقيا النيمانيين وللقضاء على كوشلوك، ويضيف على أنهم استقروا في تركستان حوالي اربع سنوات[2]، نجد هنا أن المدة التي ذكرها والتي هي أربع سنوات بعد القضاء على كشلوخان إنما هي المدة الممتدة بين سنتي 612-616هـ/1215-1219م وهي فترة العلاقات السلمية بين المغول والخوارزميين، قبل ظهور حادثة أوترار.

ويبدو لنا من الروايات أن النسوي والمدائني أنهما الاقربين إلى الحقيقة، لأن سنة 612هـ هي السنة التي قضى فيها المغول على مملكة الكين الصينية ثم توجهوا بعدها مباشرة لملاحقة كوتشلوك النيماني واستئصال شأفته، ثم ان مدة وجود كوتشلوك خان في حكم الدولة القراخطائية لم تكن بالقصيرة، فقد دامت حوالي ست او سبع سنوات، ثم ان نهايته لم تكن متقاربة مع السنة التي هاجم فيها المغول الدولة الخوارزمية، وهذا على حسب ما ذكر المدائني في قوله: "حوالي اربع سنوات" وربما هي أكثر، لأن المغول والخوارزميين استمروا

[1] الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج2، ط1، مطبعة عثمان عبد الرزاق، د.م.ط، 1303هـ، ص 410.

[2] المدائني: مصدر سابق، ص ص 23-24.

مدة ليست بالقصيرة بعلاقاتهم السلمية التجارية، إلا أننا نجد سهيل طقوش يضبط المدة التي حكم فيها كوتشلوك عرش القراخطائيين بسبعة سنوات ولكنه يتناقض مع تاريخ نهاية كوتشلوك وهي سنة 615هـ/1218م، لأن سنة نهاية كوتشلوك كما جاء في المصادر والمراجع أنها بعد اتمام اخضاع المغول لمملكة الكين مباشرة أو بعدها بعامين على الأكثر أي بعد 612هـ/1215م مباشرة أو اذا اتبعنا رواية بعدها بسنتين ممكن أن تكون سنة 614هـ/1217م.

ثالثاً- غزو القفجاق وروسيا:

1- غزو القفجاق:

بعد أن كلف جنكيزخان فرقة من المغول بإمرة القائدين جيبي و سوبوتاي ومهمتهما تعقب السلطان الهارب محمد خوارزمشاه، كانت وجهتها غرب الدولة الخوارزمية وهذه الفرقة من المغول عرفت في التاريخ بالمغول المغربة لكون أن وجهتهم كانت إلى الغرب، حيث قام القائدان بأعمال عسكرية كثيرة وواسعة وجمعوا الكثير من الجنود المرتزقة من التركمان والأتراك والأكراد من أهالي تلك البلاد التي غزوها في طريقهم من الكرج وبلاد دربند شروان، وضموهم تحت لواء جيش المغول للقتال معهم في حروبهم.

عبر القائدان ببلاد شروان من الدربند بعد غزو بلاد الكرج واستعملوا أسرى منهم ليعرفوهم الطريق، ويورد لنا المدائني كيف أنهم استعملوا حيلهم ليوقعوا بالأسرى ويستعملوهم فيقول: "فلما فرغوا من الكرج أرادوا عبور الدربند فلم يقدروا عليه، فأرسلوا إلى شروان شاه

ملك الدربند، فطالبوه بإنفاذ رسول يسعى بينه وبينهم في الصلح، فأرسل إليهم عشرة من ثقاته، فلما وصلوا إليهم جمعوهم ثم قتلوا واحداً منهم بحضور الباقين وقالوا للتسعة: إن أنتم عرّفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الأمان، فقالوا لهم: نعرفكم موضعا هو أسهل المواضع لعبور الخيل" [1]، وساروا بين أيديهم إليه، فعبروا الدربند وعبروا المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود، ليصبحوا في تلك البلاد وفيها أمم كثيرة [2] منهم اللان[3] والآص[4] والبلغار القفجاق والجركس والروس، ويعتبر هذا الممر البوابة الرئيسية بين جبال داغستان عبر من خلالها القائدان لينتقلا إلى السهوب التي يرويها نهرا"ترك" و"كوما" الممتدين على طول الساحل الشمالي للبحر الأسود، وعند خروج المغول من ممرات القوقاز الجبلية انقضت عليهم قوات من الشركس واللان والآص إضافة إلى قبائل القفجاق وانتهى الأمر بانتصار المغول.

[1] المدائني: مصدر سابق، ص ص 47-48.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ج 10، ص 416.

[3] اللان: مجموعة قبائل مسيحية المعتقد من أصل إيراني اتخذت موطنا لها بمرتفعات روسيا الوسطى لكن ما فتئت أن تشتت بعد الغزو المغولي سنة 620 هـ/ 1229م، للمزيد ينظر عبد الحليم: انتشار الاسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986، ص105.

[4] الآص: شعب مسلمكان يسكن منطقة مرتفعة شمال شبه جزيرة القرم، للمزيد ينظر رجب عبد الحليم: مرجع سابق، ص 105.

ويشير الديار بكري في ذكر أحداث 620هـ أن فرقة عظيمة من التتار كانت قد اجتازت دربند شيروان إلى صحراء قفجاق وجرت بينهم وبين القفجاق والروس وقعة عظيمة كثر فيها القتل وانتهت بانهزام القفجاق وهو نفس الشيء الذي أشار إليه الذهبي [1].

يقول ابن الأثير في سرد حوادث سنة 617هـ/1220م: "لما عبر التتر دربند شيروان ساروا في تلك الأعمال وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك، فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا، ووصلوا إلى اللان، وهم أمم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدّوا وجمعوا عندهم جمعاً من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر إحدى الطائفتين بالأخرى، فأرسل التتر إلى قفجق يقولون: نحن وأنتم جنس واحد، وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم، ونحن نعاهدكم أننا لا نعترض إليكم ونحمل إليكم ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم، فاستقر الأمر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك، وفارقهم قفجاق، فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم وأكثروا، وساروا إلى قفجاق وهم آمنون مستقرون فلم يسمعوا بهم إلا وهم طرقوهم ودخلوا بلادهم، فأوقعوا بهم الأول فالأول وأخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم"[2].

ويورد لنا الرمزي أن استيلاء المغول على الأراضي القفجاقية منذ 620هـ/1223م كمرحلة أولى ثم في 636هـ كمرحلة ثانية حيث يقول: "يبتدئ ظهور التتار وخروجهم حين

---

[5] الديار بكري: مصدر سابق، ص 412. الذهبي: العبر في خبر من عبر، ج3، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص 172.

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص ص 416-417.

وصلت الفرقة المغربة منهم إلى أرض القفجق في سنة 620هـ وهجموا عليهم وأسروا وقتلوا"[1].

ويضيف أن سبب ورود المغول إلى بلاد القفجاق في سنة 636هـ/1223م أن قبيلتان منهم اقتتلتا فظفرت إحداهما بالأخرى فأرسل زعيم القبيلة المهزومة إلى باطو بن جوجي شاكيا إليه ما حل بقومه ويرغبه في غزوهم، وأعْلمَه أنه إن قصدهم لا يجد ما يمنعه منهم، فسار إليهم في عساكره وأوقع بهم وأتى على أكثرهم قتلا وأسرا وسبيا، وكان ذلك في حدود 636هـ/ 1240م[2].

وبهذا كان تمام إخضاع كامل أراضي القفجاق وأصبحت تابعة للمغول وخاضعة لسلطتهم.

ويبدو من خلال دراسة علاقات القفجاق مع جيرانهم نجد أنهم لم يتوانوا عن الحروب والغارات معهم وخاصة الروس فقد جرت بينهم حروب طويلة الأمد واستمرت حتى مجيء المغول، حيث أضعفت القوة القفجاقية، الأمر الذي أتاح للمغول أن ينقضوا عليها[3].

تعتبر موقعة حاجي طرخان في 636هـ/1240م نقطة نهاية القفجق وانقراض دولتهم وسلطنتهم باستيلاء التتار عليها وامتزجت بقاياهم هناك بالتتار امتزاج الماء باللبن

[2] الرمزي: مصدر سابق، ص 220.

[3] نفسه، ص 223.

[1] طقوش: تاريخ المغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس، بيروت، 2007، ص 14.

حتى صعب التمييز بينهم وصاروا جنساً واحداً، واشتركوا بعد ذلك في الحكم حتى سميت الدولة المغولية في تلك البلاد باسمهم، وقيل دولة مغول القفجاق أو دشت قفجق[1].

2ـ غزو روسيا:

كانت روسيا منقسمة إلى إمارات متعددة وحكومات مختلفة ومستبدة أهمها: بولوتسكي غاليتسيا، سوزدال، نوفغورد، فلاديمير وغيرها، وفي معظم هذه الإمارات قام السكان بمقاومة ممارسات حكامها ورجال أعمالها المستبدين، وكما أن سكان السهول من القفجاق في الجهة الجنوبية كانوا لا يتوقفون عن شن الغارات على الأراضي الروسية، ونظرا لهذه الاحتكاكات والحروب والمصادمات الداخلية التي كانت تحدث أحيانا بين الأمراء الروس، فقد أدت إلى ضعف هؤلاء الروس مما هيأ الأرضية ومهد للمغول المندفعين من الشرق أن ينقضوا عليهم.

إن روسيا التي بدت على وشك التفتح بعد ظهور نوفغورد و بسكوف في الشمال كقوتين وظهور إمارة في الشمال الشرقي على يد أندريه بوغوليوسكي، والتي ستنمو فيها موسكو فيما بعد، ما فتئت أن تعرضت لغزوات مغولية مدمرة كسابقاتها من الممالك والمدن، أوقفت زحفها الحضاري حيث كانت أولاها في عهد الخان جنكيز خان في عام 620هـ/1223م حين عبر القائدان جيبي وسوبوتاي إلى المنطقة الواقعة بين بحر زوين والبحر الأسود منها إلى بلاد القفجاق وروسيا وقد ذكر لنا العلامة المدائني في فصل من كتابه "شرح نهج البلاغة" الذي عاصر تلك الفترة جزءًا من أعمال التتار، فقال عن غزوهم لبلاد الروس: "ثم سارت طائفة

[2] الرمزي: مصدر سابق، ص 221.

منهم إلى بلاد الروس وهي بلاد عظيمة كثيرة وأهلها نصارى وذلك في سنة 620هـ، فاجتمع الروس والقفجاق عن منعهم عن بلادهم، فلما قاربهم التتار وعرفوا اجتماعهم رجعوا أدراجهم إيهاماً للروس أن ذلك عن خوف وحذر، فجدوا في اتباعهم، ولم يزل التتار راجعين وأولئك يقتفون آثارهم اثني عشر يوما، ثم رجعت التتار عليهم، فأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً، ولم يسلم منهم إلا القليل" [1].

لم يكن الروس يعلمون شيئا عن هؤلاء الغزاة، ولكنهم سمعوا أنهم استولوا على الكثير من البلاد وأنزلوا بها الدمار وهاجموا إقليم القفجاق الذين التمسوا المساعدة من أمراء روسيا الذين تجمعوا لمقاومة الغزاة عند نهر كالكا ولكن المغول هزموا قوات التحالف في شهر أيار من سنة 1223م/620هـ[2].

كانت هذه أولى حملات المغول للأراضي الروسية والتي كانت في الحقيقة نتيجة مطاردة فلول القوات الخوارزمية ومساعدة بعض القبائل الروسية لقبائل القفجاق التي تلقت هي كذلك هجمات المغول المدمرة، إذ فتحت الآفاق للمغول المتعطشين فيما بعد أن ينظّموا حملات تكون بها نهاية واندثار الممالك الروسية، ويبدوا أن هذه الهجمات توقفت سنة 1227م نتيجة الهزة القوية التي هزت أركان الإمبراطورية المغولية وهي موت خانهم الأعظم جنكيز خان، لتنطلق الحملات المنظمة سنة 1235م/632هـ.

[1] المدائني: مصدر سابق، ص 50.

[2] محمود سعيد عمران: المغول وأوربا، ص 44.

تعتبر الفترة من 620 إلى 624هـ/1223م إلى 1227م وما تلاها لمدة سنتين حتى سنة 1229م/626هـ والتي عُين فيها أوكتاي خاناً أعظم خلفاً لأبيه وانشغال المغول بأمورهم الداخلية لبعض الوقت حتى انعقاد القوريلتاي سنة632هـ/1235م والذي تم فيه إعطاء إشارة الانطلاق للقسم الأكبر من القوات والجيوش المغولية بالزحف نحو روسيا والشرق الأوربي تحت قيادة باطو، والذي كان من نصيبه هذه البلاد بعد تقسيم الإمبراطورية المغولية وذلك بعد وفاة أبيه جوجي بن جنكيز خان، كل هذه الفترة كانت عبارة عن حملات استكشافية لجس النبض ومن ثم التهيئة للحملة الحقيقية بعد 12 سنة والتي كانت نتيجتها إخضاع كامل بلاد الروس.

كانت فاتحة أعمال هذه الحملة هي القضاء على مملكة البلغار وتدميرها سنة633هـ/1236م، كما سبق الإشارة إليها والواقعة في الجهة الجنوبية من نهر الفولغا حيث كان هذا عملا استراتيجيا من المغول القصد منه اتخاذ منطقة جنوبي الفولغا مركزا لعملياتهم العسكرية في روسيا [1]، ثم هاجم المغول سنة634هـ/1237م القفجاق وأخضعوهم وبالتالي تحولت المنطق الواقعة جنوبي نهر الفولغا بين جبال الأورال وشبه جزيرة القرم إلى منطقة مغولية تسيطر عليها كلياً، وتمركزت فيها قواتهم لتنطلق منها عملياتهم نحو الروس [2].

[1] سعيد عمران: المغول وأوربا، ص45.

[2] نفسه، ص 46.

وقد ذكر الرمزي أن المغول بعد إخضاع البلغار والقفجاق أمر باطو بالتحاق كل من القوتين المشاركتين في عملية الإخضاع لتكونا سندين لجيوش المغول في قتالهم ضد الروس، ومساعدتهما له في تجهيز الجيوش وإعداد العدة لذلك[1]، وكانت في الجهة الشرقية حملة بقيادة بركة لإخضاع قبائل الباشغرد لتتم مهاجمة الروس من عدة محاور.

كانت أولى ضحايا هذه الحملة الصرصر التي لا تبقي ولا تذر في البلاد الروسية إمارة ريازان الواقعة في الجهة الشرقية، وكان حاكمها آنذاك الأمير يوري، وعند وصول القوات المغولية إلى ضواحي الإمارة أرسلوا سفارة إلى الولاة والأهالي ليُعلموهم مقصد باطو قائد المغول والذي تمثل في طلب دخول الروس في طاعته والصلح مقابل جزية قدرت بعشر كل الأملاك الروسية تعطى للمغول، وقد ذكر الرمزي أحداث هذه الهجمة نقلا عن كارامزين فقال: "لما خرب التتار مملكة بلغار دخلوا بلاد الروس بلا توقف من بين الغابات الكثيفة وقصدوا ولاية رزان وغيرها من البلاد الواقعة في شرقي الروس، وأرسلوا إلى حكامهم سفارة تكونت من أميرين وامرأة، فلقيهم ولاة رزان وأهاليها ليعرفوا مقصد باطو، ولم يكن مقصد التتار في هذه النوبة الصلح والتواد، بل كان جل قصدهم إطاعة الروسية ودخولهم تحت حكومة التتار، ولذا قال لهم السفراء إن أردتم الصلح فأعطونا عشر كافة أملاككم، فأجابهم الحكام بأنه إذا لم يبق أحد من الروس حيا تأخذون جميع ممتلكاتهم"[2].

[1] الرمزي: مصدر سابق، ص 366.

[2] نفسه، ص 367.

كان ولاة رزان قد أرسلوا إلى حاكمهم الأكبر يوري يحرضونه على المقاومة والدفاع عن الوطن والدين، ويستعينونه ويستنجدونه، لكنه لم يجبهم وقام هو بدوره بطلب النجدة من أمير مدينة فلاديمير، مما عجّل من عملية الهجمة المغولية [1]، فكانت في ديسمبر عام 1237م/635هـ وبعد حصار دام مدة خمسة أيام تم ضربها بالمجانيق حتى هدم جزء من سورها فاقتحمها المغول واستباحوها وقتلوا كل سكانها قتلا ذريعا، بحيث لم يبق أحد يبكي أو يرثي أحد على عادة المغول، وكان حاكمها يوري وزوجته وأمه وسائر الأعيان والرؤساء من بين القتلى [2].

اتجهت بعدها أنظار المغول إلى الإمارة المجاورة لإمارة رزان في الجهة الشمالية، وهي إمارة كولومنا التي حكمها رومان إيغورفيتش، الذي ذكره الرمزي على أنه ابن أخ أمير رزان يوري السابق الذكر كما تذكر بعض المصادر على أنه أخوه، والمهم هنا أن قوات باطو اقتحمت مدينة كولومنا في جانفي 1238م/635هـ، وأجرت مذبحة مروعة بحق السكان، وقتل أشهر قواد الروس وعساكرهم بما فيهم حاكمهم رومان، لكن المغول واصلوا تقدمهم ليدركوا مدن أخرى مثل سوزدال وموسكو.

أصبحت مدينة فلاديمير هي الوجهة التالية لقوات باطو التي تجمعت حولها وحاصرتها لمدة ستة أيام، وذلك في الثاني من فبراير من عام 1238م/635هـ، وكانت قد تخلّلتها عدة مناوشات بين الأهالي والمغول، وأصيب السكان بالذعر والخوف لهول ما رأوه من حشد

---

[2] سعيد عمران: المغول وأوربا، ص 46؛ الرمزي: مصدر سابق، ص 367.

[3] الرمزي: مصدر سابق، ص 368. محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ص 99.

القوات المغولية حول المدينة من كل ناحية وكان الدوق الأكبر يوري الثاني كذلك مصاباً بالذعر ففرمن فلاديمير متجهاً شمالاً واتخذ ساحل نهر سيتي معسكراً له، على أمل وصول مساعدات إليه، وترك المدينة تواجه مصيرها، حيث في السابع من شهر فبراير من نفس السنة هجمت ليوث التتار على المدينة من جميع الجوانب فأحرقوا الكنيسة، ومات كل من التجأ إليها حرقا، وهلك بعض من السكان بسيوف المغول وأسروا البعض الآخر، وأخذ باطو كل الأشياء النفيسة الموجودة في الكنيسة[1]، ويبدو أن المدينة تعرضت لهذا الدمار والخراب الكبيرين نتيجة نية حاكمها وسكانها في مساعدة رزان وأهلها.

بعد الفراغ من أمر فلاديمير انقسم الجيش المغولي إلى فرقتين، الأولى إلى البلاد الواقعة شمالا على ساحل الفولغا والثانية غربا نحو روستوف و ياروسلاف حيث استولت في طريقها على حوالي أربعة عشر مدينة ونجحت في تدمير مدن عدة تابعة ليوري الثاني الذي كان في هذه الأثناء مقيما بساحل نهر سيتي يتفرج عليها تسقط الواحدة تلو الأخرى، حتى وصلت إليه قوات المغول الزاحفة بلا هوادة ونشب القتال بين الفريقين ودارت المعركة الفاصلة على نهر سيتي، ولم يمض إلا مقدار سويعة حتى انهزمت القوات الروسية شر هزيمة وولوا الأدبار ولقي يوري الثاني مصرعه وكان ذلك في مارس من نفس السنة [2] ،وبذلك أتم باطو فتوحاته في شمال وشرقي روسيا وأصبحت كلها خاضعة له.

[1] الرمزي: مصدر سابق، ص 370.

[2] نفسه.

قرر باطو بعدما عجز من المواصلة شمالا نحو نوفغورود لصعوبة المسالك نتيجة الأوحال والمستنقعات التي أعاقت طريق الخيالة، أن يغير وجهته نحو الجنوب الروسي قاصداً العاصمة الأوكرانية كييف عاصمة الدوق الأكبر وعاصمة المطرانية الروسية ومركزها[1]، وأصبحت وجهة الجيوش المغولية نحو الجنوب إلى حوض نهر دون والفولغا للاستراحة من التعب، حتى يتمكن باطو من مواصلة فتوحاته.

وخلال هذا الزحف المنظم والمدروس نحو الجنوب والغرب، اجتازت القوات المغولية في طريقها على مدن كثيرة أهمها مدينة كوزيلسكي الواقعة في إقليم كالوجا والتي ذكرها الهمذاني والرمزي على الرغم من صغرها إلا أنها كانت تبدي مقاومة ومدافعة شرستين وذلك أن حاكمها الشاب المندفع المسمى واسيلي أبدى مقاومة رغم أن المغول استشاروا خواصه وسائر أعيان البلدة بشأن المسالمة والخضوع دون قتال، فأقامت القوات المغولية حول البلدة سبعة أيام ضاربين عليها أشد الحصار، ولما رأوا أن أهل البلدة لا يسلّمون القلعة دون قتال شرعوا في هدم السور[2] ، ودخل المغول البلدة واستولوا عليها وأبادوا جميع سكانها لما أبدوه من معاندة وخربوها وسووها بالأرض وكان حاكمها واسيلي من بين القتلى.

ومع انقضاء سنة 636هـ/1239م وبعد أشهر قليلة استأنف المغول نشاطهم العسكري باتجاه الجنوب، فقد قامت عساكر باطو بالاستيلاء على مدينتين هامتين تقعان على نهر الدنيبر الأولى هي مدينة برياسلاف المعروفة والمشهورة بكنيسة ميخائيل التي تساوي في

[1] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 33.

[2] الرمزي: مصدر سابق، ص ص 371–372. بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 33.

الثروة والغنى كافة البلاد التي استولى عليها باطو من قبل، فاستولى عليها ونهب ثرواتها بينما كان فيلق آخر من قواته يحاصر المدينة الثانية وهي تشيرنيكوف وبعد مقاومة شديدة من أهلها ومدافعة آيسة استطاع المغول أن يدخلوها ويفعلوا فيها كما فعلوا في سابقاتها[1].

وكان التتار قد رجعوا إلى نهر "دون" قصد الاستراحة لإتمام فتوحاتهم وتوغلاتهم المسطرة وكانت إمارة كييف هي وجهتهم الأخيرة لإكمال إخضاع جميع الأقاليم الروسية وآخر معاقلهم.

سقوط إمارة كييف وإخضاع كامل بلاد الروس:

سبق وأن أشرنا أن كييف عاصمة أوكرانيا هي أم المدن الروسية وأهمها وعاصمة الدوق الأكبر والمطرانية الروسية الكييفية، فقد ذكرها الرمزي حين حديثه عن استيلاء المغول عليها، أن كييف من بلاد الروس المشهورة لكونها من أحسن المدن موقعا وعمارة وأكثرها ثروة وتجارة وأنها بموقعها على نهر الدنيبر لها منظر بهي[2].

بعد القضاء على مدينتي تشيرنيكوف وبرياسلاف، ففي بداية سنة 637هـ/1240م تقدم المغول مباشرة نحو كييف وكان باطو قد أسند مهمة الاستيلاء عليها لابن عمه منكو ابن تولوي بن جنكيزخان، فجاءها وعسكر في الطرف الآخر من نهر الدنيبر وأرسل إلى أهل البلدة سفارة يدعوهم إلى الطاعة وترك المحاربة، وكان حاكمها آنذاك الأمير ميخائيل

[1] الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 109. الرمزي: مصدر سابق، ص 373.
[2] نفسه، ص 374.

سيرينجوف[1] لكن أهلها رغم ما رأوه من قوة المغول اغتروا واستولت عليهم الأنانية وسولت لهم أنفسهم أنهم أشجع أبناء الروس وأكثرهم حمية وبسالة، فقرروا أمر المقاومة ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا رسل المغول.

غير أن حاكمهم ميخائيل أحس وأدرك شر العاقبة من سخط المغول، فخاف على نفسه وفرَّ عندما اقتربوا من المدينة، فتملكها بعده ديمتري بعد هروب قادتها منها، وإثر وصول خبر قتل الرسل إلى باطو ثارت ثائرته وامتلأ غضبا، فجاء بعسكره الجرار وعبر نهر الدنيبر وأحاط بكييف من كل جهة، ويصف الرمزي مدى عظمة جيش باطو وقوته وكثرة معداته فقال: "يقال أن أهل البلدة كان بعضهم يسمع كلام بعض بصعوبة وذلك من كثرة صهيل الخيل ورغاء الإبل وصرير بكرات العربات وصياح الجنود"[2]، ويضيف على أن جيش المغول كان يحتوي على خيرة وأحسن القادة المغول وأشجعهم وأشهرهم فهو يذكر أن القائد ديمتري لما بدأ بتنظيم الجيش الروسي جيء بأسير من المغول لديه وسألوه عن أحوال وعدد وعدة الجيش المغولي فقال لهم أن العسكر لا تعد ولا تحصى وهم في إدارة باطو نفسه، وفيهم من الشجعان والمشاهير كيوك ابن القاآن أُكتاي ومنكو ابن تولوي و بايدار ابن جغتاي كلهم أحفاد جنكيز خان والقائد الشجاع سوبوتاي صاحب الفتوحات العظمى.

والظاهر من الأمر أن ديمتري الذي يعلم جيدا مدى قوة المغول أرعبه هذا الخبر والكم من المعلومات التي أعطاها إياه الأسير ولكنه لم ير بداً من المواجهة، لأن الأهالي لم يتركوا

[3] طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية ، ص 22.

[1] الرمزي: مصدر سابق، ص 374.

مجالاً للصلح بقتل السفراء، فاشتعلت الحرب وأبدى الروس مقاومة شرسة وجاء المغول إلى باب القلعة وبدؤوا بضربه واستمروا على ذلك حتى هدموه ودخلوا المدينة بعد أن دكوا أسوارها بالمجانيق ووقع القتال بين الطرفين حتى المغرب أين أصيب ديمتري وانهزم شر هزيمة والتجأ من بقي منهم إلى كنيسة ديساتينوي التي لم تخلصهم من بأس المغول ووحشيتهم، بل هدموا الكنيسة وسووها بالأرض وقتلوا من بها، و صارت بلدة كييف خراباً قاعاً صفصفاً مستوية بالأرض ولم يبق من عظمتها أثر ولا من سمعتها خبر، وأخذوا ما فيها من الذهب والفضة وكل شيء ثمين فيها [1]، وبعد أن فرغ باطو من أمر كييف وسمع أن حكام الروس هربوا إلى ماجر اتجهت أنظاره نحو ولايات غاليتسيا وولاديمير، فاستولى عليهما وأخضعهما وأجرى فيها ما أجرى في غيرهما من الولايات والإمارات.

والنتيجة أنه لم يبق قطر من الإمارات الروسية سالما سوى نوفغورود التي خضعت لسلطانه بحنكة حاكمها ألكساندر الذي رأى هول المأساة التي حلت بباقي الممالك الروسية فأسرع إلى القائد المغولي وقدم فروض الولاء والطاعة له، كما أن أمراء منطقة أوكرانيا وبعد هذا الانتصار أسرعوا بطاعة المغول وتعهدوا بتلبية ما فرض عليهم وأضحى المغول على مشارف حدود أوربا الشرقية استعدادا لاستئناف الزحف على بولندا والمجر وذلك عام638هـ/ 1241[2].

[1] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 109. الرمزي: مصدر سابق، ص 376.

[2] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 109.

وعلى هذا النحو سقطت كل روسيا بأيدي القائد باطو واستمرت تلك المناطق خاضعة له ولخلفائه من بعده لمدة تزيد عن القرن ونصف القرن من الزمن[1].

رابعاً- غزو إقليم الدولة الخوارزمية:

بعد القضاء على بقايا المركيتيين والنيمانيين ومعهم دولة القراخطائيين، أصبحت حدود الامبراطورية المغولية مجاورة لبلاد الدولة الخوارزمية.

في هذه الفترة كانت الدولة الخوارزمية يحكمها علاء الدين محمد خوارزمشاه الذي من جهته استولى على الأملاك الغربية للقراخطائيين كما سبق وأشرنا.

نشأت الدولة الخوارزمية كدولة مستقلة عن الدولة السلجوقية بعدما نشأت بين أحضانها على يد أيل بن أرسلان بن أتسز الذي يعد أول السلاطين الخوارزميين المستقلين عن السلاجقة، والذي توفي سنة 568هـ/ 1172م[2] تاركا خلفه ولدين هما شاه محمود وعلاء الدين تكش، وسرعان ما دب الخلاف بينهما انتهى باعتلاء علاء الدين تكش حكم الدولة الخوارزمية، توفي هذا الأخير سنة 596هـ/ 1199م[3]، هي السنة التي اعتلى فيها ابنه قطب الدين محمد الذي اتخذ لنفسه لقب أبيه علاء الدين محمد خوارزمشاه[4].

---

[1] طقوش: تاريخ المغول العظام والايلخانيين، ص 101.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 39.

[3] نفسه، ص 266. عصام الدين الفقي: مرجع سابق، ص 161.

[4] ابن واصل، مصدر سابق، ص 35.

ورث علاء الدين محمد خوارزمشاه على عرش الدولة الخوارزمية بلادا واسعة من أبيه، وقد اتسعت غربا بعد انقضاء دولة السلاجقة، وبعد فترة التوسع التي شهدتها الدولة الخوارزمية في عهده، وارثا بذلك كل بلاد السلاجقة في العراق من مدن وقلاع، كما ورث إقليم خوارزم وبعض البلاد الخراسانية والري، ثم مدينتي بلخ وهراة التابعتين لأملاك الغوريين سنة 602هـ/1205م[1].

أما بلاد ما وراء النهر التي كانت تحت سلطة الدولة القراخطائية فقد استولى عليها خوارزمشاه وانتزعها منهم بعد حروب كثيرة سنة 606هـ/ 1209م، حيث ضم كل من بخارى[2] وسمرقند[3]، ويذكر ابن خلدون أن ملكهم آنذاك اسمه طانيكوه[4]، وفي سنة 612هـ/

[1] ابن الأثير، مصدر سابق، ص 277. الفقي: مرجع سابق، ص 162.

[2] بظم الباء من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين نهر جيجون ويومان، كانت قائدة ملك السامانية، وهي مدينة على أرض مستوية بحيط بها البناء من القصور والبساتين والقرى، وبها قلعة يسكنها الولاة، ينظر: الحموي: مصدر سابق ج1، ص 353.

[3] بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران، بلدة معروفة مشهورة قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، مبنية على جنوبي وادي الصغد، وبها عدة مدن أشهرها أشروسنة والشاش ونخشب: ينظر الحموي، مصدر سابق ج3، ص 246.

[4] ابن خلدون: الخبر عن دولة التتر (تاريخ المغول من كتاب العبر)، ط1، تحقيق: أحمد عمراني، دار الفارابي، بيروت،2013، ص ص 83-8، الدياربكري: مصدر سابق، ص 410. الفقي: الدول المستقلة في المشرق الاسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي (دراسة لدول آسيا الوسطى "الكومنولث الجديد" في عصرورها الاسلامية المزدهرة)، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999ص 164. الساداتي: تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضاراتها (شبه القارة الهندية الباكستانية وبنجلادش- ايران- بلاد ما وراء النهر "بخارى الكبرى أو التركستان"- أفغانستان- تركيا)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979، ص 191.

1215م بسط خوارزمشاه محمد نفوذه على الأقاليم الواقعة غرب نهر السند وأخضع حاضرة الغوربيين غزنة وخطب له فيها وضربت السكة باسمه[1].

بعدما ظهر محمد خوارزمشاه بهذه القوة بدأ كبار الأمراء والأتابكة في البلاد المجاورة بالخضوع له وقبول سلطانه على بلادهم، حيث لم يتردد صاحب الأتابكة فارس أن يخضع للراية الخوارزمية، ولم يتأخر أوزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان في أن يحذو حذو سابقه فدخل في طاعة الخوارزميين[2].

وبذلك اتسعت رقعة الدولة الخوارزمية اتساعا مذهلا في فترة وجيزة شملت خوارزم وبلاد ما وراء النهر وخراسان و أذربيجان و غزنة[3]، حيث ضمت هذه الدولة مدنا من أمهات المدن الاسلامية المشهورة بعلمائها وحضارتها، منها مدينة بخارى التي اشتهرت بعلمائها وفقهائها كالبخاري، وسمرقند التي اشتهرت بأسوارها وحدائقها، وفوق ذلك ضمت هذه الدولة مناطق تجارية هامة كمنطقة ميناء هرمز عند مدخل الخليج الفارسي الذي اعتبر ممرا تجاريا هاما يربط بين تجارة الهند والصين من ناحية، واليمن ومصر من ناحية أخرى، حتى أصبحت تسيطر على مفاتيح الطرق التجارية الآسيوية بحكم موقعها الجغرافي وحدودها السياسية.

[1] حافظ أحمد حمدي، مرجع سابق، ص 35.

[2] نفسه، ص ص 35-36.

[3] ابن واصل: مصدر سابق، ص 35. الفقي: مرجع سابق، ص 166.

العلاقات المغولية الخوارزمية قبل الغزو المغولي:

بعد أن جاورت الامبراطورية المغولية حدود الدولة الخوارزمية حينما أتم جنكيز خان القضاء على كوتشلوك النيماني كانت العلاقات بين الخوارزميين والمغول علاقة سلم ومهادنة.

وعن هذا يحدثنا المدائني أنه لما تغلب جنكيز خان على النيمانيين الذين ملكوا تركستان كما وصفهم وتجاورت قوت المغول مع الخوارزميين بدأت العلاقات السلمية بينهما حيث يقول: "فنهض بمن معه- يقصد جنكيز خان- من أقاصي الصين حتى صار إلى حدود أعمال تركستان فحاربه التتار الذين هناك ـ يقصد بهم النيمانيين ـ ومنعوه عن تطرق البلاد فلم يكن لهم به طاقة وهزمهم، وصار كالمجاور لبلاد خوارزمشاه، وصار بينه وبين خوارزمشاه سلم ومهادنة"[1].

ويضيف الرمزي عن بداية العلاقات بين جنكيز خان وخوارزمشاه فيقول: "... أن جنكيز خان لما فرغ من استخلاص من جميع ممالك التركستان ولم يبق هنالك من ينازعه من الرجال أراد أن يستريح من متاعب الحروب وأن يقضي عمره باللهو، جلب التجار من سائر الأقطار، كان يميل إلى الصلح خصوصا مع خوارزمشاه، فأرسل في حدود 612هـ

[1] المدائني: مصدر سابق، ص ص 24-25.

رسلا إلى خوارزمشاه يطلب منه المعاهدة والمهادنة والمودة، وتردد التجار والزوار بين الجانبيين"[1].

وفي ذلك يقول الغزي الحلبي نقلا عن ابراهيم مرجونة: "أن جنكيز خان بعد اتساع ملكه فرض هيبته على القاصي والداني أراد ان يمضي باقي عمره في الراحة وأن يسلم من حوله من ملوك، وأن يلتفت إلى تعمير ملكه ورفاهية رعيته، خصوصا بعدما أصبح الخان الأعظم بتغلبه على جميع منافسيه"[2].

ولم يرى جنكيز خان أن تكون علاقته بجيرانه الخوارزميين مبنية على القوة العسكرية وحد السيف في الوقت الذي كان يوطد نفوذه في الأقاليم الشرقية وخاصة في الصين، حيث كان يدرك تمام الادراك قوة دولة الخوارزميين الناشئة التي وصلت قمة مجدها، وأن سلطانها علاء الدين محمد قد أصبح سيدا على الأراضي الواقعة في أقاليم التركستان وأفغانستان وفارس، وأنه الخصم الذي لا يقل أهمية وخطرا عن الكين، وبالتالي حال تفكيره بينه وبين فتح جهة اخرى من ناحية الغرب[3].

ومن جهته ما إن علم بنجاح العمليات العسكرية المغولية في الأراضي الصينية الشمالية حتى أرسل خوارزمشاه بعثة سياسية إلى جنكيز خان كانت في حقيقة الأمر تقتضي بأن تحقق عن مدى صحة الشائعات التي أخذت تنتشر حول ذلك الفاتح المغولي، وأن تجمع

[1] الرمزي: مصدر سابق، ص ص 350-351.
[2] إبراهيم مرجونة، مرجع سابق، ص 101.
[3] عبد العزيز فهمي: مرجع سابق، ص 48.

معلومات عن قواته العسكرية، حيث وصلت البعثة إلى مقر الادارة العسكرية لجنكيز خان بعد سقوط العاصمة بكين[1].

ويفهم من هذا أن العلاقات بين الخوارزميين والمغول السلمية والتجارية كانت مبكرة إذ أنها بدأت منذ سنة 612هـ/ 1215م بعد القضاء على عاصمة الكين مباشرة، أو بعد القضاء على كوتشلوك النيمياني[2].

اتسمت العلاقة بين الخوارزميين والمغول بالحذر والتربص إذ أن كل منها يتحين الفرصة للانقضاض على الآخر، وقامت بينهما معارك حربية محدودة خاصة بعدما احتل المغول دولة الخيطاي.

ثم قامت اتصالات أدت إلى عقد معاهدة صداقة وقيام علاقات تجارية بين الطرفين على أن خوارزمشاه لم يكن راضيا عن هذه المعاهدة لكن الظروف أرغمته على قبولها، فهو بدوره شغلته أطماعه لاستيلاء على العاصمة العباسية[3].

في هذا يشير بروكلمان إلى أقدمية العلاقات التجارية بين المغول والخوارزميين حينما تكلم على الصراع العسكري بين خوارزمشاه وجوجي حيث يقول: "ظلت المعركة سجالا بين الفريقين آثر جوجي أن يتجاهل الحادث على اعتبار أنه سوء تفاهم، وأيا ما كان فقد ارتأى

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 165-166.
[2] حسن خليفة: مرجع سابق، ص ص 239-240.
[3] محمود السيد: مرجع سابق، ص 62.

خوارزمشاه أن يوفد إلى جنكيز خان بعثته يستطلع من طريقها موارد العدو وعدته، أما العلاقات التجارية بين الامبراطورتيين فليس من شك في أنها كانت قائمة قبل ذلك"[1].

وفي هذا الصدد يروي لنا الجوزجاني ما سمعه من المقربين من خوارزمشاه وأحد أركان الدولة الخوارزمية آنذاك وهو عماد الملك تاج الدين، أن السلطان الخوارزمي كان دائم التطلع إلى معرفة أحوال تلك البلاد وكان يسأل القادمين من ممالك الصين وأقصى التركستان، ويضيف الجوزجاني رواية السيد بهاء الدين الذي كان ضمن البعثة التي كان قد أوردها خوارزمشاه إلى بلاط المغول في الصين حيث يقول: "وحينما قابلنا جنكيز خان أحضروا آلتون خان ووزيره مقيدين أمامنا، وفي وقت العودة أرسل جنكيز خان معنا تحفا وهدايا كثيرة إلى خوارزمشاه وقال قولوا لمحمد خوارزمشاه إنني ملك الشرق وأنت ملك المغرب، فيجب أن يتوطد بيننا العهد والمحبة والسلام، وأن تروح وتجيء التجارة والقوافل بين الطرفين، وأن يحضروا إليك الطرف والبضائع التي توجد في ولايتي وكذلك تفعل في بلادك"[2].

ويبدو لنا من رواية الجوزجاني أن هذه البعثة تزامنت مع الوقت الذي كان المغول قد أتموا فيه اخضاع مملكة الكين، وأنها وصلت إلى بلاط جنكيز خان وتصادفت مع اخضاع المغول للامبراطور الصيني ووزيره مقيدين في مجلسه مما يعني أنها كانت أي البعثة بعد العملية العسكرية لجنكيز خان في الصين الشمالية مباشرة أي في سنة 612هـ/ 1215م،

[1] بروكلمان: مرجع سابق، ص 384.

[2] الجوزجاني: مصدر سابق، ص ص 122-123.

وهذا ما يدل على ان بداية الاتصالات والعلاقات بين الخوارزميين والمغول دامت حوالي ثلاث أو أربع سنوات إلى حادثو أوترار التي سيأتي ذكرها.

ويبين النسوي أن هذه المعاهدة استمرت مدة، حيث أعقب جنكيز خان تلك البعثة ببعثة أخرى تزامنت مع عودة السلطان الخوارزمي من محاولة غزوه لعاصمة العباسيين والتي حدثت حسب المؤرخين سنة 614هـ/1217م، وكيف أن خوارزمشاه أجابه إلى ما التمس إليه جنكيز خان من أمر المهادنة، وبين استحسان وسرور جنكيز خان بذلك، وفي ذلك يقول: "لما ألقى السلطان عصا القرار بما وراء النهر بعد منصرفة العراق، لا قته رسل جنكيز خان وهم محمود الخوارزمي وعلي خواجة البخاري ويوسف الأترارى،... وكانت الرسالة تشمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك مسلك المجاملة ... ثم أجاب السلطان إلى ما التمس جنكيز خان من أمر المهادنة، فسر جنكيز خان بذلك وأستمر الحال على المسالمة"[1].

وقد استقبلت البعثة استقبالا حسنا من الخان حيث كان سعيدا جدا بهذه المناسبة الطيبة لتكوين روابط تجارية مع أقطار المسلمين المتحضرة في الشرق أي شرق العالم الاسلامي والتي ستمكن البدو المغول الذي لا ينتجون في منغوليا من الحصول على مصدر جديد لتموينهم بالمنتجات والبضائع والسلع التي يحتاجها مجتمعهم شبه البدائي في منغوليا[2].

[1] النسوي: مصدر سابق، ص ص 83-85. طقوش: تاريخ المغول العظام، ص 55.

[2] العيني: عقد الجمان،ج3، ص343. فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 166. عبد العزيز فهمي: مرجع سابق، ص 48.

ويضيف حسن خليفة قوله: "ويقال أن جنكيز خان أرسل بعثة تجارية إل شاه خوارزم سنة 612هـ فاستقبلها الشاه استقبالا حافلا، ورجع أفرادها مسرورين إلى ملكهم، وبقيت العلاقة طيبة بينهما حتى سنة 615هـ/ 1218م"[1].

جاء في كتاب تاريخ الاسلام للذهبي عند ذكره لأحداث سنة 612هـ1215م جاء فيه ما يلي: "ويقال فيها ـ أي سنة 612هـ ـ كانت حركة التتار إلى قصد بلاد الترك"[2]، وعند تفسير قول الذهبي أن التتار قصدوا بلاد الترك ولم يقل بلاد الاسلام، فهذا يعني قصدهم محاربة كوتشلوك والدولة الخطائية لأنها تعد من بلاد الترك ولم تكن في حوزة البلاد الاسلامية.

وهذا ما يثبت أن المغول جاوروا الدولة الخوارزمية منذ سنة 612هـ حين قصدوا بلاد الترك وقضوا على كشلوك ملك النايمان الذي استولى على عرش الدولة القراخطائية.

انتعشت التجارة بين الدولتين وارتحل مختلف التجار من المسلمين والمغول والصينين عبر الطرق التجارية في أواسط آسيا، والتي عمل جنكيز خان على تأمينها وحمايتها من المعتدين وقطاع الطرق بعد اخضاع القبائل المنتشرة عبرها، ومعاقبة كل من سولت له نفسه بالتعدي على التجار أو ممتلكاتهم، ومن أجل ذلك زود المغول الطرق التجارية الرئيسية

[1] حسن خليفة: مرجع سابق، ص 240.

[2] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص 11.

بحراس عسكريين يطلق عليهم "قراقجية"[1] على شكل معسكرات مكلفين بمرافقة كل أجنبي إلى هذه المعسكرات[2].

يضيف الجويني في ذلك: "لقد خيّم السكون والأمان، وبلغت المتعة والرفاهية غايتهما، وأمنت الطرق، وخبت نار الفتن وهدأ أوارها، حتى إذا ما ظهر نفع أو فائدة في أقصى بلاد المغرب وبداية المشرق، اتجه التجار إلى هناك في أمن وسلام، ونظرا إلى أنه لم يكن للمغول أية مدينة يستقرون بها، ولم يكن للتجار سبيل للوصول إليهم، ظهرت قيمة وفائدة التعامل معهم في البيع والشراء[3].

يقول بيرتولد شبولر: "كانت العلاقات المغولية الخوارزمشاهية غير واضحة المعالم وقد ذكرت المصادر الشرقية المتأخرة أن خليفة بغداد الناصر الدين إليه اتصل عندما تأزمت الأمور بينه وبين محمد الثاني بالحاكم المغولي، وحرصه على الهجوم على خوارزمشاه من المؤثرة، وتدل هذه الرواية على أن الخليفة نفسه هو الذي جلب عليهم أعظم كارثة حلت بهم في التاريخ[4].

أول صدام عسكري بين المغول والخوارزميين قبل حادثة أترار:

[1] وهم المستحفضون الذين يؤمنون الطرق ويحفزون المترددين إلى البلاط، ينظر، ابن العبري: مصدر سابق، ص 400.

[2] حافظ أحمد حمدي: مرجع سابق، ص 83. d'ohsson : histoire des mongols, tomip, 204.

[3] الجويني: مصدر سابق ، ص 107.

[4] بيرتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص 30.

ذكرنا سابقا أن جنكيز خان لما فرغ من إخضاع مملكة كين الصينية إلتفت إلى أعدائه السابقين الفارين من المركيتيين والنمانيين، حيث أرسل فرق عسكرية تتعقبهم في الغرب، إذ أرسل قوة عسكرية بقيادة ولده جوجي وقائده سوبوتاي، للقضاء على توت غان الزعيم المركتيين في نواحي بلاد القفجاق، كما أرسل قوة عسكرية أخرى بقيادة جيبي للاستئصال شأفة كوتشلوك النيماني الذي تربع على عرش الدولة القراخطائية وتم ذلك مباشرة بعد نهاية الأعمال العسكرية في الصين سنة 612هـ/1215م.

وبعد المعاهدة الأولى بوقت قصير، أقدم جنكيز خان على هذا العمل العسكري الذي اعتبره من جانبه حجة لتأمين الطرق التجارية وضربا على أيدي اللصوص وقطاع الطرق، واعتبره السلطان الخوارزمي من جهة أخرى تعديا على دولته وأنه عمل غير مقبول من زعيم دولة صديقه بينهما اتفاق ومعاهدة، فربما لم يتمالك نفسه من الغضب واتخذه حجة في عدوانه على تلك الفرقة المغولية، وهذا ما يفسر ردة فعله في أول صدام عسكري مع القوات المغولية التي كانت تحت قيادة جوجي ابن جنكيز خان، بل وحتى مبادرته في ذلك العدوان، لأنه من المحتمل ان تكون الحادثة استثارة واستدراج لوقوعه في مثل هذا الأمر.

واتفق ذلك أن خوارزمشاه كان في إحدى غزواته ضد الكفار من المركيت الذين كانوا قد فروا من منغوليا خوفا من بطش جنكيز خان ونزلوا في وادي القرغيز في بلاد القفجاق، حيث سار بجيشه شمالا، وبينما هو في سيره جاءته معلومات تفيد بوجود فرقة مغولية تسير على نفس سيره في تعقب بقايا المركيت.

وحسب المصادر التاريخية فإن هذه الفرقة المغولية بقيادة جوجي ابن جنكيز خان قد أخذت الأمر من الخان بعدم التعرض للقوات الخوارزمية أثناء قيامها بهذه المهمة، لأن نية جنكيز خان كانت اللجوء إلى المسالمة مع جيرانه الخوارزميين، إلا أن محمد الخوارزمي الذي لم يدرك آنذاك قوة المغول وحسب اعتقاده أنهم مثل سابقيهم الذين قضي عليهم من القراخطائيين وغيرهم من القوى المجاورة له، وأقدم على عمل غير مسؤول وصف بالتهور والغواية.

وصف لنا الجويني هذه الوقعة مبينا عدم رغبة المغول في محاربة السلطان الخوارزمي معرضين عنها وعدم اعراضه هو، بل وصفه بالتعسف والغواية، حيث يقول: "فقد أرسل جنكيز خان ابنه توشي يعني جوجي- مع جيش كبير للقضاء عليه- يعني بقايا الفارين- حتى يخلص الناس من شره، وفي أثناء عودتهم مضى السلطان في أثرهم ومع أنهم لم يكونوا راغبين في القتال معرضين عنه فإن السلطان لم يعرض عنها بل أقبل عليها وولى وجهه شطر الصحراء التعسف والغواية[1].

وذكر ابن الأثير كذلك هذه الوقعة حيث يعطينا رواية جديدة مفادها أن خوارزمشاه كان سباقا إلى معاداة المغول حينما مضى بغرور إلى بيوت التتر التي لم يبقى فيها سوى

[1] الجويني: مصدر سابق ، ص 98. حسين بن علي بطيطي: أحوال ملوك التتار المغول، تقديم وتصحيح: رسول جعفريان، طهران، 1392هـ، ص 72.

النساء والأطفال، فأوقع بهم وغنم الجميع، حيث يقول: "فوصل إلى بيوتهم فلم يرى فيها إلى النساء والصبيان والأطفال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية"[1].

ويضيف النسوي في هذا الصدد مبرزا حقيقة ما أقدم عليه خوارزمشاه من فعل لا مسؤول رغم أن دوشي، يعني به جوجي، ابن جنكيز خان قد بعث اليه يعلمه أنه في مهمة من أبيه، وأنه لا ينوي الصدام العسكري والمواجهة مع العساكر السلطانية الخوارزمية، فيقول النسوي: "وبعث دوشي خان إلى السلطان من يعلمه أنه لم يتعد إلى هذه الجهة متعديا، بل خدمة للسلطان- أي جنكيز خان- وقد ذكر في جملة ما ذكر أن أباه أوصاه بسلوك مسلك الأدب ان صادف عسكرا من العساكر السلطانية في وجهته تلك، وحذره أن يبدو منه ما يرفع سترا الاهتمام وينافي مذهب الإعظام، فلم تغي ملاطفته، ولم تنقص من لجاج السلطان سحيلا إذا كان معه ضعفا ما كان مع دوشي خان من الرجال".[2]

ويبين بارتولد أن هذا الصدام وقع بالصدفة بين القوات الخوارزمية والمغولية حينما كان خوارزمشاه في ذلك الوقت مشغولا بالحرب مع الكفار، حيث وجه ضرباته إلى بلاد القفجاق بالمنطقة الشمالية من نهر سيحون[3]، فيقول: "وفي نواحي إيرغيز وقع بطريق

---

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 403.

[2] النسوي: مصدر سابق، ص47.

[3] بفتح أوله، وسكون ثانيه، نهر مشهور كبير ما وراء النهر قرب فجندة بعد سمرقند، وهو في حدود بلاد الترك: ينظر الحموي: مصدر سابق، ج3، ص294.

الصدفة صدام بين العساكر الخوارزمية وبين القوات المغولية بقيادة جوجي خان، وكان قد ظل هناك أثناء تعقبه الماركيت الفارين إلى الغرب"[1].

وبعد المعاهدة الأولى بوقت قصير أقدم جنكيز خان غلى عمل عسكري والذي تمثل في اخضاع القبائل المنتشرة في أواسط آسيا عبر الطرق التجارية، الأمر الذي اعتبره السلطان الخوارزمي تعديا على دولته وأمنها وأن هذا العمل لا يصح من رئيس دولة صديقة بينما اتفاق ومعاهدة وأعتبره جنكيز خان من جانبه حجة لتأمين الطرق التجارية وضربا على أيدي اللصوص وقطاع الطرق لكن الخوارزمشاه لم يتمالك نفسه من الغضب واعتبر ذلك عدوانا سافرا لا يمر بدون رد، وهذا ما يفسر ردة فعله المباشرة في أول صدام عسكري مع القوات المغولية التي كانت تحت قيادة جوجي بن جنكيز خان.

ومهما يكن من أمر، ففي شتاء سنة 612هـ/1215م، حدث أثناء غزو المغول للدولة القراخطائية أن قامت المناوشات الحربية بين الخوارزميين بقيادة السلطان محمد خوارزمشاه والمغول بقيادة جوجي بن جنكيزخان[2].

نظر السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه أمامه فوجد المغول في عشرين ألف جندي، أما هو فكان جيشه يبلغ ستين ألفا[3]، وهذا ما زاد في غرور السلطان الخوارزمي ورد برسالة إلى جوجي ابن جنكيز خان على رسالته المذكورة سابقا والتي بعثها إلى السلطان الخوارزمي مُبدياً عدم رغبة المغول في دخول صدام عسكري مع القوات الخوارزمية.

---

[1] بارتولد: تاريخ الترك، ص177.

[2] العريني: مرجع سابق ، ص109.

[3] النسوي: مصدر سابق، ص46. عبد العزيز فهي: مرجع سابق، ص47.

جاء في رد محمد خوارزم شاه على رسالة جوجي خان ما يلي: "إن كان أمرك جنكيز خان ألا تقاتلني، فالله تعالى أمرني أن أقاتلك، ووعد لي على قتالك الحسنى، فلا فرق عندي بينك وبين كورخان وكشلوخان لاشتراككم في الشرك، فأذن بحرب تتقصد فيها الرماح وتتحطم فيها الصفاح"[1].

ورغم إصرار جوجي على عدم محاربة عسكر السلطان الخوارزمي، قد اندفع بالمقابل خوارزمشاه نحو المغول لمقاتلتهم وكان هو المبادر والبادئ في الهجوم والصدام العسكري، وفي ذلك يقول الجويني: "فلما لم تنفعه النصائح وينزجر منها فقد استعدوا للقتال وجهزوا أنفسهم له، وحملوا عليه من الناحيتين، وحملت ميمنة كل من الجيشين على ما يقابلها"[2].

ومهما يكن فإن جوجي اضطر للدخول في معركة مع السلطان الخوارزمي إذ هزم الجناح الأيمن لكل من الجيشين ما يقابله، أي أن ميمنة الخوارزميين هزمت مسيرة المغول وميمنة المغول هزمت مسيرة الخورزميين، ويصف لنا النسوي مجريات هذه المعركة فيقول: "فلما تقابل الفريقان حمل بنفسه– يعني جوجي– على مسيرة السلطان فمزقها تمزيقا، وكادت الهزيمة تستمر بالسلطان لولا عطفه من ميمنته على مسيرة اللعين انتصفت منها فشفت عليلا، وبردت غليلا"[3].

كانت الغلبة للمغول في هذه المعركة منذ البداية خاصة أن المغول كانت لديهم أساليب جديدة في القتال، ولعل ما أورده الجويني في ذلك الدليل على قوة تلك الفرقة

[1] النسوي: مصدر سابق، ص48. عباس إقبال: تاريخ ايران بعد الاسلام، ص349.
[2] الجويني: مصدر سابق، ص 98.
[3] النسوي: مصدر سابق ص 48.

المغولية بالرغم من قلتها حيث كاد الجنود المغول يأسرون السلطان الذي كان يحتل مكان القيادة والمركز في الجيش الخوارزمي فيقول: "وازداد جيش المغول شجاعة واقداما بما أحرزه من نصر، وحملو على مركز الجيش السلطاني حيث كان السلطان يحتل مكان قيادته، وأوشكوا على أسر السطان إلا أنه لم يمضي وقت طويل حتى تمكن جلال الدين من ردهم وإنقاذه من بين أيديهم[1]. كما أن النسوي لم يغفل هذا الأمر حين قال: "وكادت الهزيمة تستمر بالسلطان لولا عطفه من ميمنته على مسيرة اللعين ..."[2]، كان الجناح الأيمن من الجيش الخوارزمي في تلك المعركة تحت قيادة جلال الدين الابن الأكبر لمحمد خوارزمشاه، وهو الذي انقذت شجاعته المسلمين من الهزيمة، حيث أنه لم يمضي وقت طويل حتى تمكن جلال الدين من ردهم وإنقاذ والده[3]، وسيأتي الحديث عنه بعد ان تولى عرش الدولة الخوارزمية فيما بعد.

استمرت المعركة يوماً كاملاً حسب رواية كل من النسوى والجويني إذ يقول الأول: "وتفرق الفريقان يومهم ذلك على ميعاد استئناف الحرب من بكرة غد"[4]، ويقول الثاني : "واستمرت الحرب طوال اليوم وظل الصراع قائما حتى صلاة العشاء وظللت وجه الدنيا سحابة سوداء..."[5]، دلالة على نهاية القتال مع حلول الظلام.

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص ص 98-99.

[2] النسوي: مصدر سابق، ص 48.

[3] عفاف صبرة: مرجع سابق، ص 159.

[4] النسوي: مصدر سابق، ص 48.

[5] الجويني: مصدر سابق، ص 99.

ورغم التفوق العددي للخوارزميين بضعفين على الجيش المغولي إلا أن المعركة لم تحسم لطرف على طرف آخر، أو بالأحرى لم يفلح الخوارزميون في تحقيق نصر حاسم على تلك الفرقة العسكرية لمهارتها في القتال واساليبها الجديدة في الحرب التي ادهشت الجنود الخوارزميين.

إن المعركة التي نشبت بين السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه وبين المغول بقيادة جوجي ابن جنكيز خان لم تكن حربا بمعنى الكلمة، لكنها أظهرت قدرة المغول القتالية[1].

وحسب ما لم يكن لهذه المعركة حسم ولا نتائج كذلك، إلا أننا نجد ما ذكره بعض المؤرخين من خسائر بشرية خلال الاقتتال، خاصة في صفوف الخوارزميين، حيث بلغ عدد من قتل منهم عشرون ألفا بحسب ما أورده كل من ابن الأثير والمدائني: "فأحصى من قتل المسلمين فكانوا عشرون ألفا ولم يحص عدة من قتل من التتار"[2]، كما نلمس نتيجة أخرى كانت معنوية على خوارزمشاه ولصالح المغول، والتي ذكرت في العديد من المصادر التاريخية من أهمها النسوي الذي قال في ذلك: "وتمكن من قلب السلطان من الرعب والاعتقاد بسالتهم ما إذا ذكروا في مجلة يقول: لم ير كرجالهم إقداما وثباتا على مضفى الحرب، وخبرة بقوانين الطعن والضرب[3].

[1] عبد العزيز فهمي: مرجع سابق، ص 47.
[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 403. المدائني: مصدر سابق، ص 30.
[3] النسوي: مصدر سابق، ص 48.

فنرى السلطان الخوارزمي منذ تلك الواقعة أحس بقوة المغول وبدأ يحتاط منهم، كما أنها– أي تلك الواقعة– تركت في ذهنه أثرا سيئا لدرجة أنه كان يفر من أمام الجيوش المغولية كلما التقى بهم في مكان ما، وأستمر في ذلك إلى أن مات على الفرار كما سيأتي ذكره فيما بعد.

ويضيف الصياد في هذا الصدد: "وكانت هذه الموقعة أول موقعة دارت بين الطرفين مع أنها لم تأخذ صفة الحرب الرسمية ولم تؤد إلى نتائج حاسمة، فقد أطلعت السلطان محمد على مدى قدرة. الجنود المغول على خوض غمار الحروب، ولا شك أنها تركت تأثيرا قويا في نفسه بحيث أنه عندما جد الجد وهجم المغول على املاكه صار يتقهقر امامهم بغير انتظام وفقد القدرة على مواجهتهم ومنازلتهم في ميدان واسع[1].

وكان لهذا اللقاء أثر في نفس السلطان الخوارزمي، فاستشعر الخوف من هؤلاء الجيران الجدد، ولم يأمن غدرهم، وبدأ يتابع أخبارهم خاصة لما وصلت إليه أنباء استيلاء جنكيز خان على بكين[2].

انتهت هذه المعركة في يومها الأول بسبب مداهمة ظلمة الليل للجيش، لأنها لم ترجح كفة أي من الطرفين، وكان القتال فيها مستميتا من الجانبين، فإننا نجد المغول من جهتهم لم يكونوا راغبين في القتال معرضين عنه، غير أنهم ارغموا عليه، وهم في حالة الدفاع عن

[1] الصياد: مرجع سابق، ص 96.

[2] منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 135.

النفس وتنفيذا لوصية خانهم الاعظم، أما الخوارزميون فإنهم قاتلوا حمية للدين وصبروا يومهم لعلهم أنهم على ثغر من ثغور الإسلام وفي حالة الجهاد بعيد عن بلادهم.

وفي ذلك يقول المدائني : "أما المسلمون فصبروا حمية للدين وعلموا أنهم إن انهزموا لم يبق للإسلام باقية، ثم إنهم لا ينجون بل يؤخذون ويؤسرون لبعدهم عن بلاد يمتنعون بها، وأما التتار فصبروا لاستنقاذ أموالهم وأهلهم"[1].

بعدما جنح الطرفين إلى محله بعد الإقتتال كانت نية استئناف المعركة في اليوم الموالي خاصة من جانب الخوارزميين، حيث يذكر المؤرخون أنه بعدما انفصل الجيشان إلى حين بزوغ الفجر من اليوم الموالي وجد الجيش الخوارزمي نفسه وحيدا في ساحة المعركة بعد أن غادرها المغول في جنح الليل بعدما اوقدوا نيرانهم موهمين الخوارزميين على بقائهم وثباتهم.

فلما أظلم الليل أوقدت التتار نيرانهم وتركوها وساروا طالبين ديارهم[2]، والذي اتفق عليه في المصادر التاريخية أن المغول هم من انسحبوا من ساحة المعركة في ليلتهم، وبذلك انتهت معركتهم حسب الجويني إذ يقول: "عندئذ انتهت المعركة ووضعوا سيف الصراع في

[1] المدائني: مصدر سابق ، ص ص 29-30.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 403. بن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج7 (الدر المطلوب في أخبار ملك بني أيوب)، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972، ص 240. المدائني: مصدر سابق، ص30. النسوي: مصدر سابق، ص 48. الصياد: مرجع سابق، ص 96.

غمده، وسكن كلا الجيشين كل في محله، وانسحب جيش المغول عائدا إلى المنطقة المغولية[1].

ويضيف عباس إقبال: "ومع أن هذه الواقعة التي كانت أول لقاء بين خوارزمشاه والمغول لم تكن على اهمية كبيرة إلا أنها ارعبت خوارزمشاه لما عاينه من جلادة التتار وشجاعتهم، فجعل يتفادي مقابلتهم فيها بعد ذلك حتى موته، وكان دائم الانسحاب امامهم[2].

ومهما يكن من أمر فإن هذا الاشتباك لم يؤثر في الصلات القائمة بين الدولتين، ولعل كلا الفريقين قد عد هذا القتال نتيجة خطأ يؤسف له[3].

أسباب الغزو المغولي للدولة الخوارزمية:

وللحديث عن الغزو المغولي للدولة الخوارزمية يجب الإشارة إلى بداية ظهور هذه الأزمة الأوترارية التي تعتبر السبب المباشر لاندفاع جنكيز خان بكامل قواته نحو الغرب، وافناء الوجود الخوارزمي.

ويشير المؤرخون إلى اجتماع الكثير من الأسباب التي جعلت من القائد جنكيز خان يوجه أنظاره نحو العالم الإسلامي في شقه الشرقي بداية من الدولة الخوارزمية، والتي يمكن تصنيفها إلى أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة كما سيأتي ذكرها:

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 99. عباس اقبال: تاريخ ايران، ص 350. عفاف صبرة: مرجع سابق، ص 159.

[2] عباس إقبال: تاريخ إيران، ص 350.

[3] الصياد: مرجع سابق: ص 97.

أولا: حادثة أوترار 615هـ/1218م وأسباب توتر العلاقات:

تعتبر حادثة أوترار نهاية للعلاقات السلمية بين المغول والخوارزميين والتي أدت إلى توتر العلاقات بينهما كانت نتيجتها زحف جحافل القوات المغولية واجتياحها إقليم الدولة الخوارزمية وفتح الطريق إلى بداية غزو العالم الإسلامي الأسياوي واسقاط معالمه الحضارية وأهم مراكزه حتى عاصمة العباسيين دار السلام بغداد في 656هـ/ 1258م.

كما سبق الإشارة إليه، فحادثة أوترار هي السبب المباشر في توتر العلاقات وتأزم الأوضاع مما أدى إلى بداية الغزو، وتعتبر مدينة أوترار[1]، الواقعة في المنطقة الحدودية بين الدولتين هي منطلق الغزو المغولي نحو الدولة الخوارزمية، ذكرت في العديد من المصادر التاريخية على لسان المؤرخيين المعاصرين واللاحقين للحادثة، كما يصفونها بأنها– اي الحادثة – سببا في تخريب ديار الإسلام، كقول الجورجاني حين قال: "ولأن الحق تعالى كان قد أراد أن يكون هذا الغدر سببا في تخريب ديار الإسلام"[2].

وتمثلت هذه الحادثة في أنه كان بين المغول والخوارزميين علاقات سلمية تجارية، وكان التجار ينتقلون بتجارتهم وسلعهم من الطرفين، وازدهرت العلاقات التجارية بينهما، إلى أن حدث ذات مرة حين قدمت قافلة تجارية من قبل جنكيزخان متجهة نحو البلاد الخوارزمية، ثم وصلت إلى المدينة الحدودية التي تسمى اوترار بين الدولتين، وكانت محملة

[1] أطرار، وقال بعضهم يقول أترار، وهي مدين حصينة وولاية واسعة في أول حدود الترك بما وراء النهر، على نهر سيحون قرب فاراب، ينظر الحموي: مصدر سابق، ج1، ص 118.

[2] الجوزجاني: مصدر سابق، ص 123.

بالنفائس مما أطمعت نفس حاكم هذه المدينة بما حوته تلك القافلة من أثمن وأجمل وأطرف السلع والمجوهرات والمتاع، أدت به إلى إبادة أفرادها ونهب ممتلكاتهم.

اختلفت الروايات التاريخية في وصف حيثيات تلك الحادثة إختلافا كثيراً، واتفقت في شيء واحد مكانها مدينة أوترار التي سميت أحيانا أطرار من قبل بعض المؤرخين، وسنبين هذه الاختلافات من خلال سرد الروايات التاريخية وتحليلها ومقارنتها.

تجلى الإختلاف الأول بين الروايات في من أمر بقتل التجار، لأن هذه الجزئية هي الأكثر أهمية، ويتمثل الاختلاف في روايتين متباينتين:

فأصحاب الرواية الأولى يقولون بأن أمر قتل التجار الذين وفدوا إلى مدينة أوترار صدر من السلطان الخوارزمي شخصيا ومباشرة إلى نائبه في أوترار وفي ذلك يقول الجويني: "قبض عليهم جميعا- أي نائب السلطان - واحتجزهم وأرسل رسولا مخبرا السلطان بأحوالهم، فأمر السلطان بإباحة سفك دمائهم دون تفكير أو روية"[1]، ويضيف: "وقضى عليهم امتثالا لما أشير عليه به".

ويضيف الجوزجاني أيضاً في ذلك: "وحينما وصلت القافلة إلى أوترار غدر بهم "قدر خان" حاكم أوترار وطلب الاذن من محمد خوارزمشاه وقتل جميع التجار القادمين والرسل"[2].

[1] الجويني: مصدر سابق، ص109.

[2] الجوزجاني: مصدر سابق، ص 123.

ويدعم هذه الرواية أيضا ابن أيبك الدواداري في قوله: "فلما قدم أولئك الأقوام إلى بلد يقال لها أتراب ـ يعني أترار ـ وهي آخر ولاية مملكة السلطان، وكان بها نائب للسلطان علاء الدين، فعوقهم عنده وسير إلى السلطان يقول: "إن قوما قدموا علينا لا نعرفهم قبل ذلك ومعهم أموالا جمة، من أصناف كيت وكيت، يقصدون بيعه ومشترى قماش وسلاح، فما ترسم في أمرهم، فكتب إليه السلطان يقول: إذا أتاك كتابي فاضرب رقابهم"[1].

ثم إن هناك مؤرخ آخر أقرب للحادثة زمانا ومكانا ألا وهو ابن الاثير، فنجده يقول في هذا الصدد: "فوصلوا ـ أي التجار ـ إلى مدينة من بلاد الترك تسمى أترار، وهي آخر ولاية خوارزمشاه وكان له نائب هناك، فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر أرسل إلى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم، ويذكر له ما معهم من أموال فبعث إليه خوارزمشاه يأمر بقتلهم»[2].

ويضيف ابن العبري رواية في نفس المنوال إلا أنه يشير إلى أن نائب خوارزمشاه كان السبب في قتل التجار، إذا حسَّن للسلطان ذلك حين زيَّن له إبادتهم واغتنام أموالهم طمعا وشجعا، ويقول ابن العبري: "فلما وصل التجار الى مدينة أترار طمع أميرها غاير خان فيما معهم من الأموال، فطالع السلطان في أمرهم وحسن له إبادتهم واغتنام مالهم، فأذن له في ذلك فقتلهم»[3]، وسواء زين له النائب في ذلك أم لا، فالإذن بالقتل صادر من السلطان.

---

[1] بن أيبك: مصدر سابق، ص ص 237-238.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 401.

[3] ابن العبري: مصدر سابق، ص 401.

وتظهر لنا رواية أخرى بسياق مختلف وخطير، تجعل السلطان الخوارزمي متهما مع سبق الإصرار والترصد بالمعنى الحديث، والتي جاء بها أبو الفضائل الحموي، حيث يوضح لنا أن السلطان الخوارزمي استعمل الحيلة، الغدر في قتل التجار بالتعاون مع نائبه في أترار حيث يقول: "فلما وصلوا إلى الحد الذي لبلاده إلى بلد يقال له أطرار، فيه أمير يقال له رسلان ملك من قبل السلطان، فأعاقهم ويسر الى السلطان عرفه خبرهم ... فجاوبه السلطان أن من المصلحة أن لا يمكن هؤلاء من دخول بلادنا وكشفها ولا يؤمنون فتجهزهم وتسيرهم يومين ثلاثة في الطريق، وتسير اليهم من يأخذهم ويقتلهم حتى كأن الحرامية قد فعلوا بهم ذلك، فعمل بقوله وما سلم منهم إلا شخص تركوه قصدا»[1].

ويفهم من هذا أن السلطان محمد خوارزمشاه متهم مباشرة في قتل التجار وأنه فعل ذلك بالحيلة، والمكر حتى لا يظهر أنه المسؤول عن قتلهم، غير مدرك أنهم قتلوا في حدود مملكته، وداخل أراضيه، وبذلك وحسب الأعراف الدولية فإنه المسؤول عن أمنهم وحماية ممتلكاتهم.

ويضاف إلى أصحاب هذه الرواية المؤرخ المشهور العيني، والذي هو بدوره اعتمد على مصادر مهمة ومطلعة وقريبة من المكان وقريبة في زمان للحادثة حيث يقول: "وسبب دخولهم أن جنكيز خان بعث تجارا له مع أموال كثيرة إلى بلاد خوارزمشاه يشترون له ثيابا

[1] الحموي: مصدر سابق، ص ص 81-82.

... فكتب نائب خوارزمشاه إليه يخبره بهم وبما معهم من الأموال الكثيرة، فأرسل خوارزمشاه إليه يأمره بقتلهم وأخذ أموالهم ففعل ذلك»[1].

ويروي ابن واصل حين تكلم عن هذه الحادثة الدموية في أترار وأسبابها فيقول: "فوصل هؤلاء التجار إلى بلد يقال لها أترار من البلاد الترك، وهي آخر ولاية السلطان علاء الدين خوارزمشاه وكان له نائبا هناك، فلما ورد هؤلاء عليه أرسل إلى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم، ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث إليه خوارزمشاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال فقتلهم وسير ما معهم إلى خوارزمشاه"[2].

ويذكر صاحب البداية والنهاية في حديثه عن جنكيز خان وجنوده وعبورهم نهر جيجيون وسبب ذلك، حيث يقول: "وسبب دخولهم نهر جيحيون أن جنكيز خان بعث تجارا له للكسوة، فكتب نائبها إلى السلطان خوارزمشاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم، ففعل ذلك»[3].

وينقل لنا ابن بطوطة عند ذكره في أولية التتر وتخريبهم بخارى أنه اتفق أن بعث تنكيز خان تجارا بأمتعة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها إلى بلدة أطرار... فبعث

[1] العيني: عقد الجمان، ج3، ص 343.
[2] ابن واصل: مصدر سابق، ص 38.
[3] ابن كثير: مصدر سابق، ص 1990.

إليه عامله عليها ـ أي إلى السلطان ـ معلما بذلك واستاذنه ما يفعل بأمرهم فكتب إليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثِّل بهم ويقطع أعضائهم ويردهم إلى بلادهم»[1].

يضيف الدكتور بشار قويدر في حديثه عن اكتساح التتر للشرق الإسلامي وأسبابه أن إساءة السلطان الخوارزمي إلى قافلة التجار التي أرسلها قائد التتر جنكيزخان لتقوم بمهام تجارية في الأسواق الخوارزمية، حيث أمر السلطان بمصادرة أموال القافلة وقتل أفرادها ونهب البضاعة[2] يجمع هؤلاء المؤرخون أن السلطان محمد خوارزمشاه كان هو الآمر بقتل هؤلاء التجار والسبب في توجه أنظار جنكيز خان نحو الدولة الخوارزمية ولا يذكرون سببا آخر في ذلك غيره.

أما أصحاب الرواية الثانية فهم قليلون، لا نجد في روايتهم ذكر للسلطان خوارزمشاه محمد بأي صورة كانت مباشرة أو غير مباشرة، ومن أهمهم الديار بكري، إذ جاء في قوله: "لما سافرت تجار جنكيز خان وجاءت فظلمهم نائب بخارى، وهو خال خوارزمشاه، وأخذ أموالهم»[3]، إلا أننا لم نجد في روايته ذكر للقتل بل استعمل لفظة ظلم فقط.

ونجد مؤرخا آخرا من مشاهير المؤرخين والمصنفين في التاريخ، له الكثير من المؤلفات ألا هو الذهبي، فهو يجمع بين الروايتين لأنه أخذ عن الكثير من المؤرخين، ذلك

[1] ابن بطوطة: مصدر سابق، ص 237.
[2] بشار قويدر: دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب والمشرق، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص392.
[3] الديار بكري: مصدر سابق، ص 411.

نجده مثلا يذكر في كتاب التاريخ الاسلام أن السلطان الخوارزمي هو الآمر بقتل البعثة التجارية حيث يقول: "فبعث يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم»[1].

ونجد في كتابه دول الإسلام لم يذكر اسم السلطان الخوارزمي مطلقا في قوله: "فظلم نائب بخارى تجار جنكيز خان وأخذ أموالهم»[2].

كما نجده في كتابه العبر في خبر من غبر يسرد رواية أخرى مغايرة عن الأولى والثانية إلا انها تنتمي إلى أصحاب الرواية الأولى، مفادها أن الآمر بالقتل كان نائب السلطان لكن بالقبض عليهم ونهب أموالهم ولا يذكر قتلهم، ثم بعد فعل ذلك أرسل الخبر إلى السلطان: "استقر الحال إلى أن جاء من بلاده تجار إلى ما وراء نهر وعليها خال خوارزمشاه فقبض عليهم، وأخذ أموالهم شرها منه، ثم كاتب خوارزمشاه يقول: إنهم تتار في زي التجار وقصدهم يجسو البلاد"[3]، ومعنى قوله "واخذ اموالهم شرها منه ثم كاتب خوارزمشاه". اي انه هو المتسبب في الجريمة سواء كانت مقتلة او حبسا او نهبا للتجار، وان السلطان لا علم له في ذلك.

[1] الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 40.

[2] الذهبي: دول الإسلام، ص 120.

[3] الذهبي، العبر خبر من غبر، ج3، ص 165.

كما أننا نجد المؤرخ العيني يعود ليقول بصريح العبارة أن والي المدينة هو صاحب الأمر في المذبحة، حيث قال: "لما وصل التجار إلى أترار شرهت نفسه الدنية في أموالهم واحتاط عليهم وخفى أثرهم وتفرد بتلك، الأموال بغير علم السلطان»[1].

أما النسوي وهو المعروف بقربه وعمله في البلاط الخوارزمي في عهد السلطان جلال الدين ابن محمد خوارزمشاه، يأتي هو الاخر برواية يبرئ فيها السلطان الخوارزمي ويلقي التهمة كاملة على نائبه، بل ويصفه ببعض الصفات الذميمة فيقول: "فشهرت نفسه الدنية إلى أموال أولئك وكاتب السلطان مكائبة خائن يقول: إن هؤلاء القوم قد جاؤوا إلى أترار في زي التجار وليسوا بتجار بل أصحاب أخبار ... حتى أذن له السلطان في الاحتياط عليهم إلى أن يرى فيهم رأيه، فقبض عليهم، وخفي بعد ذلك اثرهم وانقطع خبرهم»[2].

ويضيف النسوي مبينا لنا أن ينال خان نائب السلطان في أترار لم يعمل بأمر السلطان في الاحتياط على التجار بل تعدى إلى ماكان عاقبة أمره خسرا.

وعلى أية حال، إذا قارنا بين الروايات المختلفة في هذه الجزئية فلا مجال للمقارنة، لأن الكثير من المؤرخين يجمعون على أن السلطان محمد خوارزمشاه هو صاحب الآمر في هذه المذبحة.

[1] العيني: عقد الجمان، ج3، ص 343.

[2] النسوي: مصدر سابق، ص ص 85-86.

لكن وبالنظر إلى وجود رواية النسوي فعند مقارنتها بجميع الروايات الأخرى يمكن القول بحكم قربها من الحادثة زمانا ومكانا، لعلها هي الأقرب إلى الحقيقة لأن شخصا مثل النسوي الذي تقلد منصبا عاليا في بلاط الدولة الخوارزمية يستطيع أن يطلع على وثائق أو معلومات مهمة تخص الحادثة بصفة مباشرة، ونستبعد ميله إلى العاطفة في إعطاء الحقيقة، إذ نجده يضع نائب السلطان ـ والذي كان من ذوي القربى للسلطان نفسه ـ في موضع التهمة ووصفه بالخيانة والجشع.

هناك جزئية أخرى كانت محل اختلاف بين الروايات التاريخية ذكرت في بعض المصادر وأغفلت في أكثرها، ألا وهي عدد أفراد القافلة التجارية الوافدة إلى المدينة أترار، فذكرها جاء بأرقام مختلفة متباينة.

فالجويني ذكر أنه لما عزم جنكيز خان على إرسال قافلة تجارية إلى بلاد خوارزمشاه، أمر الأبناء وصغار الأمراء أن يرسل كل واحد منهم شخصين أو ثلاث حيث يقول: "فامتثلوا لأمره وأذعنوا لحكمه وسير كل أمير شخصا أو اثنين من قومه التابعين له، فاجتمع بذلك أربعمائة وخمسون"[1]، وهذا العدد ربما يتناسب مع عدد الأمراء والأبناء إذا كان كل واحد منهم يرسل فردين أو ثلاثة أفراد تنفيذًا لأمر الخان كما جاء في الرواية.

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 108.

ونفس الشيء جاء به ابن العبري فيما يتعلق بأمر جنكيز خان إلى الأولاد والامراء بإرسال مرافقين في القافلة، إلا أن العدد كان أقل بكثير عن الأول، حيث يقول: "فامتثلوا لما أمرهم به فاجتمع معهم مائة وخمسون تاجرا»[1].

ويضيف الجوزجاني روايته التي أخذها من أحد رجال الدولة في عهد السلطان محمد خوارزمشاه، وهو السيد بهاء الدين أحد أفراد البعثة التي أرسلها السلطان إلى بلاط جنكيز خان لتقصي الأخبار وجمع المعلومات، وربما كان تاجرا، وحين عودة تلك البعثة من بلاط جنكيز خان، جهز هذا الأخير قافلة تجارية معهم إلى البلاد الخوارزمية، فيقول بهاء الدين نقلا عن الجوزجاني: "وكان يرافقنا خمسمائة من الجمال المحملة بالذهب والفضّة"[2] وربما يقصد بهذا العدد من الجمال أنه كان لكل جمل فرد يقوده، لأنه لما ذكر حادثة القتل قال: "بحيث لم ينج أي واحد منهم إلا جمالا كان في الحمام"، وبهذا يكون عدد أفراد القافلة قد بلغ خمسمائة فرد.

غير أننا نجد أن النسوي في روايته قد اكتفى بذكر أربعة تجار من أفراد القافلة بأسمائهم، وهم عمر خواجة الاترراي والجمال المراغي وفخر الدين البخاري، وأمين الدين الهروي، والراجح أن هؤلاء الذين ذكرهم النسوي كانوا بصحبة مجموعة من التجار والرسل ممن أوفدهم الخان المغولي، لأننا نلمس فيما جاء به في رسالة ينال خان التي بعث بها إلى

[1] ابن العبري: مصدر سابق، ص 400.

[2] الجوزجاني: مصدر سابق، ص 123.

السلطان حين قال: "إن هؤلاء القوم قد جاؤوا إلى أترار"[1]، ولفظة "القوم" هنا تدل على كثرة العدد.

ويذكر الحموي أن عدد الرسل الوافدين مع القافلة ثلاثة أفراد، ولم يذكر عدد التجار المصاحبين لهم حيث يقول: "وعدتهم ثلاث رسل وصحبتهم تجار"[2]، إلا أننا نجد هذه الرواية تتفق مع رواية ابن العبري تقريباً، حينما أضاف الحموي قائلا: " والذي كان مع الرسل والتجار صحبتهم ما يناهز مائة وخمسون فرسا محملا عليها نقرة الفضة"، ولعله كان مع كل فرس تاجر يمتطيه، وبذلك يكون عدد التجار مائة وخمسون تاجرا ومعهم رسل جنكيز خان الثلاث.

أسباب مذبحة أترار:

أما عن أسباب هذه المذبحة التي راح ضحيتها تجار أغلبهم من المسلمين كما جاء في الكثير من المصادر التاريخية، فقد اجتمعت عدة أسباب أهمها وأبرزها سببين ذكرهما الكثير من المؤرخين لتلك الفترة

تمثل أحدهما في الطمع والجشع الذي أغلب أترار أو الأمر الفعلي بقتل هؤلاء التجار، سواء كان السلطان أو نائبه لما حوته تلك القافلة من نفائس وأموال كثيرة، وقد أشار إلى ذلك أغلب المؤرخين مثل ابن الأثير والجويني وابن واصل والديار بكري والجوزجاني

[1] النسوي: مصدر سابق، ص 85.

[2] الحموي أبي الفضائل: مصدر سابق، ص ص 81-82.

وابن كثير والذهبي وغيرهم على نحو جاء فيه: "فقبض عليهم وأخذ أموالهم شرها منه"[1]، "فكتب إليه نائبها يذكر له ما معهم من كثرة الأموال، فأرسل إليه ـ أي السلطان ـ بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم"[2]، "فظلمهم نائب بخارى وأخذ أموالهم"[3]، "فأرسل إلى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال، فأرسل إليه خوارزمشاه يأمر بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال"[4].

ويضيف الجوزجاني في هذا السياق قائلا: "وكان يرافقنا خمسمائة من الجمال المحملة بالذهب والفضة والحرير الخطائي، ... وقتل جميع التجار القادمين والرسل طمعا في ذلك الذهب وتلك الفضة"[5]، وهذا يدل على مدى قيمة تلك القافلة لما حوته من نفائس المعادن والاقمشة.

كما أن النسوي اختار في تعبيره على هذا العمل الإجرامي من قبل نائب السلطان ألفاظ تنم بالسخط، واصفا إياه بالجشع والخيانة والكذب قائلا: "فشرهت نفسه الدنية إلى أموال أولئك، وكاتب السلطان مكاتبة خائن مائن"[6].

---

[1] الذهبي: العبر، ج3، ص 165.

[2] ابن كثير: مصدر سابق، ص 1990.

[3] الديار بكري: مصدر سابق، ص 411.

[4] ابن واصل: مصدر سابق، ج4، ص 38. العيني: عقد الجمان، مصدر سابق،ج3، ص 343. ابن الأثير: مصدر سابق، ص 401. ابن أيبك: مصدر سابق، ج7، ص 238.

[5] الجوزجاني: مصدر سابق، ص 123.

[6] النسوي: مصدر سابق، ص 85.

وتمثل السبب الثاني في الشبهة والشكوك التي راودت نائب السلطان حول هؤلاء التجار بأنهم قد يكونوا جواسيسا وأصحاب أخبار من طرف المغول، حيث أشار إلى ذلك الحموي صاحب التاريخ المنصوري في الرد الذي بعثه السلطان الخوارزمي إلى نائبه حين قال: "من المصلحة أن لا يُمَكّن هؤلاء من دخولهم بلادنا وكشفها ولا يؤمنوا"[1]، فهذا الجواب من عند السلطان جاء بصيغة التحذير من هؤلاء واليقظة منهم ومن تحركاتهم لاشتباهه فيهم أنهم قد أرسلوا جواسيسه إلى بلاد المغول.

ويشير النسوي كذلك إلى أن الشكوك التي انتابت ينال خان حول هؤلاء أدت به إلى أن بعث برسالة إلى السلطان محمد خوارزمشاه يحذره منهم، حيث جاء في رسالته: "إن هؤلاء القوم قد جاؤوا إلى أترار في زي التجار، وليسوا بتجار بل أصحاب أخبار[2].

ويذكر الذهبي في موضع آخر في نفس السياق فيقول: وكاتب السلطان ـ أي والي أترار ـ يقول: إن هؤلاء القوم قد جاؤوا بزي التجار وما قصدهم إلا إفساد الحال وأن يجسوا البلاد»[3].

وذكر الجويني في روايته سببا آخر الى جانب طمع وجشع نائب المدينة، حيث يسميه "إينال جوق"، وأنه لقب فيما بعد بلقب "غاير خان"، وأثناء وصول القافلة إلى المدينة

[1] الحموي أبي الفضائل: مصدر سابق، ص 82، الندوي: مرجع سابق، ص 20.
[2] النسوي: مصدر سابق، ص 86.
[3] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص23.

كان أحد أفرادها يعرفه باسمه الأول، فناداه به "إينال جوق" فتضايق منه هذا الوالي وفعل ما فعل: "وكان أميرها هو إينال جوق وكان قد لقب بلقب غاير خان"

وكان من بين جماعة التجار تلك أحد الهنود على معرفة به من قبل، فناداه وفقا لما كان مألوفا لديه باسم إينال جوق، فتضايق لذلك[1]، ويضيف عن السبب الثاني قائلا: "وطمع في مال القافلة، وسولت له نفسه أمر الاستيلاء عليها وأخذها".

ويمكن القول أن تضايق الوالي من مناداته باسمه الأول لم يكن مبررا لارتكاب جريمة القتل تلك، وإنما ذكره الجويني ليصف لنا الغرور الذي تملك هذا الوالي لدرجة أنه يغضب ويستشيط لأتفه الأسباب.

ونفس الرواية جاء بها الرمزي حيث يقول: "وكان بعضهم يعرف غاير خان أولا فخاطبه باسمه الأول لعدم علمه بالمنع عنه، غضب غاير خان لذلك وانظم إلى ذلك تسويلاته النفسانية له من الطمع في أموالهم"[2].

ومهما يكن، فأيا كان صاحب الأمر في هذه المذبحة التي راح ضحيتها تجار أغلبهم من المسلمين، وأيا كان سبب قتلهم، وعدد القتلى فيها، فإن هذه الحادثة كانت سببا في تحريك جيوش المغول وهجومهم الوحشي الهمجي وإغراق الدولة الخوارزمية في بحار من الدماء، وخراب الكثير من حواضر المشرق الاسلامي آنذاك حتى العاصمة العباسية بغداد.

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص ص 108-109.

[2] الرمزي: مصدر سابق، ص 351.

أسباب أخرى للغزو:

أشار بعض المؤرخين إلى أسباب أخرى حملت جنكيز خان أن يوجه أنظاره شطر الدولة الخوارزمية المجاورة له ناحية الغرب وعددوا في ذلك عدة أسباب نذكر منها:

1 ـ تحريض الخليفة العباسي الناصر الدين الله[1] جنكيز خان لدخول البلاد الخوارزمية: والذي كان خليفة المسلمين آنذاك، حيث أرسل إلى جنكيز خان يستدعيه للدخول إلى البلاد الخوارزمية ويهون عليه ذلك، ويصغر له أمر السلطان علاء الدين خوارزمشاه، وذلك أثناء محاولة هذا الأخير الاستيلاء على عاصمة العباسيين وخلع الخليفة العباسي المذكور استبدله بخليفة آخر.

يقول بن أيبك: "إن الإمام الناصر الدين الله أمير المؤمنين كتب إلى التتار يستدعيهم إلى البلاد ويهون عليهم العبور إلى الأقاليم، ويصغر عندهم أمر السلطان"[2].

ويعلن ذلك صراحة المؤرخ المقريزي صاحب "السلوك"، بأن الخليفة هو سبب دخول المغول، فيقول: "وفي خلافته ـ أي الناصر الدين الله ـ خربت التتر بلاد المشرق حتى

---

[1] أبو العباس أحمد، بويع بالخلافة ليلة الأحد 02 ذي القعدة 575هـ، مكث في الخلافة ستة وأرعين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما، توفي في رمضان 622هـ، وأغارت التتر على بلاد خراسان وبلغوا العراق في عهده، ينظر: البكجري علاءالدين ملغطاي بن قلنج بن عبدالله: مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق: آسيا كليبان، دار الفجر للنشروالتوزيع، القاهرة، 2001.

[2] بن أيبك: مصدر سابق، ج7، ص 217.

وصلوا إلى همذان، وكان هو السبب في ذلك، فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد خوفا من السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه لما هم بالاستيلاء على بغداد"[1].

وعن هذا يضيف بن تغرى بردي في حكاية تنسب إلى الخليفة العباسي الناصر الدين الله، حيث يقول: "يُحكى عنه أنه لما دخلت التتار البلاد وملكوا ما وراء النهر إلى العراق، وقتلوا تلك المقتلة من المسلمين، التي ما نكب المسلمون بأعظم منها، دخل عليه الوزير فقال: آه يا مولانا إن التتار قد ملكت البلاد وقتلت المسلمين، فقال له الناصر لدين الله: دعني أنا في شيء أهم من ذلك، طيْرتي البلقاء، لي ثلاث أيام ما رأيتها، وفي هذه الحكاية كفاية إن صحت عنه"[2].

ويبدو هنا أن تجاهل الخليفة العباسي الناصر لدين الله لهذا الأمر العظيم واستصغاره عمدا "إن صح ذلك" كما يقول بن تغرى بردي، إنما سببه التواطؤ أو الغفلة، وهو الأمر الذي يعني من الناحية الظاهرة أنه هو السبب في استفحال أمر التتار وهجومهم على بلاد الإسلام.

[1] المقريزي: السلوك، ج1، ص 341.

[2] بن تغرى بردي: مصدر سابق، ج6، ص 232.

ويشير ابن الأثير إلى هذا الأمر بطريقة غير مباشرة في عبارة أخذها الكثير من المؤرخين على هذا المنوال حيث قال: "وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد الإسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر"[1].

من بين المؤرخين الذين أخذوا قول ابن الأثير وفسروه على نحو أن الخليفة العباسي الناصر الدين الله هو السبب في خروج المغول إلى ديار الإسلام، نجد ابن واصل الدين أورد كلام ابن الأثير وزاد عليه ما يلي: "أنه قيل أن الخليفة الناصر الدين الله لما قصد خوارزمشاه ليستولي على العراق، كتب الخليفة إلى جنكيز خان ملك التتر يطمعه في البلاد، ويحسن له الخروج عليه، ويهون عليه أمره، وقد بلغني أن الخليفة الناصر الدين كتب إلى خوارزمشاه كتابا، وضمنه بيتا يهدده به وهو: ستعلم أن حانت على الدهر لفتة عمود دواتي أم سنانك أقوم، وإنما لم يصرح ابن الأثير بذلك خوفا من الخليفة والله أعلم بحقيقة ذلك"[2].

واتبع أصحاب هذه الرواية مجموعة من المؤرخين المتأخرين في أن الخليفة الناصر الدين الله العباسي كان سببا بطريقة أو بأخرى في البلاء المغولي على الخوارزميين وحتى على الخلافة العباسية في بغداد، منهم عبد العزيز الخالدي، ففي حديثه عن فشل مفاوضات الصلح التي أبداها الخليفة العباسي مع السلطان الخوارزمي أثناء تقدمه نحو العاصمة بغداد، حيث قال: "عند ذلك أرسل الخليفة إلى جنكيز خان طالبا مساعدته ضد السلطان

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 402.

[2] ابن واصل، مصدر سابق، ص 39.

خوارزمشاه، وكانت الطامة الكبرى والجريمة النكراء التي ارتكبها الخليفة، فقد لفت هذا الطلب نظر المغول إلى التدخل في العالم الإسلامي وعرفهم بمدى تفرق المسلمين"[1].

ويشير إلى هذا الاتهام كذلك المؤرخ عبد المعطي الصياد في قوله: "وكثيرا ما يقال إن خطط جنكيز خان إذا لم تكن بتحريض من دول أجنبية، فقد كانت على الأقل تلقى تأييدا من الخارج وبخاصة من خليفة بغداد الناصر"[2].

كما نجد المؤرخ بيرتولد شبولر يشير إلى هذه النقطة في قوله: "فبعض المصادر الشرقية المتأخرة تؤكد أن خليفة بغداد الناصر الدين الله هو الذي استدعى خان المغول بسبب وضعه الذي غدا صعبا أمام محمد خوارزمشاه، هو الذي دفع جنكيز خان لمهاجمة السلطان محمد الثاني من الخلف"[3].

ويصرح حسن خليفة أن الخليفة أخطأ عندما التجأ إلى المغول فيقول: "ارتكب الناصر خطأ جسيما بالالتجاء إلى المغول، فقد أطمعهم في بلاد الدولة العباسية، ودلهم على مواطن ضعفها، إذ انتهزوا تلك الفرضة العظيمة وحولوا تيار فتوحاتهم نحو الغرب وأغاروا على أطراف الدولة، وحاربوا شاه خوارزم، فقضوا على سلطانه وسلطان غيره من أمراء المسلمين

[1] عبد العزيز الخالدي: مرجع سابق، ص ص 49-50.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 107.

[3] شبولر: المغول في التاريخ، ص 24، العالم الإسلامي، ص 30.

في بلاد الجزيرة والموصل وآسيا الصغرى، ثم نزلوا على العراق ودخلوا بغداد بعد ذلك وقضوا على الخلافة العباسية"[1].

وهكذا نرى أن الخليفة بعد اجتماعات عدة عقدها في بغداد يقرر بحنكته أن جنكيز خان الذي ذاع صيته في شرق آسيا وغربها، هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يرد السلطان الثائر إلى صوابه، فلم يتردد في أن يستعين به على عدوه الخوارزمي"[2].

ويضيف أحمد حمدي في هذا السياق: "ولم يجد الخليفة بعد ذلك من ينصره على عدوه الخوارزمي الذي عقد العزم على الاستيلاء على بغداد، وأخيرا هداه تفكيره إلى الاستعانة بعدو من نوع جديد يخالف كل تلك القوى التي رأيناها، عدو وثني جاء من أقصى الشرق ليرتشف من دماء المسلمين في أقصى الغرب، ولم يكن هذا العدو سوى جنكيز خان خاقان المغول"[3].

ويُبدي علي البار تأسفه من إقدام الخليفة العباسي على مراسلة جنكيز خان للاستعانة به في القضاء على عده اللدود السلطان علاء الدين، الذي حارب الخليفة العباسي بعدما رفض أن يُدعى للسلطان الخوارزمي على المنابر، يقول علي البار: "وقد أدى العداء الشديد بين

[1] حسن خليفة: مرجع سابق، ص 237.

[2] منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 123.

[3] أحمد حمدي: مرجع سابق، ص50.

الخليفة العباسي الناصر لدين الله وعلاء الدين محمد خوارزمشاه إلى أن يقوم الخليفة بمراسلة جنكيز خان ييحثه على غزو بلاد علاء الدين خوارزمشاه"[1]

1-خلو البلاد المجاورة للخوارزميين من الملوك والسلاطين:

إذ نجد هذا السبب الذي جاء ذكره في بعض المصادر، ولعله لا يقل أهمية عن الأول، حيث خلت البلاد من الملوك والسلاطين بعدما قضى عليه السلطان الخوارزمي وأصبح هو المسيطر الأول والوحيد في المنطقة، إذ نجد أنه كما جاء في بعض المصادر- قد زج بهؤلاء الملوك في السجون وعاملهم معاملة عنيفة ومذلة، وبالتالي خلت التخوم مِن مَن قد يحارب أو يرد الهجمات المغولية، أو حتى يساند السلطان الخوارزمي في ذلك، وهذا ما أورده بن تغرى بردي حين قال: "وكان خوارزمشاه قد اخلى البلاد من الملوك، فلم يجدوا- اي المغول- أحدا يردهم"[2].

2- رؤيا جنكيز خان: هناك رواية اخرى تعد سببا في مهاجمة جنكيز خان بلاد الدولة الخوارزمية، والتي تمثلت في الرؤيا التي رآها حين تأثّر وانعزل عند مبالغة خبر تلك الجريمة التي ارتكبها والي السلطان الخوارزمي ضد رعاياه، فجاء بهذا الرواية ابن العبري في قوله: "رأى في منامه راهبا عليه الواد وبيده عكازة وهو قائم على باب يقول له: "لا

[1] محمد علي البار: مرجع سابق، ص62.

[2] بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ط1، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج6، ص 220.

تخف افعل ما شئت فإنك مؤيد، فانتبه مذعورا ذعرا مشوبا بالفرح"[1]، وما يورده ابن العبري في روايته التي اتمها على أن زوجة الخان كانت قد فسرت تلك الرؤيا لزوجها انها دليل انتقال السعادة إليه، فكان هذا حافزا لاستعداده لقصد بلاد السلطان خوارزمشاه.

ومن جانبه ذكر الجوزجاني رواية في نفس المنوال وان الرؤيا هي السبب في قصد جنكيز خان بلاد الاسلام، انما كانت روايته مغايرة لرواية ابن العبري، جاء فيها جنكيز خان رأى في منامه أنه يربط عمامة طويلة جدا على رأسه بحيث اصابه الملل من طول تلك العمامة ومن ربطها، وكان تفسير هذه الرؤيا حسب ما جاء به الجوزجاني من قبل تاجر مسلم عربي، حيث يقول: "فقال ذلك التاجر العربي إن العمامة هي تاج العرب، وتفسير رؤياك هو ان بلاد الاسلام ستدخل في حوزتك وسوف تحكمها، فوقع هذا الكلام موقع الرضا من جنكيز خان، ولهذا السبب صمم على الاستلاء على بلاد الاسلام»[2].

ويمكن أن نزيد على هذا كله من الأسباب التي دفعت بالخان المغولي بالاندفاع نحو أراضي المسلمين الخوارزميين هو ذلك الصراع الذي نشب بين الخليفة العباسي الناصر لدين الله والسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزمشاه، فقد بدَّد ذلك القوة من الطرفين وأطمع المغول في البلاد الإسلامية، التي أصبحت بذلك لقمة سائغة أمام الزحف المغولي.

[1] ابن العبري: مصدر سابق، ص 401.

[2] الجوزجاني: مصدر سابق، ص 125.

الاستعدادات للغزو:

وعلى أية حال وصلت أخبار تلك المذبحة إلى مسامع جنكيز خان عبر أحد أفراد تلك البعثة والذي نجا ربما عن طريق هروبه أو تركوه قصدا كما جاء في بعض الروايات، فقد هال هذا الخبر الخان المغولي الذي استشاط غضبا من هذه المجزرة التي راح ضحيتها رعاياه من التجار، من قتل ومصادرة لأموالهم.

وبذلك جاءته الفرصة السانحة ـ التي ربما كان ينتظرها ـ لتحقيق سياسته التوسعية الرامية إلى ضم البلاد المجاورة له إلى أملاكه وإلحاقها بإمبراطوريته الفتية، كما صمم على الإنتقام من السلطان الخوارزمي لاعتباره المسؤول الأول عن هذه المذبحة، كما أنه لم يستجب لدعوة جنكيز خان التي أطلقها من أجل إيجاد حل سلمي يفضى إلى عدم إراقة الدماء، حيث لم يكن بوسعه أن يتغاضى عن هذا الإعتداء، ومن الغريب أن السلطان الخوارزمي هو الذي كان يواصل استفزازاته رغم علمه بقلة مقدرته على الصمود أمام الزحف التتري، حيث كرر الإساءة إلى الرسل المبعوثين من قبل القائد التتري[1]، ثم كما صمم على الانتقام من والي اترار الذي ارتكب الجرم مباشرة في حق رعاياه.

[1] بشار قويدر: مرجع سابق، ص392.

يذكر الجويني بعض الترتيبات التي قام بها جنكيز خان بعدما صمم على الغزو حيث قال: "أرسل في البداية جماعة من الرسل إلى السلطان منذرين له مبلغين إياه بتصميمه وعزمه على الخروج إليه والانتقام على ما اقترفه من قتل للتجار قبل ذلك[1].

بدأ جنكيز خان مباشرة بترتيب جيوشه وتنظيم القادة والأمراء، ثم أرسل إلى النواحي حتى يلتحق كل من له تبعية من الأمراء والملوك بالجيش المغولي: "رتب الأبناء والأمراء الكبار والأحفاد وقواد الألفا والمائة العشرة وعين الجناحين والمقدمة وسن أوامر جديدة"، ويضيف الجويني: " فلما وصل إلى حدود قياليغ لقيه في البداية من أمرائها أرسلان خان مظهرا الخضوع والاستلام، وانظم إليه من بيش باليغ ايدي قوت مع خياله، وسقناق تكين من الماليغ مع رجال كانوا رجال حرب أشداء فزادوا من قوته".

وعن الاستعداد يقول الجوزجاني: "أمر جنكيز خان بأن يجتمع جيش تركستان والصين وطمفاخ، وحشد ثمانمائة علم تحت كل علم ألف فارس وثلاثمائة ألف جواد، وأمر لكل عشرة فرسان بثلاث رؤوس من الخراف الصغيرة ليصنعوا منها قديدا، كما حملوا أوعية حديدية من الماء وسارو في طريقهم"[2].

بعد أن أرسل جنكيز خان رسله إلى جميع أمراء ورؤساء المناطق والقبائل يأمرهم بالتعبئة والتحرك إلى موضع اجتماع القوات، أرسل بعدها فرقتين لستر التَّحشُّد، والمقصود بها أن

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 111. البناكتي: مصدر سابق، ص 405.
[2] الجوزجاني: مصدر سابق، ص 124.

هاتين الفرقتين مهمتهما أن تقوم بالتحرش من قوات الخوارزميين بالقرب من اترار حتى لا ينكشف أمر تجمع القوات المغولية، "ثم أرسل فرقتين لستر التحشد، الأولى بقيادة ابنه جوجي، والثانية بقيادة شيبي (جيبي)، ليقوما بتحرشات بسيطة بقوات محمد شاه التي كانت منطقة اترار[1].

وعن هذا يقول منصور عبد الحكيم: "أما جنكيز خان فقد انصرف بدوره إلى الاستعداد للمهمة الشاقة التي أخذها على عاتقه، فنظم دولته في الداخل وجهز جيوشه كما جهز معدات القتال، حتى اذا أمر اعداءه في داخل دولته، وأمن شر القبائل التي كانت تتوق إلى التخلص من الشر المغولي، قرر التوجه إلى عدوه الخوارزمي"[2].

أما من جهة الخوارزميين، فبعد ان بلغت إلى مسامع السلطان الخوارزمي خبر توجه القوات المغولية إلى بلاد حتى أخذ هو الآخر بأخذ الاستعدادات والتدابير لمواجهتهم، والتي وصفت بغير الحكيمة، إذ نجده رغم استشارة رجال دولته وكبار أمرائه لم يرق تفكيره إلى أخذ الإحتياط والإستعداد الأمثل لصد هجوم المغول حتى وإن كانت قواته تفوق القوات المغولية عددا، يقول الباز العريني في ذلك: "وعلى الرغم من أن جيوش خوارزمشاه تفوق في العدد قوات جنكيز خان، فإنه لم يفد من هذه الميزة"[3].

[1] فتحي أمين: مرجع سابق، ص 61.

[2] منصور عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 142. أحمد حمدي: مرجع سابق، ص 88.

[3] العريني: مرجع سابق، ص 121.

أي أن قلة خبرة السلطان، أو ربما الخوف الذي تملكه من القوات المغولية اربكت تفكيره، فنجده يفرق عساكره على المدن في ما وراء النهر مما سهل من عمل القوات المغولية أثناء الهجوم، وفي هذا يضيف العريني: غير أنه وزع هذه الجيوش (التي بلغ عددها 400 ألف مقاتل) في الأماكن والمواضع الحصينة الواقعة بين نهر سيحون وداخل إقليم ما وراء النهر"[1].

وفي ذلك يقول النسوي: "أول ما اعتمده من التدبير في هذا الأمر الفادح، أنه عزم أن يبني سورا على سمرقند بكبرها ودورها على ما قيل اثني عشر فرسخا، ثم يشحنها بالرجال ليكون رداء بينه وبين الترك"، وقد خصص لذلك أموالا طائلة جمعها بأن أرسل .... في جميع البلاد لجمع الأموال المفروضة على السكان.

ويضيف في ذلك قائلا: "ومن التدبير الخطأ أنه لما سمع بقرب جنكيز خان، فرق عساكره بمدن ما وراء النهر وبلاد الترك، فترك ينال خان في عشرين ألف فارس بأترار، وقتلغ خان وجماعة أخرى في عشرة الاف فارس بشهر كنت[2]، وثلاثين ألفا ببخارا، وأربعين ألفا بسمرقند، وبالجملة لم يترك بلدا من البلاد مما وراء النهر خاليا من العسكر وقد أخطأ في ذلك، فلو التقى التتار بكتائبه قبل أن يفرقها لاختطفهم خطفة"[3].

---

[1] حافظ حمدي: مرجع سابق، ص 121.

[2] مدينة في طرف تركستان قريبة من جند، بينها وبين خوارزم نحو عشرة أيام أو أقل، ينظر الحموي: مصدر سابق، ج1، ص 378.

[3] النسوي: مصدر سابق، ص ص 90-91.

كما ذكر الجويني شيئا من هذه الاستعدادات في قوله: "وكان السلطان قد أعطى غاير خان خمسين ألف جندي له احتاطا، وأرسل إليه "قراجة" لمساعدته مع عشرة آلاف آخرين، وأتموا بناء الاستحكامات، وجمعوا الكثير من آلات الحرب ومعداتها، بينما اتخذ غاير خان داخل المدينة كل الوسائل اللازمة للحرب والنزال، وعين الجنود والخيالة على البوابات"[1].

ويضيف لنا ابن واصل من أمر الاستعداد الذي بذله خوارزمشاه في قوله: "واستعد خوارزمشاه للحصار لعلمه بعجزه عن التتر، فقدم إلى أهل بخارا وسمرقند بالاستعداد للحصار، وجمع الذخائر للامتناع، وجعل في بخارا عشرين ألف فارس يحفظونها، وفي سمرقند خمسين ألفا وقال لهم احفظوا البلاد حتى أعود إلى خوارزم وخراسان وأجمع العساكر وأعود إليكم، ورحل نحو خراسان فعبر نهر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك"[2].

كما يشير العيني إضافة إلى سابقيه في هذا الصدد فيقول: "فأول ما اعتمده من التدبير الخطأ أنه عزم على أن يبني سورا على سمرقند ودروبها، ومن جملة خطأه في تدبيره أنه لما سمع بقرب جنكيز خان فرق عساكره في مدن ما وراء النهر وبلاد الترك"[3].

وكانت نهاية هذا التدبير الخطأ من قبل السلطان الخوارزمي أن تقهقر بسرعة كبيرة وتلاشت قواته أمام ضربات القوات المغولية، وتراجع إلى أن أبصح مطارداً من طرف كتائب المغول، وفي ذلك يصف ابن دقماق مصيره في قوله:"فكسروه كسرة فاحشة، فهرب إلى آمد،

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 112.

[2] ابن واصل: مصدر سابق، ص 41.

[3] العيني: مصدر سابق، ج3، ص 344.

فلم يمكنوه من الدخول إليها، وعساكر التتار خلفه يقتلون في جماعته، والتجأ إلى قرية من أعمالها بمفرده، فحضر جماعة عرفوه كان قد قتل منهم جماعة، فاتفقوا على قتله فقتلوه"[1]

بداية الغزو:

إقليم ما وراء النهر:

ضم هذا الإقليم مجموعة من المدن المهمة كمدينة أترار وجند وخجند وبناكت ومدينة بخارى ومدينة سمرقند، وكلها مدن واقعة في المنطقة الشرقية للدولة الخوارزمية حدود المغول، وكان قد وزع السلطان الخوارزمي جيشه على هذه المدن وجعلها حاميات عسكرية محاولة منه لصد الهجوم المغولي.

بعد أن أتم جنكيز خان ترتيب جيشه واستعد لهجوم على الدولة الخوارزمية، وصل إلى الحدود مع مدينة أترار بكامل قواته سنة 616هـ/1219م، وكان من ترتيباته أن وضع خطة لبدء الهجوم على مدن ما وراء النهر، والتي تقضي بأن يهاجمها من أربع نقاط، أي أن يتوجه كل فصيل من الجيش إلى مدينة من المدن، كذلك نجده قام بتقسيم جيشه إلى أربع فرق تهاجم في نفس الوقت، وبهذه الخطة يستطيع مفاجأة أعدائه ومباغتتهم حتى لا يتمكنوا من أخذ استعدادهم. وكان تقسيم الجيش كالآتي :

[1] ابن دقماق: نزهة الأيام في تاريخ الإسلام بين سنتي 628-659هـ، ط1، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ص 48.

القسم الأول: جعله تحت قيادة ولديه جغتاي وأوكتاي لمحاصرة مدينة أترار وإخضاعها، وضم إليهم القوات الإيغورية بقيادة رئيسهم إيدي قوت.

القسم الثاني: كان بقيادة جوجي الابن الأكبر لجنكيز خان لإخضاع المنطقة الواقعة على نهر سيحون وبعض المدن منها جند

القسم الثالث: أمَّر عليه جنكز خان ثلاثة من كبار أمرائه وهم " ألاق نويان" و"سُقتر" و"ثغاي" للاستيلاء على أهم المعاقل والمدن مثل خجند وبناكت بالقرب من نهر سيحون، في الوسط والجنوب منه.

القسم الرابع: وهو أكبر وأقوى الاقسام كان تحت قيادة جنكيز خان وابنه تولوي، مهمته إخضاع منطقة قلب ما وراء وأهمها مدن بخاري و سمرقند بالإضافة إلى قطع الإمدادات والحيلولة بين السلطان وجيوشه.

عن هذا التخطيط الاستراتيجي الحربي يقول الجويني: " فلما اكتمل تجمع الجيوش عين جنكيز خان لكل واحد من القادة ناحية وكّله بها بأمرها، فأرسل ابنه الأكبر مع عدة آلاف من الجنود الأشداء إلى جند وبارجليغ، وأرسل عدداً من الأمراء إلى خجند وفناكت، وتوجه بنفسه قاصداً بخاري، تاركاً أوكتاي وجفتاي على رأس الجيش لمحاصرة أترار"[1]

[1] الجويني: مصدر سابق؛ ص112.

بدأت القوات المغولية الأربعة بالهجوم على الأهداف التي تم تحديدها، ـ كل قسم على حدا ـ في أواخر خريف سنة 616هـ/1219م.

الهجوم على أترار:

فأما القسم الأول الذي كان هدفه مدينة أترار بدأ هجومه بمحاصرة المدينة من جهاتها الأربعة ، والتي تعتبر مفتاحا لإقليم ما وراء النهر، وكان المغول استمروا في حصارها مدة خمسة أشهر، حيث تم تحصينها تحصيناً جيداً محكما، شهدت مقاومة ودفاعا مستميتاً من قبل ينال خان، لِما كلن يملكه من أعداد كبيرة من الجنود الذين بلغو عددهم 60 ألفاً، حسب ما سبق ذكره من رواية الجويني.

كان هجوم المغول على هذه المدينة عنيفاً، لأنهم كانوا تواقين للثأر من واليها الذي يُعتبر السبب في هذه الحرب والمجزرة التي راح ضحيتها رعايا من المغول.

وقد وصف لنا الجويني أحداث سير هذا الهجوم وما صاحبه من عنف وتدمير، وما كان من مقاومة قابلته من طرف ينال خان الذي أدرك أنه باعث هذه الفتنة ، رغم خيانة رفيقه القائد العسكري قراجة خان الذي انضم إلى المغول وزودهم بكل المعلومات عن المدينة وتحصيناتها، حيث يقول الجويني :""وحينما استعدت الخيالة من كل جانب للنزال بدأت المعركة، استمرت المقاومة خمسة أشهر؛ ولما اشتد بأرباب أترار الخطب ووهنت عزائمهم، سأل قراجة عاير خان عن الاستسلام وتسليم المدينة، إلا أن غاير خان أدرك أنه باعث هذه

الفتنة، ولم يعرف ملجأ يهرب إليه، لم يوافقه في إبرام الصلح... وبقي غاير خان متحصناً بالقلعة"[1].

بعدما وجد المغول ثغرة للدخول إلى المدينة، حيث أنهم استفادوا كثيراً من قراجة الذي أمدهم بكامل المعلومات اللازمة، استطاعوا أخيرا الدخول إلى المدينة وتحويل المعركة داخلها، واستمرت قرابة شهر كامل حين التجأ واليها إلى القلعة المحصنة تحصيناً جيداً، واستمر القتال ليلاً ونهاراً بين المغول والخوارزميين الذين بقي منهم غاير خان وحيداً تقريبا حتى دخل المغول القلعة وقبضوا عليه، وفي ذلك يضيف الجويني:"" واستمرت المعركة قائمة طوال شهر حتى بقى غاير خان وحده مع شخصين، دخل جيش المغول القلعة وقبضوا عليه""[2].

كانت الأوامر التي أعطاها جنكيز جان لجنوده أن يأتوه بوالي المدينة حياً وأن لا يصاب أو يموت، وذلك من أجل أن يلقى جزاءه انتقاماً لفعلته، وهذا ما حدث بالفعل، فبعدما ألقى عليه القبض قيّد وحمل إلى جنكيز خان ليعذبه، يقول النسوي:" وأحضر ينال خان بين يديه، فأمر بسبك الفضة وقلبها في أذنيه وعينيه، فقتل تعذيباً جزاء عن فعله الفظيع"[3].

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص ص114،113. عبد العزيز فهمي: مرجع سابق، ص59.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص114.ابن العبري: مصدر سابق، ص ص203-303. فتحي أمين: مرجع سابق، ص68.

[3] النسوي: مصدر سابق، ص91. العيني: عقد الجمان، ج3، ص345. أحمد حمدي: مرجع سابق، ص 139.الفقي: مرجع سابق، ص174. عبد العزيز فهمي: مرجع سابق ، ص 59.

ومع سقوط مدينة أترار سقطت أهم مدينة تفتح الطريق أمام الغزاة المغول لتجتاح مدن ما وراء النهر[1].

غزو جَنْد[2] 616هـ/1219م:

أما القسم الثاني من الجيش الذي كان تحت قيادة جوجي ابن جنكيز خان، والذي مهمته إخضاع المنطقة المحاذية لنهر سيحون، وأهم المراكز في هذه المنطقة هي مدينة جَنْد، وفي الطريق نحو هذه المدينة اخضعت هذه الفرقة مدينة سقناق، ذكرها الجويني حين حديثة عن اخضاع المغول لمدينة جَنْد، حيث أن أهلها قتلوا رسول المغول إلى هذه المدينة، فكان غضبهم شديداً في عملية الهجوم عليها، يقول الجويني"فلما اقترب أولاً من مدينة سقناق، أرسل في البداية حسن حاجي برسالة يبلغها الأهالي ويحضهم فيها على الاستسلام والطاعة، فلما دخل المدينة قبض عليه الأشرار والأوباش وقتلوه، فلما أخبر جنكيز خان بتلك الحال ولشدة ما أصابه من غضب أمر الجند والعسكر بمداومة القتال، واستمرو على ذلك سبعة أيام، ثم فتحوها عنوة"[3].

وعن مآل هذه المدينة التي عاند أهلها المغول في قتل رسولهم، وفي المقاومة التي أبدوها أثناء هجومهم على المدينة، فقد ذكر الجويني أن أهلها لاقوا شر الانتقام في قوله: "

---

[1] Dohosson ; Histoire Des Mongols. Tom. P219.

[2] مدينة عظيمة في بلاد تركستان، قريبة من نهر سيحون، ينظر الحموي، مصدر سابق، ج2، ص 168.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص115. سهيل طقوش: تاريخ المغول العظيم، ص59.

وأغلقوا باب العفو والسماح، ومحوا صورة وجود أكثرهم من صريرة الوجود انتقاما لتلك النفس"[1].

واصل المغول بعدها تقدمهم نحو جند واستولوا في طريقهم على كثير من القرى والحصون والمواقع، مثل أوركند وبارجليغ كنت بدون مقاومة ومن أهلها وبلا خسائر فسلم أهلها من بطشهم، ثم وصلوا إلى المدينة أشناس القريبة من مدينة جند، دخلها المغول بهجوم عنيف ومقاومة من السكان انتهت بإفناء الكثير منهم.

لم تكن مدينة جند هدفا للمغول في بداية الأمر، إذا يروي لنا الجويني أن المغول بعدما أخضعوا المدن والحصون الواقعة على مجرى نهر سيحون حتى مدينة أشناس، كانت رغبتهم العودة إلى العاصمة قراقورم للإقامة فيها، ولم تكن رغبتهم في التعرض إلى مدينة جند بالهجوم.

وقد ذكر الجويني السبب في هجوم المغول عليها أنه لما خضعت أشناس للمغول وفعلوا بها وبأهلها ما فعلوا، وصلت هذه الأنباء إلى أمير مدينة جند انسحب مع قواته فرارا من المغول، وبقيت المدينة بلا حاكم أو قائد، حيث أرسل المغول إلى أهلها رسولا يستميلهم ويحذرهم عاقبة أن يحدث لهم ما حدث لسابقيهم، يقول الجويني في ذلك: " فلما وصلت أنباء هذه الحالات إلى جند، انسحب قتلغ خان أمير الأمراء مع جيش كبير مولياً ظهره للفرار، فلما وصل خبر جلائه أرسل جينتمور برسالة إلى الأهالي وأخذ في استمالتهم ويحذرهم

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 115. بارتولد: تركسان،ص589. أحمد حطيط: مرجع سابق، ص 32.

عاقبة الخصام، فلما عاد وصف عجزهم واختلاف آرائهم ـ إلى جوجي الذي كان ينوي العودة ـ فإنهم لهذا السبب قد لووا أعنتهم متجهين صوبهم لاستخلاصها"[1].

ضرب المغول حصارا على المدينة التي أغلق أهلها الأبواب واكتفوا بمشاهدة جنود المغول يضربون أسوارها بالمنجنيقات، ويتسللون عبر جدرانها بالسلالم حتى استطاعوا واقتحام المدينة بعد فتح أبوابها وأغاروا على المدينة ونهبوها، وقتلوا أهلها من الذين أهانوا رسولهم من قبل[2] ، ثم صدرت الأوامر بأن يتوجهوا صوب خوارزم.

غزو بَناكت[3] وخُجنده[4]:

أما القسم الثالث الذي اتجه نحو شواطئ سيحون حيث الكثير من المدن والقرى والحصون والقلاع، كان هذا الجيش تحت قيادة ثلاثة من كبراء الأمراء والقادة المغول والذين ذكرهم الجويني في حديثه عن استخلاص هاتين المدينتين حيث يقول: ""أرسل أولاق نويان وسكتو وتقاي مع خمسة آلاف رجل للتوجه إلى فناكت"[5].

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 116.

[2] بارتولد: تركسان، ص ص 590-591. سهل طقوش: تاريخ المغول العظام، ص 60. عبد السلام فهمي: مرجع سابق، ص 60. أحمد حمدي: مرجع سابق، ص ص139-140.

[3] مدينة بما وراء النهر في الاقليم الرابع، وهي مدينة كبيرة عرج منها طائفة من أهل العلم، ينظر الحموي: مصدر سابق، ج1، ص496.

[4] بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، وفي وسطها نهر جابر، ينظر الحموي: مصدر سابق، ج2، ص347.

[5] الجويني: مصدر سابق، ص118.

لما وصل جيش المغول إلى هذه المدينة كان أميرها حين ذاك "إيلتكوملك" معسكرا مع جيشه، حيث قاوم هجمات المغول لمدة ثلاث أيام متتالية، ليطلب أهلها الأمان في اليوم الرابع، ونظرا للمقاومة التي أبداها أمير المدينة ضد المغول، فقد لاقى جنوده مقتلة من طرف المغول جزاء على مقاومتهم، واستولوا على المدينة وساقوا شبابها إلى الصفوف الأمامية للجيش المتوجه نحو مدينة خجند[1].

واصل المغول زحفهم نحو مدينة خُجند التي كان قائد حامتها" تيمور ملك" الذي كان من أكثر قادة خوارزمشاه، شجاعة، قاوم هجمات المغول وأهلك فيهم كثيراً[2].

ويضيف ثروت عكاشة عن هذه الحادثة في قوله:" غير أن خجندة وقفت لهم تحميها أسوارها العالية وأبراجها المكينة، ومن وراء تلك البروج وقف الجنود ووقف القائد تيمور ملك يدافعون عنها دفاع المستميتين، غير أن زحف المغول كان عنيفا، وهجومهم كان قاسيا"[3].

وبعد ضغط شديد جراء الهجمات المغولية على مدينة خجندة أجبرت قائدها تيمور على مغادرتها، لتترك في مواجهة مصيرها، وخاض هو العديد من المعارك على نهر سيحون ضد

[1] الجويني: مصدر سابق، ص118. السيد محمود: مرجع سابق، ص83.أحمد حمدي: مرجع سابق، ص140. بارتولد:تركسان، ص592. عبد العزيز فهمي: مرجع سابق، ص60. طقوش: تاريخ المغول العظام، ص60.

[2] عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الاسلام، ص355.

[3] ثروت عكاشة: مرجع سابق، ص183.

القوات المغولية، ليدرك في الأخير عدم جدوى المقاومة مع تعاظم قوات الدعم المغولية فلاذ بالفرار نحو خوارزم[1].

الاستيلاء على بخارى (محرم617هـ/1221م):

كانت القوة الكبيرة من جيش المغول للاستيلاء على مدينة بخارى في أول شهر ذي الحجة616هـ/1220م بقيادة الخان المغولي جنكيز خان وابنه تولوي، وكانت قد حشدت لذلك قوة عظيمة لعظم تلك المدينة التي قال عنها الجويني: " هي من البلاد الشرقية قبة الإسلام، وتعتبر مدينة السلام في تلك النواحي والانحاء، ازدان سوادها ببياض نور علمائها وفقهائها"[2].

كان الغرض من الاستيلاء على المدينة بخارى كما أورد ذلك النسوي هو: " وقد قصد بذلك أن يقطع بين السلطان وعساكره المتفرقة، فحط على بخاري محاصراً"[3]، مستعملا في ذلك الحصار الأسرى الذين جلبهم من أترار بعدما استولى عليها، فكانوا في مقدمة جيشه كعادة المغول في كل حروبهم لحصار كل مدينة، بعدما استولى في طريقه على مدينة زرنوق حيث استقبله أهلها وأكابرها حاملين إليه الكثير من الهدايا ليأمنوا على أنفسهم، وبعدها استولى على مدينة نور هي الأخرى التي دخلها المغول سلماً بعد أن قدم أهلها

[1] إيناس البهجي: مرجع سابق، ص ص121-122،الصلابي: مرجع سابق، ص115.
[2] الجويني: مصدر سابق، ص118 .
[3] النسوي: مصدر سابق، ص101.

فروض الولاء والطاعة، فتسلم سوبوتاي المدينة وأخرج أهلها ودخل الجنود المغول ونهبوا كل ما وجدوه.

وصل جنكيز خان إلى مدينة بخارى ونزل على بوابة قلعتها في أوائل محرم من سنة 617هـ/1220م بجيش كبير وحاصرها عدة أيام، وفي ذلك يقول الجويني:" ثم توجه إلى بخارى ونزل في أوائل محرم من سنة سبعة عشر وستمائة على بوابة القلعة، ثم أقاموا بعد ذلك مقاماً للسلطان في الصحراء في مواجهة القلعة، كان عدد الجنود يزيد عن عدد النمل والجراد ويفوق حد الحصر والإحصاء، وكانوا يصلون فوجاً بعد الآخر ونزلوا حول المدينة"[1]،

وذكر القرماني تاريخ دخول المغول إلى مدينة بخارى وهول تلك الكارثة في قوله: "ثم إن الدواهي المصمية في رابع المحرم سنة سبع عشرة وستماية(04محرم617هـ) وصلوا إلى بخارى... فدخل جنكيزخان إلى المدينة"[2] ، ثم ذكر ما فعلوه برجال الدين وما قاموا به من تدنيس الجامع ودور العبادات، وإهانة العلماء والأشراف والكبراء.

ومهما يكن فإن أهل بخارى وسكانها أغلقوا أبواب المدينة ودافعوا عنها بكل شراسة وعلى رأسهم الأمراء والقادة الذين تركهم خوارزمشاة لحمايتها مع قوة عسكرية قدرت ما بين إثناعشر ألفاً حسب رواية كل من الجوزجاني والجويني على التوالي، من بين القادة والأمراء الذين كانوا على رأس القوة العسكرية في المدينة نجد كشلي خان وسونج خان.

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص128.

[2] القرماني: مصدر سابق، ص ص 491-492.

على أن هؤلاء لما علموا أن لا طاقة لهم في مقاومة المغول خرجوا من المدينة مقتحمين جيش المغول حتى تعقبهم الجنود من حرس ومقدمة الجيش الاستطلاعية المغولية وأطبقوا عليهم ولم يتركوا لهم أثرا[1]، وقتل الجنود من جيش الخوارزميين عند حافة نهر جيحون وغنم المغول الكثير من الأموال و الأسلحة والعدة.

ولما وجد السكان أنفسهم بلا دفاع ولا حامي قرروا وأذعنوا إلى الاستسلام وفتحوا بوابة المدينة وخرج أئمة وأعيان مدينة بخارى إلى جنكيز خان معلنين له طاعتهم وانقيادهم مؤتمنين على أرواحهم[2].

دخل جنكيز خان المدينة ناكثا بعهده الذي أعطاه لأهلها خاصة بعدما تعسرت عليه قلعتها التي احتمى بها كثير من الجنود الخوارزميين الذين تمكنوا من قتل عدد كبير من الجنود المغول، وحمل المغول على المدينة وأعملوا فيها النهب والقتل وأشعلوا فيها النار فاحترقت بأسرها بحيث لم يبق من سكانها إلا من كانوا خارجها[3] .

يصف لنا العيني هذه الحادثة بقوله:" ودخل التتار البلد فنهبوه وقتلوا كل من وجده؛ وكان يوما شديدا من بكاء الرجال والنسوان، وألقت التتار في البلد النار، وأحرقوا المساجد والمدارس والربط"[4].

---

[1] القرماني: مصدر سابق، ص ص 491-492.

[2] النسوي: مصدر سابق، ص101،.الجويني: مصدر سابق، 129. بن أيبك: مصدر سابق، ص241.

[3] عبد السلام فهمي: مرجع سابق، ص61.

[4] العيني: عقد الجمان،ج4، ص 26. خالد عزب: مرجع سابق، ص41.

وعن هذه الكارثة يقول الجوزجاني:" وأخرج جنكيز خان الناس كافة من خاصة وعامة وعلماء وأشراف ومن نساء ورجال من المدينة، وقتلهم جميعاً وأحرق المدينة كلها، ودمر مكتباتها وخربها عن آخرها"[1].

وعن ذلك يقول بن أيبك:" ثم دخل التتار البلد ووضعوا السيف، وسبوا النساء، وقتلوا الولد على صدر أبيه وأمه، وفعلوا من المصائب ما تقشعر لسماعه الأبدان، ثم أطلقوا في البلد النار فأحرقوه"[2].

ويضيف ابن الاثير: "ففعلوا مع أهل بخارى من النهب والقتل والفساد، ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه وأحرقوا الجامع، وافتضوا الأبكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال، وقتلوا من لم يصلح للسبي"[3].

وعنها يتحدث ابن واصل في قوله:" ودخل التتر البلد وبذلوا فيه السيف وسبوا ما فيه من النساء والذرية، وارتكبوا من النساء العظائم، ورجالهم ينظرون ولا يستطيعون الدفع، ومن استسلم أخذ أسيرا، وألقوا النار في المساجد والمدراس والجوامع، ثم توجهوا إلى سمرقند واستصحبوا معهم من أهل بخارى أسارى مشاة ومن عجز عن المشي قتلوه"[4].

---

[1] الجوزجاني: مصدر سابق، ص126.

[2] بن أيبك: مصدر سابق، ص242.

[3] ابن الايثر: مصدر سابق، ص406.

[4] ابن واصل: مصدر سابق، ص43.

وحسب الروايات فإن بخارى تعرضت لهجمته عنيفة ونكبة عظيمة بحيث أنها خلت من سكانها وأصبحت خاوية على عروشها، حطاما قاعاً صفصفاً كأن لم تغن بالأمس.

سقوط سمرقند[1] 10 ربيع الأول617هـ/1220م:

بعدما استولى المغول على بخارى اتجهوا منها مباشرة إلى سمرقند التي وصفها الجويني:" بأعظم بقاع مملكة السلطان، تتميز باتساع الرقعة، وهي أجمل الرباع وأطيب البقاع، وأطهر وأجمل جنات الدنيا، يميل هواؤها إلى الاعتدال، ويشمل ماؤها لطف ريح الشمال، تتميز تربتها بالخصب الشديد"[2].

سار جنكيز خان على رأس قواته يتقدمهم السكان الأسرى الذين استخدموا في أعمال الحصار، وكان قد أرسل إلى قواته التي أنيطت لها مهمة إخضاع أترار لتلتحق به أمام سمرقند[3]، كما أن القوات المغولية المتمثلة في القسم الثالث التي أتمت مهمتها في بناكت و خجند، هي بدورها سارت إلى الجنوب الغربي والتحمت مع قوات القسم الأول لتلتحق بمضرب تمركز قوات جنكيز خان على مشارف مدينة سمرقند، وضربت عليها حصاراً بعدما أحاطت بها من كل جانب.

---

[1] مدينة سمرقند مدينة حسنة كبيرة على جنوبي وادي الصغد ومن مدنها الدبوسية، وكش ونسف، ينظر الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.ن، ص497. بلد معروف مشهور بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد، ينظر الحموي: مصدر سابق، ج3،ص246

[2] الجويني: مصدر سابق، ص140

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص ص179-180.

ونظرا للتحصينات القوية التي تميزت بها المدينة وقوة حاميتها التي بلغ عددها حسب الجويني مائة وعشرة آلاف جندي ومعهم عشرون من الفيلة قوية البنيان، رأى جنكيز خان أن يحتاط لأمرها، يحتاط في أمر حصارها وكيفية دخولها وأن يطهِّر المناطق المحيطة بها، واستعمل خطة لاستدراج بعضا من القوات الخوارزمية خارج البلد والانقضاض عليهم بكمين مطبقين عليهم من كل جهة.

وجاء في رواية العيني شيئا من هذا حيث يقول:" فخرج إليهم الشجعان وأهل الجلد والقوة رجالةً، فقاتلوهم بظاهر البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم، وكان التتار قد كمنوا لهم كميناً، فلما استجرُّوا أهل البلد إلى أن تعدوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد، فبقوا في الوسط وأخذتهم السيوف من كل جانب فقتلوا عن آخرهم شهداء"[1].

ولما رأى أهل المدينة من الجنود الخوارزميين ما حل بهؤلاء دب اليأس والضعف إلى نفوسهم وفضلوا مفاوضة الخان على مصالحته فلم يكن منه إلا أن وافق على الفور وطلب منهم فتح أبواب المدينة والالتحاق به.

وبعد ذلك أقام المغول ما يقرب من عشرة أيام أو أكثر على الحدود، وفي يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة سبع عشرة وستمائة استولى جنكيزخان على سمرقند وخرب المدينة وأحرقها وأسروا البعض[2].

[1] العيني: عقد الجمان،ج4، ص27. ابن الاثير: مصدر سابق، ص405.

[2] الجوزجاني: مصدر سابق، ص126.

بالاستيلاء على سمرقند استطاع جنكيزخان أن يحكم قبضته على بلاد ما وراء النهر كلها والتي اتخذ منها الخوارزميون مركزا هاما لدفاعاتهم ما سهل عليه فيما بعد إتمام إخضاع كامل أراضي الخوارزميون دون عناء.

غزو خوارزم[1]:

كان إقليم خوارزم قبيل الغزو المغولي في قمة الانتعاش والرقي كما أشرنا من قبل وكانت مدينة هذه المنطقة تدار من قبل تركان خاتون أم خوارزمشاه الذي تركها قبل مدة وفر من المغول وأخذ يضرب في الأرض من بلد إلى بلد إلى أن انتهى إلى مازندران ثم منها إلى إحدى جزر قزوين وفلول المغول تطارده إلى أن توفي سنة 1220م[2].

على أن تركان خاتون غادرت هي بدورها عاصمة هذا الإقليم مدينة خوارزم لما علمت بتهديدات المغول واستصحبت كل ثمين ونفيس معها، إلا أن المغول قبضوا عليها في داخل

[1] مدينة من مدائن تركسان، وهي عظيمة كان يحيط بها وبأعمالها سد عظيم فتهدم أكثره وهي في وسط صحراء ورمال، وهي تعرف بجرجان ،ينظر: اسحاق بن حسين المنجم، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، (من علماء القرن الخامس الهجري)، د.م.ن، د.ت.ن، ص20. خوارزم إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر، يحيط به من الغرب الترك ومن الجنوب خراسان ومن الشرق بلاد وراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك أيضا، وإقليم خوارزم في آخر جيحون، ينظر: أبو الفدا: مصدر سابق، ص 499.

[3] الفقي: مرجع سابق، ص 178.

الأراضي الإيرانية واستولوا على كل ما وجدوه معها وقضت باقي حياتها كسجينة عند جنكيز خان في منغوليا[1].

ولما كان جنكيز خان يعرف جيداً أهمية موقع خوارزم وكثرة السكان وعدد الجيش الخوارزمي، فقد اتخذ كافة الاحتياطات اللازمة، وبدأ يحشد جميع قواته من عدة جهات، فأمر ابنيه جغتاي وأوكتاي للتحرك بقواتهما من إقليم ما وراء النهر والتوجه إلى خوارزم، كما كلف ابنه جوجي الذي كان يرابط بالقرب من جند بأن يسير أيضا بجيوشه حتى بلغت قوات المغول نحو مئة ألف جندي.

ويبدو أن جنكيز خان حشد لهذه العملية معظم جيوشه وقواده من أبنائه، حث يروي لنا المؤرخ ابن الأثير في حوادث 617هـ/1220م أحداث إخضاع التتر خوارزم وتخريبها فيقول: "وأما الطائفة من الجيش التي سيَّرها جنكيز خان إلى خوارزم كانت أكثر السرايا جميعها لمعظم البلد...فأرسل التتر إلى ملكهم يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير"[2].

وعندما اقتربت القوات المغولية إلى المدينة وكانت على شكل طلائع، فلما رآها الناس وعسكر الخوارزميين ظنوا أنها جميع قوات جنكيز خان وأنها لا تتعدى عدد الطليعة الأولى التي وصلت إلى بوابة المدينة، فحاول الخوارزميون تعقبها ليقضوا عليها فبدأت تلك الطليعة المغولية بالتراجع إلى الوراء خدعة لهم ليبعدوهم عن قواعدهم فكان لهم ذلك، حيث جدوا في

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 185.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 421.

اتباعهم وابتعدوا عن المدينة، وهنا انقضت عليهم جيوش المغول وطوقتهم من كل جهة وعملوا فيهم بالسيف حتى آذنت الشمس بالمغيب وكانوا قد أفنوا منهم عددا كبيرا[1].

كانت القيادة العليا للجيوش المغولية في هذه الحرب لجوجي بن جنكيز خان لذا نجد فيما بعد أن خوارزم أصبحت تابعة لقسمة جوجي من الإمبراطورية المغولية، أما بالنسبة لجيوش الخوارزمية فقد كانت غالبيتها تعتمد على المرتزقة غير المنظمة[2].

بما أن جوجي كان هو قائد هذه الحملة فقد بدا أن هذا الإقليم سيكون من نصيبه حقا وهذا ما كان بالفعل، فبعد أن أحكم المغول الحصار على المدينة، جرياً على عادتهم دعوا سكان المدينة إلى تقديم فروض الطاعة والاستسلام[3]، وكان جوجي ينوي المحافظة على المدينة وتجنيبها الخراب والدمار، ويذكر النسوي أنه راسلهم من أجل ذلك فقال: "ثم إن دوشي خان راسلهم منذرا ومحذرا ووعدهم الأمان إن سلموها، وقال: إن جنكيزخان قد أنعم بها عليه ضنين بتخريبها حريص على إبقائها عليه"[4]، وفي المقابل نجد أن السلطان محمد خوارزمشاه قبل وفاته كان يكاتبهم وهو بالجزير ويحثهم على المسالمة لأن جيش المغول لا يضاهى في القوة وغالب لا محالة وحقنا للدماء وتجنيب البلدة للدمار[5].

---

[1] الصياد: مرجع سابق، ص ص 125-126.

[2] حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول (غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية)، دار الفكر العربي، ص 164.

[3] الصياد: مرجع سابق، ج1، ص 126.

[4] النسوي: مصدر سابق، ص 171.

[5] نفسه، ص 172. الصياد: مرجع سابق، ص 126.

دام حصار المدينة أكثر من خمسة أشهر كما يجمع المؤرخون ،على أن هذه المدة لم تخلو من الاستماتة الهجومية المغولية والدفاعية الخوارزمية، إذ أن الخوارزميين لم يسمعوا لا إلى دعوة جوجي للاستسلام ولا لنصيحة خوارزمشاه وقاتلوا أشد قتال سمع به الناس، وقتل من الفريقين خلق كثير إلا أن القتلى من التتر أكثر لأن المسلمين كان يحميهم السور[1].

كان لشجاعة الخوارزميين وكثرة السكان الذين عزموا على المقاومة والدفاع عن مدينتهم دور كبير في طول المدة التي دامت لحصار المدينة والتي أثقلت كاهل القوات المغولية التي بدورها طلبت المدد والمزيد من القوات، حيث أرسلوا إلى قائدهم جنكيز خان يطلبون المدد، فأمدهم بخلق كثير[2]، كما كان لأساليب المغول الحربية وتخطيطهم المحكم دور كبير في إرهاق دفاعات الخوارزميين، فنجد أنهم حينما لم يجدوا الحجارة بنواحي المدينة قاموا باقتلاع أشجار التوت وقطعوا سيقانها قطعا مستديرة وتركوها فترة من الزمن في الماء حتى ازدادت صلابة واستطاعوا بعد ذلك أن يستعملوها في مجانيقهم لتحطيم أسوار المدينة[3].

كلف الحصار الطويل للمدينة الخوارزمية خسائر جسيمة للقوات المغولية خلافا لبقية المدن والأقاليم الأخرى، فبالإضافة إلى الروح القتالية العالية التي أبداها السكان، نجد أن قوة قلاع وتحصينات المدينة كانت أكبر مما توقعها المغول، فحسب رواية النسوي فإن بداية

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 421.

[2] نفسه. الفقي: مرجع سابق، ص 180.

[3] النسوي: مصدر سابق، ص 171. حافظ أحمد حمدي: مرجع سابق، ص 165.

الحصار كانت في شهر ذي القعدة 617هـ/يناير 1221م إلى أن تم الاستيلاء على المدينة في شهر صفر 618هـ/أفريل1221م وهذا ما أكده ابن أبي الحديد المدائني وابن الأثير[1].

بعد هذه المدة من الحصار وبعد وصول المدد من الجند كلف جوجي الأسرى من الجنود الذين كان يستعملهم المغول في حروبهم بحفر خندق حول المدينة، وأمر بملئه بالماء ثم كلف جنوده بتخريب أسوار المدينة، واستطاعوا في النهاية أن يخترقوا الأسوار ويرفعوا أعلام النصر عليها، ثم أشعلوا النار في منازل المدينة ومبانيها، وانتقموا شر انتقام من أهالي المدينة فقتلوهم ونهبوا كل شيء فيها، ولم يكتفوا بذلك بل فتحوا ماء جيحون على خوارزم فغرقت وهدمت البيوت والدور، ولم يسلم من البلدة أحد، فمن اختفى من النار أغرقته المياه، ومن سلم من الماء قتله الهدم، وأصبح البلد خرابا يبابا كأن لم تغن بالأمس[2].

يصف لنا النسوي هذه الحادثة بعبارات قوية تدل على قوة زلزلتها فيقول "فساق دوشي خان إليها في البحر الخضم إلحاقاً الفرد بالأعم، وأخذ يطويها مَحلة فَمحَلة، فكانت إذا أُخذت واحدة منها التجأ الناس إلى أخرى يحاربون أشد حرب"[3]، ورغم كل هذا فقد صمم الخوارزميون على الاستماتة في الدفاع عن أنفسهم ومدينتهم فحاربوا في شوارعها التي خربها المغول، وقد ساهم النساء والأطفال في هذا النضال[4]، وقد استمرت مقاومتهم نحو سبعة أيام.

---

[1] النسوي: مصدر سابق، ص170؛ ابن الأثير: مصدر سابق، ص421.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 30.

[3] النسوي: مصدر سابق، ص172.

[4] ابن الأثير: مصدر سابق، ص ص421-422. حافظ حمدي: مرجع سابق، ص166.

يقول ابن الأثير : " فلما وصلوا إلى البلد زحفوا زحفا متتابعا ، فملكوا طرفا منه، فاجتمع أهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوا فلم يقدروا على إفراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة، وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليهم، فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون، فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه[1].

يروي لنا المؤرخون أن تلك المحاربة بين المغول والخوارزميين كانت لها نتيجة كارثية من حيث عدد القتلى والخسائر المادية التي لحقت بالمدينة ومبانيها، حيث أن المغول وبعد أن فتحوا المدينة أعملوا أرباب الحرف والصناعات إلى مختلف الأقاليم المغولية[2] .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أنه ورغم عظمة الخسائر المادية التي تمثلت في الأضرار الكبيرة التي لحقت بالمدينة أن مِن بين مَن استشهد في هذه المدينة العالم الصوفي الشهير الشيخ نجم الدين كبرى صاحب الطريقة الكبراوية التي لعبت فيما بعد دورا كبيرا وأسهمت في نشر الإسلام بين المغول[3].

ويضيف النسوي في سرد مآل سكان خوارزم بكل تفاصيل ليعطيها الصورة الحقيقة الهمجية للمغول و وحشيتهم المسلطة على هؤلاء بقوله:" ثم وضعوا فيهم السيوف بل المعاول والفؤوس إلى أن أضجعوهم على العراء وجمعوهم في حيز الفناء"[4].

هكذا وبهذه الوحشية التي تفوق حد الوصف لم يبق أحد على قيد الحياة من سكان هذه المدينة، وبلغ عدد القتلى إلى حد عدم القدرة على إحصاء ضحايا تلك المذبحة الرهيبة.

---

[1] ابن الأثير: مصدر سابق، ص422.
[2] الصياد: مرجع سابق، ص127.
[3] الدياربكري: مصدر سابق، ص421.
[4] النسوي: مصدر سابق، ص173.

وبهذا أصبح إقليم خوارزم بعد سقوطه تابعا للمغول وتحت حكمه ليصبح من نصيب جوجي بن جنكيزخان، ليؤول فيما بعد إلى ابنه باطو خان القبلية الذهبية.

إن اخضاع أو بالأحرى تدمير إقليم خوارزم كان له صدى وأثر كبيرين على العالم الإسلامي، حيث أجمع المؤرخون الإسلاميون والمستشرقون أن له وقعة كبيرة، وأنها كارثة ألمت بأصحاب البلدة خاصة، والعالم الإسلامي عامة، فراح كل واحد منهم يعبر بكل العبارات والمعاني ليعطينا الصورة الحقيقية لتلك الكارثة.

الفصل الرابع

النظم والحضارة عند المغول

أولاً- النظم عند المغول

ثانياً- الإدارة في الامبراطورية المغولية

ثالثاً- الحياة الدينية عند المغول

أولا: النظم عند المغول:

أقام جنكيز خان خلال حياته إمبراطورية مترامية الأرجاء، تقوم على أسس متينة تعمل على تنظيمها وتسييرها وذلك فيما تضمنته قوانينه في الياسا وما ورد من أقواله في البيليك وبقيت سائدة رغم اتساع الفتوحات التي أخضعت أمماً متحضرة وأراضي هائلة، بحيث لم تغير من رأيه ونظره فيما تعلق بتلك القوانين والنظم التي جعلت دولته وأفرادها يعيشون حياة منظمة كريمة بصيغتها البدوية التي رآها أكثر سهولة وحرية، لتستمر في البقاء لأولاده وأحفاده وخدمة مصالحهم ومنافعهم.

ومن أجل ذلك وجد نظام الحكم الجماعي للعشيرة والذي يسمى بالقوريلتاي.

مجلس القوريلتاي:

والذي يتمثل في مجلس الأمة الكبيرة، والذي يشترك فيه كافة الأمراء وقادة المغول، وتوسع فيما بعد حيث أصبح يحضره ملوك وأمراء دول مجاورة أو سفراء عنهم.

وبالرغم ما كان يتمتع به جنكيز خان من سلطة وتفرد في الحكم فقد أنشأ إلى جانب ذلك مجلسا استشاريا من خلاله استطاع إدارة نظام وسياسة دولته، وقد وصف لنا ماركو بولو الطريقة التي كان يعقد بها الخان الأعظم مجالسه العامة ومنها القوريلتاي وصفا دقيقا مفصلا، فقد ذكر أولا المعنيون بالحضور ووضعية الجلوس ومكان كل واحد من الحضور

في المجلس حسب مكانته وقربه من الخان كما أعطانا وصفا لترتيب المناضد الموضوعة للمجلس، وترتيب قاعة الجلوس وكل ما يترتب ويلزم للمجلس أو الاجتماع[1].

وكان هذا الاجتماع يعلن فيه انتخاب الخان الأعظم والخطط الجديدة للغزوات والحروب خارج نطاق منغوليا، كما تسن فيه القوانين والقرارات، يقول الغامدي: "في هذا الاجتماع حيث تم تنصيبه كخان أعظم على جميع ساكني الخيام في منغوليا، وأعلن جنكيز خان عن خطة جديدة للفتوحات، كما أنه نشر في هذا الاجتماع العام قوانينه المشهورة في التاريخ والمعروفة بالياسا أو السياق"[2].

هذا الاجتماع أو المجلس الكبير "قوريلتاي" باللغة المغولية، كان يعلن فيه الخطط الجديدة للفتوحات، وكما يتم فيه نشر القوانين، كما حصل في القوريلتاي الأول الذي عقده جنكيز خان بالقرب من نهر أونون، حيث يوضح ذلك فلاديميرستوف في قوله: "وفي هذا الاجتماع الكبير أو كوريلتاي والذي دعا إليه جنكيز خان وعقد في سنة 602-603هـ/1206م على ضفاف نهر أونون والذي جاء إليه جميع أقاربه ورفاقه وكل القادة والأبطال وكافة طبقة نبلاء المغول"[3].

[1] ماركوبولو: مصدر سابق، ج2، ص ص 43-46.

[2] الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 76.

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 101. الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 76.

ويضيف عبد اللطيف صبري في قوله: "على أن أهم ظاهرة سياسية لدى المغول كانت تتمثل في المؤتمر العام (القوريلتاي) الذي كان يشترك فيه كافة الأمراء والقواد المغول كما يسمح بالمشاركة فيه الملوك أو الأمراء من دول أخرى"[1].

يعتبر هذا أول اجتماع عام أقيم في عهد جنكيز خان، والذي أعطي فيه لقبه جنكيز خان بعدما كان يسمى تيموجين، وتم فيه الإعلان على أحقيته لتولي الحكم بعد أبيه، وأن يبقى ذلك الحكم إرثا في أولاده وأحفاده في عاصمتهم قراقورم، وفي هذا يقول غروسيه: "وفي عام 602هـ/ 1206م جمع تيموجين القوريلتاي، وهو مجمع رؤساء القبائل والقادة عند منابع نهر أونون لاتخاذ القرار بشأن خلافة أنغ خان فمنحه الشامان وهو الكاهن الأعظم لقب جنكيز خان، فملكوه عليهم وقرروا أن يكون حكمه خلفا لأبيه وأن تكون الخانية إرثا في أولاده من بعده، واتخذ من حصن قراقورم مقرا له"[2].

وأطلق هذا المجلس العنان للمغول وقائدهم الجديد في تجسيد فكرة الوحدة الوطنية المغولية وتنفيذ سياستهم الهادفة إلى ذلك حسب ما جاء به بيرتولد حيث يقول: "أصبح هدفه الأول منذ ذلك الوقت التمكين الشرعي لسلطته، ومن أجل ذلك جمع مجلسا وطنيا كبيرا يسمى الكوريلتاي في عام 1602 للميلاد، وهنالك أعلن نفسه سلطانا أعلى على كل منغوليا، وأكد هذا العمل قرار المنغوليين في أن ينفذوا سياستهم الهادفة إلى قيام وحدتهم القومية"[3].

---

[1] صبري عبد اللطيف: مرجع سابق، ص 62.

[2] غروسيه: مرجع سابق ، ص 211.

[3] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 17. إيناس البهجي: مرجع سابق، ص 63.

كان المجلس العام (الكوريتاي) يعقد كل عام، وكان أخر كوريلتاي في حياة جنكيز خان أوائل الربيع وهذا الشهر المفضل لاجتماع الكوريتاي، وأخذ قادة الجيش يفدون في المواعيد المحددة، لقد قدموا من جميع أركان المعمورة، جينيرالات، خانات، ملوك وسفراء، جنكيز خان يجلس الآن على العرش الذهبي الذي كان للسلطان الخوارزمي"[1].

يذكر رشيد الدين أن هذا الاجتماع عقد في عهد أوكتاي مرتين واستمرت مدة الاجتماع الثاني شهرا كاملا، واصفا كل ما حصل أثناء الاجتماع، "خلال هذه المدة انعقد القوريلتاي مرتين ... وفي عام الخروف رغب في أن يجمع مرة أخرى كل الأولاد والأقارب والأفراد، ويعيد على اسماعهم القوانين والأحكام، واستمر شهرا كاملا، وبعد أن فرغ اتجه إلى تنظيم مهام الملك والجند، ولما كانت بعض الأقاليم لم تفتح بعد، كما انه كانت هناك طائفة تمارس التمرد والعصيان في بعض الولايات، اشتغل بمعالجة تلك الأمور"[2].

ويضيف القزاز الطريقة التي نُظم بها الاجتماع الأول في عهد جنكيز خان فيقول: "والتي أصبحت تقليدا سارت على نهجه الاجتماعات اللاحقة التي عقدها أبناء جنكيز خان وأحفاده فيما بعد، أنه بعدما تكلم تموجين الاجتماع، قام سبعة من هؤلاء الخانات ورفعوا

[1] الصلابي: مرجع سابق، ص ص 93-94.

[2] رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ص 52-53.، الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص 149.

تموجين إلى عرش عال في وسط الاجتماع، وفي اللحظة التي جلس فيها على هذا العرش قدمت له التحية والطاعة باعتباره خاقان، وانحنى جميع الحاضرين على ركبهم تسع مرات"[1].

في عام 603هـ/1206م جمع رؤساء القبائل وزعمائها لانتخاب رئيس أعلى لتضع بيده مقاليد مئات الألوف بل الملايين من البشر، وفي هذا الاجتماع سمح بإنشاء جمعيو واحدة تدعى قوريلتاي، وهذه الجمعية تجتمع مرتين في السنة وتعد بمثابة مجلس دولة أو مجلس حربي لإدامة الاتصال بين السلطة والشعب، وأعلن الشامان لقب جنكيز خان فأصبح يحكم البلاد دون منازع[2].

ومن هذا فإن هذا التقليد العظيم عند المغول كان قد أخذ جانبا كبيرا من التنظيم والصرامة والترتيب كما أخذ من جانب آخر طابع الأبهة والعظمة والفخامة.

نظام البريد:

بعد أن وجد جنكيز خان كافة طوائف المغول تحت سلطة واحدة وأصبح هو سلطانها، واتسعت رقعة مملكته التي شملت شرق آسيا وآسيا الوسطى، بالإضافة إلى منغوليا، أصبح من الضرورة بمكان لإنشاء نظام تواصل وتراسل بين مختلف المناطق

[1] محمد القزاز: مرجع سابق، ص 14. Dohsson: hist-destom, p 99.

[2] محمد فتحي أمين : مرجع سابق ، ص ص 46-47 حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1967، ص ص 136-137.

المتباعدة التي دخلت في زمرة حكمه، وخاصة بعد تلك الرغبة التي أبداها المغول في المزيد من التوسعات، فكانت الحاجة إلى نظام البريد لارتباطه الوثيق بالنظام الحربي التوسعي.

نظرا للضرورة الكبيرة والحاجة الملحة التي فرضتها فكرة بناء الإمبراطورية، اهتم المغول بنظام البريد وحظي بتنظيم وترتيب كبيرين، فقد بذل جنكيز خان وخلفاؤه جهودا كبيرة في تأسيسه وتنظيمه ومتابعته.

ويعطينا بارتولد الهدف الأول من إنشاء نظام البريد فيقول: "وكان القصد من إنشاء نظام البريد قبل كل شيء هو تحاشي الإعاقة والتأخير، كذلك تحاشي وقوع الظلم أو الحيف على الأهالي من جانب عمال الدولة المسافرين في مهام عاجلة"[1]، كما كان ذلك كله من أجل ضمان وصول الرسائل بسرعة[2].

ويشرح رشيد الدين أهم الأعمال التي دعت بالمغول إلى إنشائه وإقامة دوره في قوله: "وأقيمت دور البريد في جميع أنحاء الممالك، إذ أنه دعت إليه ضرورة تردد الرسائل بين الأمراء القا آن من أجل إنجاز المصالح وابرام المهام الضرورية"[3]، لذا كان الغرض مختلف في إنشاء دور البريد التي "أقاموها في كل الولايات والممالك من أقصاها إلى أقصاها"[4].

[1] بارتولد: تركستان، ص ص 656-657.

[2] الخالدي: مرجع سابق، ص 38.

[3] رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 54.

[4] نفسه.

يضيف الصياد وصفا لرسل الخان الذين يعملون في هذا النظام بحملهم أوامر مكتوبة فيقول: "كذلك عند هذه الراحات الملحقة بالمحطات كان يتوقف رسل الخان الذين تتدلى مناطقهم أجراس صغيرة تنذر السامعين بقدومهم، وكان هؤلاء الخيالة المتعجلون يحملون أنابيب من ذهب شدت إلى مناطقهم، ولفت بداخلها أوراق تحمل أوامر مكتوبة عليها خاتم الخان"[1].

كما أقيمت دور البريد لأغراض متعددة غير الغرض الحربي، فنجد الجويني يبرز لنا الغرض الذي من أجله أنشأ المغول هذا النظام في قوله: "حينما اتسعت ساحة دولتهم، وترامت أطراف ممالكهم، وحدثت حوادث مهمة، أصبح من الضروري معرفة أحوال أعدائهم وأخبارهم، وأصبح من اللازم نقل البضائع والأموال من الغرب إلى الشرق ومن أقصى المشرق إلى بلاد المغرب"[2].

وهذا ما يفسر أن المغول وضعوا نظام البريد لأمور حربهم وسلمهم، فهم استعملوا البريد في الاستطلاع والتجسس عن أعدائهم ومعرفة أخبارهم وأحوالهم وجميع تحركاتهم، كما استعملوا هذا النظام من أجل تسهيل عملية تجارتهم، حيث ساعد ذلك على نقل البضائع والأموال من وإلى الأقطار الأخرى البعيدة، وبالتالي تنمية اقتصادهم سواء كان ذلك عن طريق التجارة أو جمع الضرائب من البلاد التي خضعت لهم.

[1] الصياد: مرجع سابق، ص363.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 72.

ولما كان الغرض الرئيسي عسكري توسعي، فقد ارتبط نظام البريد بالنظام الحربي كثيرا خاصة عندما أسندوا مهمة ذلك إلى رجال عسكريين وهذا ما ذكره الجويني حين قال: "أقاموا في طول البلاد وعرضها نزلا للبريد ... ووزعوها على التومانات وعينوا لكل تومانيين نزلا واحدا"[1].

وقد توزعت محطات البريد بصفة كبيرة عبر الطرق الرئيسية كطرق كبيرة رئيسية كان يمر بها السلطان أو القآن، وطرق المسافرين والتجار، وقد سميت هذه المحطات باسم "يام" أو "يامب" حسب ما أورده ماركوبولو في قوله: "وتوجد على كل هذه أعني على كل طريق سلطاني كبير على مسافة خمسة وعشرين أو ثلاثين ميلا محطات بها دور لراحة المسافرين وتسمى "يامب" "yamb" أو دور البريد"[2].

وبهذا أعد المغول محطات البريد (يام) فكانت حلقة الإتصال بين الطرق جميعها، كما كان يعسكر حراس الطرق المسلحون للمحافظة على الأمن وليطهروا الطرق من الأعداء، ويستريح فيها المسافرون من عناء السفر، كذلك كان يمر بهذه المحطات الراحلون في فرق الشباب المحاربين المتلهفين على الانضمام إلى الجيش"[3].

ولعل أهم غرض عسكري أنشأ المغول نظام البريد لأجله هو الاتصالات، أي الاتصال بين مقر الجيش في الجبهة ومجلس الحرب الأعلى في العاصمة، حيث كان

[1] الجويني: مصدر سابق، ص72.
[2] ماركوبولو: مصدر سابق، ج2، ص 69.
[3] الصياد: مرجع سابق، ص 263.

الطريق بين الجبهة والعاصمة يقسم إلى قواطع، يكون مركز كل منها في أكبر مدينة، حيث يسجل فيها كل الأشخاص الذين مروا في ذهابهم إلى الجهة أو إيابهم منها.

كان ("الداروجا") أو آمر خط المواصلات آمرا لمركز الاتصالات أو كما يسميه المغول "يام"[1]، وفوق هذه كله وغيره، أقام الخان نظام البريد للاتصال بأنحاء الإمبراطورية، وإصدار الأوامر في الوقت المناسب[2]، ومن أجل الغرض العسكري والسياسي كذلك نجد أن جنكيز خان أنشأ خدمات بريدية رسمية تولت نقل معلومات المخابرات مع الأوامر والتعليمات من أدنى الدولة إلى أقصاها بسرعة مدهشة[3].

تمثلت هذه السرعة في التنظيم الجيد والترتيب الدقيق والضبط المحكم لهذه المهمة كغيرها من أي مهام أخرى في الإمبراطورية، حيث أنفق في سبيل ذلك الأموال الكثيرة وهيئت لها مجموعة كبيرة من الرجال والخيول وكل ما يلزمهم من مأكولات وغير ذلك.

وعن هذه الترتيبات يورد لنا ماركوبولو وصفا لبعض البيانات والخيول التي سخرها الخان لهذا الغرض حيث يقول: "وهي مبان ضخمة وجميلة بها أجنحة كثيرة جيدة التأثيث، معلقة بها الأستار الحريرية، ومزودة بكل ما يناسب راحة ذوي المكانة من الناس، حتى لقد يستطيع الملوك أنفسهم النزول بهذه المحطات بطريقة لائقة، ويحتفظ بكل محطة بأربعمائة من جياد الخيل حتى يتمكن جميع الرسل الذاهبين والغادين في خدمة الخان الأعظم وأعماله،

[1] محمد فتحي أمين: مرجع سابق ، ص 90. الصلابي: مرجع سابق ، ص 86.

[2] محمود سعيد عمران: المغول وأوربا، ص 37.

[3] بيرتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص 28.

وجميع السفراء من الحصول على أبدال ويزودوا، إذ يتركون خيولهم المكدودة، بخيول مستريحة"[1].

وعن تموين تلك الدور يضيف رشيد الدين: "كذلك أصر القا آن أمرا بان يورد إليها كل يوم من الولايات خمسمائة عربة مملوءة بالأطعمة والأشربة، توضع في المخازن، ليقتات المقيمون بتلك الدور"[2].

كما فرض المغول على سكان البلاد الخاضعة نفقات تمثلت في ضرائب وخراج وجهت إلى تموين دور البريد وفي هذا الصدد يقول الجويني: "وأعدوا الترتيبات اللازمة لكل نزل وعينوا له ما يلزمه من الرجال والحيوانات والمأكولات والمشروبات وسائر الآلات، وحينما تمت السيطرة لهم على سائر البلاد والعباد، قاموا بوضع نظام إحصاء السكان وحملوهم نفقات الجيش ودور البريد"[3].

وقد أعطانا ماركوبولو أرقاما عن عدد المباني والخيول المسخرة في دائرة البريد بأنه: "لا يقل عدد الخيل المستخدمة في دائرة البريد عن مائتي ألف حصان، وعن المباني عن عشرة آلاف مبنى مزودة بالآثاث المناسب"[4].

---

[1] ماركوبولو: مصدر سابق، ج2، ص 69.

[2] رشيد الدين: جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 60.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص ص 72-73.

[4] ماركوبولو: مصدر سابق، ج2: ص 70.

ومع هذا التطور الكبير في عهد أوكتاي بلغ عدد الجنود في كل محطة بريدية آلف جندي وفي هذا يقول رشيد الدين: "وكان بالطريق من قراقورم إلى الصين سبعة وثلاثون ياما (دار بريد) يفصل بين كل واحد والآخر خمسة فراسح (حوالي عشرين ميلا) وكانت بكل محطة فصيلة مؤلفة من ألف جندي"[1]، مما يعني ان عدد أن عدد الجنود المسخرين لخدمة وحراسة دور البريد بين الصين وقراقورم بلغ حوالي سبعة وثلاثون ألف جندي (37000 جندي).

أما السعاة الموظفين في هذا القطاع والذين يسمون (الإيلجية)[2]، فقد أعطيت لهم صلاحيات واسعة وتمتعوا بكل حرية في أعمالهم وحتى في حياتهم، وفي ذلك يقول الصياد: "وكان من حق سعاة الخان نفسه أن يقفوا أي مسافر حتى لو كان قائدا أو ترخانا[3] ليأخذوا جواده لإتمام مهمتهم، وكانوا يقطعون مائة وخمسين ميلا في اليوم، من غير أن يذوقوا للراحة طعاما، وكان على أي راكب آخر أن يفسح لهم الطريق عند مرورهم كالسهم وهم يصيحون (في خدمة الخان العظيم)"[4].

---

[1] الهمذاني: جامع التواريخ ، خلفاء جنكيزخان، ص 60. بارتولد: تركستان، ص 657.

[2] حيدر عبد الرحمان فرطوس: الايلخان هولاكور ودوره في نشأة وقيام الدولة الايلخانية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 1424هـ/2003م، ص 205.

[3] أطلق هذا اللقب في عهد جنكيز خان ويعفي حامليه من جميع المؤن والواجبات وأن تسهم إليهم كل غنيمة يغنمها الجيش الذي هم فيه، وأن يدخلوا إلى الحضرة السلطانية كلما أرادوا، للمزيد ينظر: الجويني، مصدر سابق، ص 76.

[4] الصياد: مرجع سابق، ص 364.

كان البريد عند المغول يحمل اسم "أولاغ" وإلى جانب هذا كانوا يميزون بين البريد العادي وهو "بيات" أو "تيان يات" والبريد الخاص بعاصمة الدولة وكان يسمى "ناريت" أو "بارين تاريت"[1].

ويعطينا رشيد الدين وصفا تعريفيا للمشرفين على قطاع البريد في عهد أوكتاي، وبعض الأسماء الذين عينهم الأمراء ليشرفوا على إقامة دور البريد التي أمر بها القاآن أوكتاي، وقد جاء في قوله: "وللاشراف على إقامة تلك الدور عينوا الرسل من قبل الأمراء على هذا التفصيل المدون فيما يأتي:

1- الكاتب "قورياداي" من قبل القاآن.

2- ايملكيمين تايجبوتاي من قبل جغتاي.

3- سوقو مولجتاي من قبل باتو.

4- الجيقه من قبل تولوي خان، وقد سار بأمر سيورقوقتيني بيكي[2].

وعن هذا يضيف ماركوبولو قائلا: "يوجه ضباط (موظفون) للقيام بزيارات شهرية لكل محطة، ليفحصوا عن طريقة العمل والإدارة، ويعاقبوا السعاة الذين أهملوا عملهم في بذل النشاط الواجب"[3].

[1] بارتولد: تركستان، ص 657.

[2] رشيد الدين: جامع التواريخ، خلفاء جنكيز خان، ص 54.

[3] ماركوبولو: مصدر سابق ج2، ص 72.

فعندما أثيرة مسألة تنظيم البريد عين كل خان من الخانات مندوبا عنه في عملية تنفيذ ذلك المشروع[1].

ساعد هذا النظام على نقل الرسائل بغاية السرعة بطريقة عجيبة، بحيث أنه كانت تصل الأخبار في مدة يومين في حين كانت تصل خلال عشرة أيام من ذي قبل، وهذا راجع إلى دقة التنظيم الذي وصفه لنا ماركوبولو "وهم يلبسون أحزمة حول أوساطهم قد علقت بها عدة أجراس صغيرة، فإن الجلجلة تساعد على تنبيه باقترابهم، وتبعا لذلك يتم اعداد ساع أخر مستريح ليواصل المضي بالرسائل، بحيث أن جلالته يعني القاآن يتلقى في مدى يومين وليلتين أخبارا لم يكن من الممكن الحصول عليها بالطريقة العادية إلا في مدى عشرة أيام"[2].

وعن وصف هيئة السعاة ومدى قدرتهم الفائقة في تحمل وتشجم مشقة الأسفار وطول المسافة التي يقطعونها على ظهور الجياد، خاصة إذا كانت المهمة تقضي بأن تؤدى بسرعة غير عادية، مثل حالة الإبلاغ عن وقوع اضطرابات في جزء من أجزاء الإمبراطورية، أو في حال تمرد، يضيف لنا ماركوبولو ذلك في قوله: "وفي هذه الأحوال يحملون معهم لوحات السنقر آيةً على عجلتهم، فإن كانا رسولين انطلقا ممتطيين جوادين سريعين، وشدا جسميهما بنطاقين محزومين، وقد عصبا رأسيهما برباط من قماش، حتى يبلغا دار البريد التالية التي تقع على مسافة خمسة وعشرين ميلا، وهناك يجدان حصانين مستعدين تماما، فيركبان عليها

[1] بارتولد: تركستان، ص 652.

[2] ماركوبولو: مصدر سابق، ج2، ص 71.

بغير ثانية واحدة واحدة من الراحة، ويضلان هكذا حتى لنتهي النهار، وبذا يقومان برحلة مقدارها مائتان وخمسون من الأميال"[1].

وهكذا فقد سعى أوكتاي في عهده إلى بذل قصارى جهده لاستمرار هذا المشروع الضخم الذي امتدت شبكاته على الطرق الرابطة بين العاصمة قراقورم والولايات الممتدة شرقا وغربا منها.

وفي عهد منكو الذي اعتلى عرش الإمبراطورية بعد أوكتاي، أعطى هو الآخر اهتماما كبيرا لنظام البريد، حيث بذل جهدا لتطبيق بعض الإصلاحات التي من شأنها أن تبلغ به مبلغا عظيما في الدقة والسرعة.

وهكذا بادر المغول لإقامة نظام البريد لسد حاجة الإمبراطورية العسكرية، واقتضى هذا النظام أن تربط الطرق الرئيسية بين ديار أوكتاي وجغتاي وباطو على أن أساس هذا النظام يرجع أيضا إلى جنكيز خان، وفكر أوكتاي في حفر الآبار على امتداد الدروب[2].

الدستور والقضاء:

أولا: الدستور:

[1] ماركوبولو: مصدر سابق، ج2، ص ص 73-74.

[2] العريني: مرجع سابق، ص 162. الصياد: مرجع سابق، ص ص 191-192.

يعتبر جنكيز خان المنظم الأول للدولة المغولية –حتى قبل عهده– لم يشهد المغول نظاما تسير عليه الكيانات التي أقيمت سابقا، والتي كانت في أحسن أحوالها تحتكم وتتبع بعض العادات والتقاليد والأعراف قديمة العهد، إلا أن جنكيز خان بقدر ما كان داهية ورجلا عسكريا بامتياز كان رجلا سياسيا وذو خبرة إدارية نتيجة ما عاشه من مشاق ومناورات وتحالفات مع القبائل المجاورة قبل توليه زعامة الوحدة المغولية.

تمثلت عبقريته السياسية والإدارية في تلك القوانين التي وضعها دستورا عند إعلان قيام كيانه السياسي، وكانت قانونا يضبط شؤون المغول السياسية وحياتهم وطريقة عيشهم، وامتثل له جميع المغول حكاما ومحكومين وسمية بالياسا.

جاء ذكر هذه القوانين في المصادر التاريخية بمسميات مختلفة ملازمة لشخصية جنكيز خان التي وضعها كحاكم وموحد للمغول تحت سلطة واحدة، حيث أعلن عنها بعد اعلان انتخابه خانا أعظما في القوريلتاي الأول سنة 603هـ/1206م.

مفهوم الياسا:

بعد نجاح جنكيزخان في توحيد المغول، أعلن قانونه المشهور بمثابة دستور لدولته، والقانون المشهور هو الياسا التي كانت قانون قائم على مبادئ ثلاثة، أولها الخضوع التام

لجنكيزخان، والثاني الوحدة المغولية لكافة الشعب المغولي، وثالثاً العقاب الصارم لكل مرتكب لأي خطأ مهما كانت شخصيته[1].

جاء تعريف الياسة في مصنف المقريزي في قوله: "وانما هي كلمة مُغلية أصلها "ياسة"[2]، وهذا يعني أن أصل الكلمة مغولي، ومن الواضح أنهم هم أول من استعمل هذا اللفظ لينتشر فيما بعد حسب ما يأتي ذكره:

وعن معناها حسب المصادر فإننا نجد القلقشندي يعرفها بما يلي: "وهي قوانين خمنها من عقله وقررها من ذهنه، ترتب فيها أحكاما وحدد فيها حدودا، ربما وافق القليل مننها الشريعة المحمدية، وأكثرها مخالف لذلك سماها الياسة الكبرى"[3].

ويضيف ابن الفرات: "وكان ملكهم الكبير شينكيز خان رجلا جبارا عنده مكر ودهاء وحيل عظيمة، فعمل لهم شريعة وسماها الأيسة، وأمرهم بالوقوف عند أوامرها ونواهيها"[4]،

وقد جاء في هامش الكتاب أنها تسمى أيضا ياسا وياسة ويساق ويسق، وتعني هذه الكلمات مجموعة من الأحكام والقواعد والآداب والتقاليد التي جمعها جنكيز خان ونقحها وأعاد النظر فيها.

---

[1] محمد فتحي الشاعر: مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، القاهرة، 1995.

[2] المقريزي: المواعظ والاعتبار، ص 82.

[3] القلقشندي: مصدر سابق، ص ص 310-311.

[4] ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج5، د.د.ن، العراق، 1967، ص 211.

وكلمة "ياسة" على قول المقريزي هو اللفظ الأصلي الصحيح، إذ أن في حديثه عن نشأة هذه الكلمية يقول: "وذلك أن جنكيز خان القائم بدولة التتار في بلاد الشرق لما غلب الملك أنك خان، وصارت له دولة قرر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب (ياسة)، ومن الناس من يسميه (يسق) والأصل في اسمه ياسة"[1].

كما نجد ابن واصل يشير إليها في قوله: "واتفق أن ملكهم جنكيز خان وضع لهم ضوابط يدينون بها ويعملون بما تقتضيه وسمونها الآسة"[2].

وجاء في مدونات الصفدي في حديثه عن وفاة جنكيز خان شيء يسير عن الياسا وبعض مضامينها في قويه: "... فقال لهم جنكيز خان: أن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعة واتباع اليسق الذي أصنعه لكم شرعة ومنهاجا تتبعونه وتلتزمون بالعمل به أبدا الدهر رددت خوارزم شاه عنكم، فلترموا له بذلك"[3].

وفي حديث العيني عن سيرة جنكيز خان وأموره يقول عن الياسا التي جاءت على حد تعبيره بلفظ "الياساق" فيقول: "ومن سيرته أنه لما عظم شأنه وملك تلك البلاد وصنع لتتار الياساق وهي التي يتحاكمون إليها ويحكمون بها ولا يخرجون عنها وأكثرها تخالف شرائع الله

[1] المقريزي: المواعظ والإعتبار، ص 83.

[2] ابن واصل: مصدر سابق، ص ص 36-37.

[3] الصفدي الوافي بالوفيات، ج11، ط1، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2000، ص 153.

تعالى وسنة نبيه صل الله عليه وسلم، وإنما هو شيء اقترحه من عند نفسه وتبعوه في ذلك"[1].

ومن هنا وردت الإشارة إلى الياسا في المصادر التاريخية بألفاظ ومسميات مختلفة مثل "ياسة" "والياسة الكبرى" و"يسق" و"الآسة" و"الآيسة" و"الياساق"، وأن معظم هذه القوانين من وضع جنكيز خان حاكم المغول وصاحب تسميتها، وجاءت بصفات متعددة مثل: "قوانين" و"ضوابط" و"شريعة" و"قواعد" و"عقوبات" و"أحكاما" ومثل "شرعة ومنهجا"، وكل هذه الصفات إنما لها دلالة واحدة وهي كل ما أسنه جنكيز خان لأمر تنظيم دولته.

إلا أننا نجد مؤلفين انفردا لتعريف هذا القانون وأعطياه لفظة خاصة عن سابقهما، فالأول هو ابن تغري بردى الذي جاء في تعريفه اللغوي للياسا وأصلها ما يلي: "وغالب أحكام جنكيز خان من أمر "السق والتورا" واليسق هو الترتيب والتورا: المذهب باللغة التركية وأصل لفظة اليسق: سي يسا وهي لفظة مركبة من كلمتين: سي بالعجمي ويسا بالتركي لأن سي تعني ثلاثة، ويا بالمغلى الترتيب فكأنه قال: التراتيب الثلاثة"[2].

أما الثاني فهو ابن خلدون فقد ذكر تعريفه لها قريبا من المفهوم المعاصر للدستور، حيث يقول: "وكتب لهم في الياسة كتابا سماه "الياسق الكبير"، ذكر فيه أحكام الياسة في الملك والحروب والأحكام العامة، وأمر أن يوضع في خزانته"[3]، ومن خلال هذين التعريفين

[1] العيني: عقد الجمان (العصر الأيوبي) ج4، ص ص 181-182.
[2] ابن تغرى بردى: مصدر سابق، ص ص 162-163.
[3] ابن خلدون: مصدر سابق، ص ص 145-146.

يتقرب لنا المفهوم الصحيح للياسا بأنه دستور الدولة المغولية وضابط شؤونها في جميع مناحي الحياة كالملك والأحكام والحروب وعلاقتها داخليا وخارجيا، فقد شرَّع لأمته عقب انتخابه خاقانا سنة 603هـ/1206م قانونا عاما عرف باليساق، نظم فيه علاقة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة المحكومين ببعضهم بعض، وتتلخص أحكام اليسا قفس أمور ثلاثة: الخضوع لجنكيز خان، الاتحاد في قبيلة واحدة، والعقاب الصارم لكل مخطئ[1].

وعن مقاصد الياسا التي جاء بها جنكيز خان يقول رسنيان: وكما يربط أقاليمه معا، أصدر مجموعة قوانين وهي المعروفة بالياسة، والتي نسخت كل ما سبق من قوانين العرف في الاستبس، والياسة حددت ما لرؤساء العشائر من حقوق وامتيازات، وما هو مقرر للخان من شروط الخدمة العسكرية وغيرها من الخدمات، وقواعد نظام الضرائب، فضلا عن مبادئ القانون الجنائي، والمدني والتجاري، مع أن جنكيز خان يعتبر الطاغية الأكبر فإنه قصد أن يلتزم هو وأخلافه بالقانون[2].

وقد بين لنا الجويني كذلك مقاصد جنكيز خان من وراء وضعه لهذه القوانين في قوله: "ووفقا لرأي جنكيز خان ومقتضى مراده لكل أمر قانونا ولكل مصلحة دستورا وأسن لكل ذنب حدا وعقابا، وأن تكتب وتحفظ في خزانة أبناء الملوك، وكانوا يحضرونها كلما

[1] حافظ أحمد حمدي: مرجع سابق، ص 242.

[2] رنسيمان: مرجع سابق، ص 417، حسن الأمين: مرجع سابق، ص 77.

جلس حاكم جديد أو يقومون بعبئة جيش أو يجتمع الأمراء للنظر في مصالح الملك وتدبير شؤون البلاد"[1].

والمعروف أنه كان للمغول قبل جنكيز خان مجموعة من الآداب والتقاليد، تعارفوا عليها، فلما جاء جنكيز خان أعاد النظر فيها فعدلها بالحذف والاضافة، وجعل لها صفة الرسمية، وأمر بتدوين تلك الأحكام والاحتفاظ بها في خزائن أمراء المغول.[2]

وقد قضى جنكيز خان على العادات السيئة والرسوم الذميمة التي كانت سائدة بين تلك الطوائف ومتعارفا عليها بينهما، وأحل محلها العادات الحسنة والصفات الحميدة ما هو مقبول عقلا[3].

ولما كان المجتمع المغولي بدائيا بعيدا عن الحضارة لم يكن يعرف القراءة والكتابة إلا بعد أن اختلط بهم الأويغور، فلم تدون عادات وتقاليد ولا قوانين المغول السابقة لعهد جنكيز خان، لذلك أمر هذا الأخير بأن يقوم الأيغور بتعليم أطفال المغول الكتابة، وأن تكتب هذه القوانين والأحكام باللغة الأويغورية التي اعتمدها في دولته فيما بعد.

حيث كانت أولى نتائج اتخاذ المغول للكتابة الأويغورية هي تدوين القانون العرفي المغواي الياسا الذي ظل لعهد طويل المرجع الأعلى لملوك المغول[4].

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 65.

[2] العريني: مرجع سابق، ص 60.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص 66.

[4] بارتولد: تركستان، ص 559.

وفي ذلك يقول الصياد: "وأما مجموع هذه الأحكام المكتوبة بالخط الأويغوري والتي أقرها جنكيز خان، فإنه يطلق عليها "كتاب الياسا الكبير"، وقد تعود المغول أن يرجعوا إلى نصوص الياسا، يستشيرونها، ويعملون وفق ما تشير به[1].

ويضيف بيرتولد شبولر عن أسبقية بعض القوانين قبل جنكيز خان، وأنه من جمعها ونظمها وأتمها، على شكل دستور لإمبراطوريته لتبقى نظاما المغول بعد موته، حيث يقول: "فقد قام بجمع قوانين شعبه التي كانت موجودة من قبل، فنظمها وأتمها، معطيا بذلك الحياة لدستور الإمبراطورية الذي سماها " الياسا"، وبقي أساسا للنظام العام عند المغول أمدا طويلا بعد موت جنكيز خان"[2].

وهكذا نجد أن الياسا العظيم قد جعل إلزاميا على الجميع، بما في ذلك رئيس الإمبراطورية الأعلى، كانت فكرة جنكيز خان هي أن يأتي بقانون لا يمكن تغييره على مدى العصور والأيام، وأنه سيخضع الأبناء والأحفاد لطاعة وتنفيذ ما جاء فيه والتمشي بموجبه[3].

وهنا لا يسعنا إلا أن ننظر بإكبار وإعجاب إلى منجزاته كمشروع قانوني ومنظم للأمة المغولية، فقد جمع ورتب ووسع الفقرات القانونية التي كانت سائدة بين مواطنيه وانتج" الياسا" أو القانون الأساسي للدولة، ونظم هذا القانون الحياة العامة المغولية لمدة طويلة بعد موته[4].

---

[1] الصياد: مرجع سابق، ص 339.

[2] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 21.

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 114.

[4] بيرتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص 27.

فقد أدرك جنكيز خان تمام الادراك أنه بالعودة على الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة بين عشيرته وشعبه سيرفع من قيمة ما سطره من قوانين دولته دونها للجوء إلى استنساخها من قوانين أو نظم الأمم الأكثر تحظرا وتمدنا، وفي ذلك يضيف بارتولد قائلا: "لم يصنف جنكيز خان هذا القانون لا من قوانين أو نظم الأمم التي كانت توحيها (حسب زعم) إليه الروح العالية، ولا كنه صنفها من الأعراف والتقاليد والنواميس والأفكار القديمة التي كانت سائدة بين عشيرته وشعبه وأمته، فإنه بذلك يكون قد أقام قواعد أبدية صالحة لكل زمان[1]".

والواقع أن أحكام الياسا تعد أول خطة لإضعاف النزاعات والميول الاقطاعية الضارة بالوحدة، وتزويد الإمبراطورية بأوليات التنظيم البيروقراطي، وقد حقق جنكيز خان هدفه فأضحى المغول من أكثر شعوب العالم طاعة لرؤسائهم[2].

ومن بعض قواعد الياسا ما جاء به القرماني في قوله: "فمن أحكامها صلب السارق وخنق الزاني وإن شهد بذلك واحدة فلا يحتاج إلى ثاني، ومنها حقبة من سبق سواء كذب أو صدق وفيها استعباد الأحرار وتوارث الفلاح والأكار، منها توريث النكاح الزوجة لأقارب الزوج ونداء لهم فوجا بعد فوج، ومنها عدم العدة وحصر الزوجات في العدة ومنها الأخذ

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 115.

[2] طقوش: المغول العظام، ص 37.

بقول الجواري والصبيان، ومنها مطالبة الجار بالجار، ومنها منع عفوا الحاكم وإن عفا المظلوم عن الظالم[1].

وظلت أحكام الياسا موضع اهتمام الأقوام التركية والمغولية حتى بعد أن زالت دولة الايلخانيين في ايران، وسار عليها التيموريين في أمور الياسة والحكم، في المواكب والحفلات، وقد تسربت بعض مبادئها وقواعدها إلى نظم سلاطين المماليك والعثمانيين[2].

شمولية الياسا في الإمبراطورية المغولية:

بلغت الياسا في تسيير أمور الإمبراطورية المغولية وتنظيم شؤونها مبلغ الشمولية المطلقة، إذ طبقت بنودها بكل محتوياتها بجميع مفاصل الدولة ومجالاتها، ونظمها السياسية والاجتماعية والدينية والعسكرية والاقتصادية، ويرجع هذا إلى الحرص الشديد الذي أولاه جنكيز خان لتطبيق ما جاء فيها، حيث أو كل مهمة إلى أحد أبنائه، حيث يلفت انتباهنا ما جاء به الجويني في حديثه عن تقسيم جنكيز خان المهام على أبنائه الأربعة في قوله: "واختار جغتاي الذي كان أصغر منه –يعني جوجي الابن الأكبر– لتنفيذ أحكام الياسا والالتزام بها ومعاقبة مخالفيها"[3]، ولا بأس هنا أن نشير إلى بعض أحكامها وبنودها التي جاءت مفصلة حسب كل مجال، أو ما استنسخته من عادات وأعراف سابقة.

---

[1] القرماني، مصدر سابق، ص ص 489–490.

[2] العريني: مرجع سابق ، ص 62. طقوش: المغول العظام، ص 37.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص 37. ابن العبري: مصدر سابق، ص 396.

1 ـ الجانب السياسي:

جاءت الياسا الجيكيزخانية حسب ما أورده الجويني تشمل ثلاث محاور رئيسية، الأول فيها يتعلق بالحكم، والثاني يتعلق بأمور الجيش والحرب، والثالث في تنظيم أمور الملك والرعية، "وكانوا يحضرون هذه الطوامير (السجلات أو الصحائف) كلما جلس حاكم جديد على العرش أو يقومون بتعئة جيش جرار، أو يجتمع الأمراء للنظر في مصالح الملك وتدبير شؤون البلاد"[1].

ومن هنا فإن المحور الأول الذي اختص بالسياسة فيدخل فيه انتخاب الخان الجديد وما يترتب على ذلك من لقب الخان ومدى التزامه بتطبيق الياسا.

وقد أعطانا المقريزي شيئا من ما جاءت به الياسا في هذا الصدد حيث يقول: "ومنهم من تفخيم الألفاظ ووضع الألقاب وإنما يخاطب السلطان ومن دونه ويدعى باسمه فقط"[2].

ويضيف الجويني: "ومن العادات الحميدة التي سنتها الياسا القضاء على الألقاب الكثيرة ومظاهر التكلف التي كانت سائدة بين الملوك والعظماء، فهم يخصون كل الإخوة فيدعونهم بأسمائهم، ويكتبون أسمائهم في المنشورات مجردة كذلك، لا يفرقون بين السلطان

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 65.

[2] المقريزي: المواعظ والإعتبار، ج3، ص 84.

والعامي، ويتحررون من زوائد الألقاب"[1]، ويفهم من هذا المنع أن هدفه هو انفراد الحاكم الأول للمغول بلقب يميزه عن بقية الأمراء، وإضفاء العظمة عليه دون غيره.

ومن جملة ما جاءت به الياسا في هذا الصدد: أنها شرعت أن أكبر الأمراء إذا أذنب وبعث إليه الملك أخسّ من عنده حتى يعاقبه، فإنه يلقي نفسه إلى الأرض بين يدي الرسول وهو ذليل خاضع، حتى يمضي فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه[2].

وألزمهم ألا يتردد الأمراء لغير الملك، فمن تردد منهم لغير الملك قتل، ومن تغير عن موضعه الذي يرسم له بغير إذن قتل[3].

وعن طاعة القآن طاعة عمياء، فقد فرضت الياسا مطلق السلطة والأوامر للقآن، حيث كانت أوامره واجبة التنفيذ، أما عن حالهم في طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم[4]، ولكبح أي مخالفة أو عصيان للأوامر أقرت الياسا بأنه "لا يسمح لأي مخلوق أن يغير أمر القآن وإرادته، ويكون أثما كل من يفعل"[5]، وإذا تجرأ أحد وأقدم على عمل مخالف للقوانين فسوف ينال جزاء وفاقا[6].

---

[1] الجويني: مصدر سابق ، ص ص 66-67. حسن الأمين: مرجع سابق، ص 78.

[2] المقريزي: المواعظ والإعتبار، ج3، ص 84. القلقشندي: مصدر سابق، ص 312.

[3] نفسه.

[4] القلقشندي: مصدر سابق ، ص 312.

[5] رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 21.

[6] نفسه، ص 31.

2 ــ من الناحية العسكرية:

ذكرنا فيما سبق كيف عمل جنكيز خان على تأسيس جيش من القبائل التي انطوت تحت لوائه واستطاع من خلاله أن يصل إلى مرحلة توحيد القبائل والاعلان عن بداية قيامة دولته وإعلان دستورها، فإننا نجد الياسا أحدثت تغيرا كبيرا في تنظيم هذا الجيش ووضع ترتيباته وضوابطه الصارمة.

ولعل ما وجد في أيدينا من مصادر يعطينا بعضا من هذه القزانين والأوامر التي جاءت بها الياسا في هذا المجال على شكل إلزاميات والتزامات على القادة العسكريين، وذلك بالتفتيش على أسلحة الجنود قبل الخروج إلى القتال، وإذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وفوا في العرض حتى بالخيط والإبرة[1].

ورتب عرفاء ومقدمين على الألوف والمئات والعشرات وأمرهم في الآيسة أن يبذلوا السيف في أهل البلاد حتى ملكوها ويقتلوا كل من فيها، وينهبوا الأموال لتعظم هيبتهم، ويشتد خوف الناس منهم[2].

وهناك أيضا بعض الالتزامات يجب القيام بها، ومن ذلك إلزام القادة العسكريين بالتفتيش على أسلحة الجنود قبل الخروج للقتال، وكافة ما يلزم الجنود، وإذا قصروا عوقبوا،

[1] القلقشندي: مصدر سابق ، ص 312. حسن الأمين: مرجع سابق، ص 78.

[2] ابن الفرات: مصدر سابق، ص 212.

وإلزام النساء بالقيام بأعمال الرجال طوال وجود العساكر في القتال، يضاف إلى هذا إلزام المغولي بإقامة حلقات الصيد باعتبارها تدريبا على أساليب القتال[1].

وقد اهتموا بشؤون الصيد وأخذوها مأخذ الجد لما لها علاقة بالتدريبات وقنص الصيد واستعمال الأسلحة لذا "أصبح واجبا على أرباب السلاح وأصحاب الكفاح أن يتعلموا كيف يصل الصيادون إلى الصيد وعلى أي أسلوب يصيدون وكيف يصطفون وكيف يطفون بالصيد حسب قلة الرجال أو كثرتهم"[2].

ويضيف الجويني مفصلا في هذا الشأن، من عملية الصيد وعن هروب الصائدة وعقوبة ذلك، أو حتى اعوجاج الصف أثناء تكوين الحلقة المضروبة على الصيد التي سماها "تركه" حيث يقول: "فإذا عدت واحدة من الصيد هاربة فجأة جدوا في البحث والاستقصاء عن تسبب ذلك وعلته، ويعاقب أمراء الألف والمائة والعشرة على ذلك بضربهم بالعصا، بل وكثيرا ما يقتلون، وكذلك يفعلون إذا لاحظوا اضطرابا أو اعوجاجا في الصف"[3].

ورتب لعساكره أمراء، وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئات وأمراء عشرات[4].

[1] العريني: مرجع سابق، ص 62. محمود سعيد عمران: المغول وأوروبا، ص 37.
[2] الجويني: مصدر سابق، ص 67.
[3] الجويني: مصدر سابق، ، ص 68.
[4] الصياد: مرجع سابق، ص 342.

ومن وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكر أو يفر في حال القتال، وكان وراءه شخص، فإنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه، فإن لم ينزل ولم يناوله قتل[1].

وكان هذا كما هو معلوم مظهرا من المظاهر الدائمة للجيش، فقد تشربت روح الجيش الجديد بالنظام الصارم، وكان أي خرق للنظام أو تهاون في تنفيذ الواجب، أو أي عمل جبان يعاقب دونما شفقة أو رحمة بعقوبة الموت[2].

ويضيف الجويني بندا آخر في قوله: "ومن القوانين الأخرى التي سنتها الياسا تحريم انتقال أي فرد من الآلاف أو المائة أو العشرة من مكانه الذي أحصي فيه إلى مكان آخر، لا يمكن لاي شخص آخر أو إيواءه، وإذا خالف هذا الحكم أي شخص فإنهم يقتلونه أمام الناس، وأما من أواه فإنهم يعاقبونه وينكلون به"[3].

3 ـ الياسا والدين:

جاء في ذكر المصادر التاريخية التي بين أيدينا أن جنكيز خان لم يكن متعصبا لدين ولم يكن متحيزا لملة على أخرى، وأن تشريعاته في الياسا إنما جاءت مخالفة للشريعة الإسلامية، وبعضها يطابق الملة المحمدية، وحتى كل الديانات السماوية الأخرى والمعتقدات الوضعية سواء عند المغول أو الحضارات والشعوب الأخرى.

---

[1] المقريزي: المواعظ والإعتبار، ص 83. حسن الأمين: مرجع سابق، ص 77.

[2] بيرتولد شبولير: العالم الإسلامي، ص 27.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص 72.

وقد ذكر لنا الجويني جانبا من علاقة الياسا بالديانات والشرائع والمعتقدات الأخرى، بل أن المشرع المغولي جنكيز خان أظهر ما يسمى بالتسامح الديني في تشريعاته، وأعطانا صورة عن حال المسلمين إزاء هذا التشريع وباقي الديانات الأخرى، حيث يقول: "ونظرا إلى أن جنكيز خان لم يكن متقلدا لأي دين أو تابعا لأي مذهب فقد كان بعيدا عن التعصب وعن تفضيل أمة على أمة، وترجيحها بعضها عن بعض، بل إنه بجل وكرم علماء وزهاد كل طائفة، كما نظر إلى المسلمين نظرة توقير وتقدير، وأعز النصارى والبوذيين ... فقد بعدوا أكثر فأكثر عن التعصب، لا يعدلون عما أقرته قوانين جنكيز خان التي تنظر إلى جميع الطوائف على حد سواء ولا تفرق بين واحدة وأخرى"[1].

وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى، وجعل ذلك كله قربة إلى الله تعالى[2].

وفيما يخص المسلمين فإن جنكيز خان وبحكم تقريبهم من لاطه فقد سن في ياسته ما يعظمهم به ويعفيهم عن التكاليف والضرائب، ويفيدنا المقريزي بإحدى بنودها والذي جاء فيه شرط ألا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مؤونة ولا كلفة، وألا يكون على أحد من الفقراء ولا القراء ولا الفقهاء، ولا الأطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم وأصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الأموات كلفة ولا مؤونة[3].

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 66.

[2] المقريزي: المواعظ والإعتبار، ص 84.

[3] المقريزي: المواعظ والإعتبار، ص 83.

4 ـ الياسا تضبط نظم المغول وحياتهم اليومية:

كان من أهم ما شرعته الياسا في مضامينها تحديد حياة المغول العامة في إطار دولة موحدة تضم أطياف مختلفة عبر امتداداتها الشاسعة ولكي يسهل التعامل والتحكم في جميع الرعية، ألزم جنكيز خان في قوانينه جميع من ينتمون إلى الدولة بكل صفاتهم وأسمائهم وألقابهم، بهذا يضمن وحدة دولته وعدم ظهور أي نوع من الفرقة أو التمايز بأي نوع كان.

فبالإضافة إلى التنظيمات العسكرية، فقد احتوى الياسا على مواد تنظيم الحياة المدنية، وشدد هذا التشريع على مبدأ الملكية الشخصية، وهكذا عاقب السرقة وقطع الطرق بصرامة، بحيث أصبحت عقوبة الموت على الذنوب الصغيرة، كما نظمت الحياة العائلية، فأصبحت المرأة تتمتع باحترام عظيم، ولتأمين نفقات الدولة نص على إقامة نظام الضرائب[1]، وقاموا وفقا لما هو متبع عندهم بوضع نظام الإحصاء السكان وحملوهم نفقات الجيش ودور البريد والخراج والعلف غير ما يحصلونه منهم من أموال بالإضافة إلى ذلك حتى أثقلوا كاهلهم بالضرائب[2].

[1] بيرتولد: العالم الإسلامي، ص 28.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 73.

يبين رنسيمان في حديثه عن الياسا ما اشتملت عليه مقاصدها فيما يخص الحياة العامة عند المغول حيصث يقول: "... وغيرها من الخدمات، وقواعد نظام الضرائب، فضلا عن مبادئ القانون الجنائي والمدني والتجاري"[1].

فقد جاءت الكثير من بنود الياسا تعالج الواقع المغولي وفق حياتهم في بيئتهم المعيشية، كالتكافل والعلاقات بين الأفراد، وسلوكياتهم، وحسب طبقات المجتمع، والأمن والوحدة، كما تعلق الأمر بلباسهم ومأكلهم ومشربهم وتنظيم الأسري، والتصرف في المواريث.

وكانت عبارة عن القواعد والأحكام المتعلقة بتعبئة الجيوش وتخريب البلاد وشؤون الحكم، وعقد المجالس في الأحداث الجسام والفتوحات المهمة، وأقسام العقوبات ونهج حياة المغول في الإقامة والترحال وغير ذلك، وكلما ارتقى أحد الخوانين العرش أو وقع حادث عظيم أو اجتمع الأمراء على الياسا الكبرى ويتخذون القرارات بناء عليها[2].

وقد ذكر لنا الجويني بعضا من هذه البنود على شكل تلميحات منها قوله: "ولهم عادة أخرى يجرون علها بأنه إذا توفي موظف أو واحد من الرعية فإن ما يخلفه لا يهتمون به ولا يتعرض له أي مخلوق سواء كان كثيرا أو قليلا، وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة يعطون

[1] رنسيمان: مرجع سابق، ص 417.

[2] عباس اقبال: تاريخ المغول، ص 113.

تلميذة أو غلامه ما تركه، وخلاصة القول أن مال الميت لا يمكن أن يوضع في بيت المال ولا يتفاءلون به"[1].

ومما يبعث الثقة بين الأفراد، ويحقق التكافل بينهم، نجد في بعض البنود التي وردها لنا القلقشندي في قوله: "ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المطعم منه ولو كان المطعم أميرا والآكل أسيرا، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه، ولا يمتاز أمييرا بالشبع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية، ولا يخطو أحد موقد نار أو طبق رآه، ومن اجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن"[2].

كما يورد لنا المقريزي جملة من ما جاء في الياسا، وهو الأقرب من المصادر التي أوردت بعض بنود الياسا، والتي تعالج بعض الآفات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك ومتفشية بين أقوام المغول بكثرة، منها قوله: "ومن جملة ما شرعه جنكيز خان في الياسة أنه من زنى قتل ولم يفرق بين المخصيين وغير المخصيين، ومن لاط قتل، ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن بال في الماء أو على الرماد قتل، ومن أعطي بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة"[3].

---

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 73.

[2] القلقشندي: مصدر سابق، ص 31، حسن الأمين: مرجع سابق، ص ص 77-78.

[3] المقريزي: المواعظ والإعتبار، ص 83.

وورد في الياسة أيضا ما يدل على كراهية جنكيز خان لمن يرتكب السرقة والفحش وجعل عقوبة ذلك الإعدام، وأنكر أيضا عصيان الولد لأوامر أبويه، ومخالفة الصغير للأخ الكبير، وامتناع الغني عن اعانة الفقير، وعدم احترام المرؤوسين للرؤساء[1]، ونهى اتباعه عن الإغراق في شرب الخمر فقال أن الرجل السكران كالرجل المضروب على أم رأسه، يفقد عقله وكفاءته، فاشربوا ثلاث مرات في الشهر الواحد لا أكثر، والأفضل ألا تشربوا أبدا، ولكن ما الذي يستطيع الاحجام عن الشرب مطلقا[2].

ويضيف لنا الصفدي في هذا الصدد شيئا مما جاء في الياسا الجنكيز خانية حيث يعطينا أحد البنود ويذكر العامل الذي شرع من أجله وهو: "كل من أحب امرأة أو غيرها لا يمنع من التزوج ولو كان زبالا والمرأة بنت ملك"[3]، ويضيف عن الهدف من هذا التشريع أن يتناكحوا بشهوة شديدة ليتعاطف النسل بينهم ويتضاعف عدهم ويصبحون من الكثرة أمما لا يحصون، وبالتالي يستطيعون مجابهة خوارزمشاه.

ولما كانت المياه الجارية ذات أهمية قصوى في حياة المغول، فقد حرمت الياسا غسل الأيدي فيها واعتبرت ذلك ن أمهات الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام[4].

[1] العريني: مرجع سابق، ص 62. محمود سعيد عمران: المغول وأوروبا، ص 38.
[2] الصياد: مرجع سابق، ص 345. حسن الأمين: مرجع سابق، ص ص 78-79.
[3] الصفدي: مصدر سابق، ص 153.
[4] صبري عبد اللطيف سليم: مرجع سابق، ص 22.

وبهذا استطاع جنكيز خان بفضل قانونه الذي سنه أن ينظم حياة شعبه، وأن يجمعهم على الطاعة ويقضي على تلك البدائية التي جبلت على الترهيب تارة وعلى الترغيب تارة أخرى، وعلى الأخذ والعطاء.

البيليك:

لم تتوفر لدينا مصادر تتكلم عن البيليك إلا قليلا، إلا أننا نجد بعض الإشارات في شكل مباشر أو غير مباشر لمعنى البيليك وأهميته في حياة المجتمع المغولي.

معنى البيليك:

جاءت لفظة بيليك في بعض المراجع التاريخية ما أورد بارتولد أنه جاء بمعنى المعرفة، وقد عرفه قائلا: "... تدوين أقوال خاناتهم ثم نشرها بعد وفاتهم، ولا يحتاج الأمر إلى القول بأن هذه المدونات لم يكن ليتم تسجيلها دون رغبة الخان الذي يجتهد في صياغة ألفاظ شعرا أو في قالب مسجوع"[1].

أما الثاني فنجده فيما أورده الصياد حين قال: "وقد درج المغول على تسجيل أقوال ملوكهم وتعليقها بعد موتهم، وكانوا يطلقون عليه كلمة بيليك بمعنى حكمة"[2].

[1] بارتولد : تركستان، ص 114.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 350.

وفي العهد المغولي كان مستعملا عندهم، كانوا يطلقونه على مجموعة من الحكم تنسب إلى جنكيز خان، وكانت تعتبر مثلها كمثل الياسا مصدرا للقوانين المطبقة في امبراطورية المغول[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذه القوانين والشرائع قد عالجت كافة مناحي الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية، وعلى ذلك فهي دستور كامل لحكم الإمبراطورية، ولقد ضرب المجتمع المغولي أروع الأمثلة في احترام قوانينه وشرائعه، وتظل الدولة قوية ما دام القانون محترما ومقدسا[2].

كانت عادة الصينين منذ القدم أن يسجلوا أقوال أباطرتهم، وقد أخذ المغول هذه العادة عنهم، فكانوا يدونون كلام خوانينهم ويعلنونها بعد موتهم، وهذا النوع من كلام الخوانين المغول والذي كان يحظى باحترام الناس وتقديرهم كان يعرف باسم "بيليك" ومعناها الحكمة والمعرفة، وكانت أقوال جنكيز خان تحظى بالاحترام وأصبحت بعد موته مصدرا يرجع إليه المغول كالياسا الجنكيزية[3].

إلا أننا نجد أن بارتولد أشار إلى أن ما تم تدوينه من بيليك يتم نشره بعد وفاة الخان الذي كان يرغب في ذلك حيث نجده يتكلف في تزيين كلماته وتنميقها ببعض من المحسنات البديعية لتبدوا بصورة أفضل، أما الصياد فيشير إلى ان تدوينات البيليك لم تكن بصورة

[1] بارتولد: تاريخ الترك، ص 155.
[2] إبراهيم مرجونة: مرجع سابق، ص 70.
[3] عباس اقبال: تاريخ المغول ، ص 114.

مطلقة، حيث أن الخان هو الذي يجي هذا التدوين حسب رغبته، مما يعني أنها كانت تكتب وتدون أثناء حياة الخان وليس بعد موته فقط.

كما نجد أن رشيد الدين في إشارة منه إلى البيليك يحدثنا أن هناك عادة اتبعها المغول وهي تسجيل أقوالهم ولقد ذكر لنا قصة في ذلك لا يستدعي المقام لذكرها، يقول رشيد الدين: "ولما كانت العادة المتبعة في ذلك العهد أن تسجل كل كلمة يقولها الملك يوما بعد يوم، وكان أكثر الكلام يقال مسجعا مبهما، وكان كل واحد يختار أحد لقربين ليسجل له كلام الملك"[1]، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن تدوين أقوال الملوك أصبح وظيفة يقوم بها أشخاص معينون من المقربين الملازمين في البلاط.

وهذا القسم من أحاديث المغول كان يقدره رعاياه وينزلونه من أنفسهم منزلة التوقير والاحترام، وقد جمعت حكم جنكيز خان وصارة مرجعا لجميع طوائف المغول يشهدون بها ويستشرونها في مخلف حياتهم، كما يستشرون أحكام الياسة[2].

وقد تمتع من المغول من كانت له دراية واحاطة كبيرة من حكمه ومعرفة دونت في البيليك بمكانة عالية ورفيعة، بل وفضل بعض الأمراء من غيرهم بالمناصب السياسية

[1] رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 156.
[2] الصياد: مرجع سابق، ص 350.

لمعرفتهم العميقة بالبيليك، حيث يورد بارتولد رواية في قوله: "بل يروا أنه قد حدث مرة في الصين إن كان العرش من نصيب أحد الأمراء لأنه كشف عن معرفة عميقة بهذه البيليك"[1].

أما أقوال جنكيز خان أو البيليك فقد كانت عبارة عن كلام تفوهوا به في مناسبات متعددة وجمع على مراحل، إلا أنه لم يبقى من تلك الأقوال التي جمعت إلى ما رغب الخاقان أن يحفظ من الضياع، وبطبيعة الحال فإن الكثير مما سمعه القوم منه قد يكون ظل يعيش في ذاكرة أتباعه ومريديه[2].

ويعطينا الصياد بعضا من الحكم التي وردت عن جنكيز خان وهي تدخل ضمن ما يسمى بالبيليك ومن أهمها:

1- لا يؤذ بعضكم بعضا على أمور الدنيا، فإذا شعر بعضكم بألم من الآخر فليسارع لإزالته حالا لتكونوا بمأمن من شرور الأعداء.

2- إن من يدبر بيته أحسن تدبير يتمكن من إدارة المملكة.

3- من يتمكن من إدارة عشرة أفراد وأحسن سوقهم، يتيسر له تسوق جيش عظيم.

4- من تمكن من نظافة بيته، يستطيع أن يحرس حكومته من السراق وأهل الشقاء[3].

هذا وقد عمد المغول على كتابة مآثر خاناتهم سواء كانت أقوالا أو أفعالا أو تقارير، كما أنهم اعتمدوا على الايغواريين أو الأخطائيين في ذلك كما فعلوا مع الياسا.

---

[1] بارتولد: تركستان، ص 114.

[2] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 116.

[3] الصياد: مرجع سابق، ص 351.

وكان من المألوف قديما في الشرق أن تؤلف الكتب الأخلاقية التعليمية للملوك، وأصحاب المناصب ولكل الطبقات، وأهم ما في هذه الكتب ما ترويه من الحكايات التاريخية والأسطورية التي يراد بها تأييد ما ترويه النظريات الأخلاقية والنصائح[1].

ثانيا: القضاء:

تلازم نظام القضاء عند المغول مع دستورهم تلازما كبيرا إلى حد ما، خاصة في باب الأوامر والنواهي والعقوبات، فيقدر التزامهم بقوانين الياسا كان تطبيقهم للعقوبات شديدا، ولما كان كتاب الياسا يشمل على جزء كبير من الأحكام التي تتعلق بالجزء والعقاب، وغالبا ما يكون ذلك بإعدام الشخص الذنب صار أحد معاني كلمة "ياسا" القتل والموت[2].

وقد جاء القضاء عند المغول بلفظ يرغوا أمام القضاة فيعرفون باسم يرغوجي[3]، فنجد عباس إقبال عند حديثه عن إحالة شخص ما إلى القضاء في حين توجيه اتهام إليه أنه كان يستدعي للمحاكمة فيما يعرف باسم يرغو، وكان القضاء يعرفون باسم يرغوجي[4].

إن اختيار جنكيز خان لرئيس القضاة قد أعطى برهانا قاطعا على معرفته المبدعة عن نوعية ومعدن الرجال الذين ولاهم المناصب الإدارية الهامة بنفس المنوال الذي كان قد

---

[1] بارتولد: تاريخ الترك، ص 154.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 338.

[3] رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ هولاكو، ص 227.

[4] عباس اقبال: تاريخ المغول، ص 125.

نهجه عندما اختار قادة جيشه العسكريين[1]، فيقدر اهتمام المغول بأمورهم الحربية والعسكرية خاصة في تعيين القادة والمسؤولين، كان اهتمام بالإدارة وأصحاب المسؤوليات والمناصب الإدارية، إذ نجد أن جنكيز خان أعطى منصب قاضي القضاء لشخص متميز خاصة من جانب الذكاء والتشبع بالثقافة والايغورية في بلاطه.

ويبدوا أن أول من أفاد من دروس الايغور من بطانة جنكيز خان كان "شيكي قوتوقو" وهوتشاري الأصل كانت قد تبنته زوجة جنكيز خان أيام صغره، وقد عهد إليه الخان بالبيت في المسائل القضائية[2]، ولذلك السبب عينه قام جنكيز خان بتعيينه قاضي القضاة[3].

وكانت عقوبات المغول تقضي بالإعدام على من يرتكب الزنا أو قطع الطريق أو السرقة أو التجسس أو السحر، وبذلك كانت أشد إظهارا لقسوتهم.

ويذكر لنا ماركوبولو في حديثه عن قواعد العدالة لدى المغول حيث يقول: "فمتى اتهم شخص بسرقة لا تستحق انزال عقوبة الموت به، حكم عليه بعدد معين من الضربات بالعصا –سبعة أو سبعة عشر أو سبعة وعشرين أو سبعة وثلاثون أو سبعة وأربعون أو ما يرتفع إلى مائة وسبعة حسب قيمة السلعة المسروقة وظروف السرقة[4].

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 113.

[2] بارتولد: تركستان، ص 559.

[3] فلاديميرستوف: مرجع سابق ، ص 112.

[4] ماركوبولو: مصدر سابق ج1، ص 146.

وإن هذا الضرب الذي يعتبر عقوبة السارق كان يؤدي بحياة المضروب في بعض الأحيان، أما إذا كانت الجريمة سرقة حصان أو شيء كبير فكانوا يقطعون المجرم نصفين بالسيف اللهم إلا إذا كان قادرا على افتداء نفسه بدفع تسعة أمثال قيمة الشيء المسروق[1].

وكانت سلطة القاضي عند المغول مطلقة في إصدار وتنفيذ الأحكام، لما تمتع به صاحب هذا المنصب من مكانة عالية وتقدير من طرف الخان وبقية الناس، وهنا نجد أن جنكيز خان لما قام بتعيين القاضي "قوتوقو" أعطاه السلطة الكاملة في القيام بمهمته وكما أعطاه التعليمات حسب ما أورده بارتولد بقوله: "أمرك بأن تحكم وتعاقب في المسائل المتصلة بالسرقة والغش، وكل ما يستحق القتل جازه بالقتل، وكل من يستحق العقوبة عاقبه وأنت الذي ستقطع في المسائل المتصلة بتقسيم الأملاك بين الناس"[2].

عرف المغول نظام البصمات، ويقول رشيد الدين إنه قد تحقق وثبت بالتجربة أن بصمات الأصابع مختلفة عن بعضها، فكان المغول إذا أقاموا حجة على أحد، وضعوا ورقة الاتهام تحت اصبعه، ووسموا خطا عن موضع البصمة حتى إذا ما أنكر، بصم على ورقة أخرى، وقابلوها بالبصمة السابقة فإن كانت مطابقة لها عجز عن الانكار[3].

وكان المتهم يمر بستة أنواع من المحاكم هي: ليشه، لوشه، جيبون، توجينيون، زوشتائي، سنويشة، وبعد فوات المهم بهذه الدرجات الست من القضاء، يعرض أمره على

[1] مصطفى بدر: مرجع سابق، ص 82.

[2] بارتولد: تركستان، ص 559.

[3] الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ص 10-11.

الديوان الأعظم، ديوان الخان واسمه "تشينك"، وفي محكمة هذا الديوان يقضى له أو عليه وفقا لفرمان الخان[1].

ثانياً- الإدارة في الإمبراطورية المغولية

- أهم المناصب في الدولة:

اختلفت المناصب في الدولة المغولية وتمايزت حسب النظام المعتمد في تسيير الإدارة المركزية والولايات التابعة وتنوعت حسب المناطق والشعوب، ومن أهمها:

- منصب القاآن: وهي كلكمة مغولية تعني الملك العظيم، لذا حمل حكام المغول هذا اللقب منذ جنكيزخان وإلى باقي خلفائه ولقبوا بالخانات العظام أو الخان الكبير[2]. وهو أعلى المناصب السياسية في الدولة وله السلطة المطلقة وقد كان رئيسهم قاآن وهم لم يتحلوا بلقب آخر طوال حكمهم ويعادل لقب كسرى عند الفرس[3].

- منصب الخان: وهي كلمة تعني الملك، وقد أطلقه المغول على رؤسائهم الذيم يتولون جزءا من الإمبراطورية المغولية وهو لقب يختلف عن القاآن، وإن الفرق بين الخان والقاآن يشبه الفرق بين السلطان والملك، فالسلطان هو الملك الأعظم، أما الملك فهو أحد ولاة

---

[1] الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 11.

[2] لين بول ستانلي: الدول الإسلامية، ج2، تر: محمد صبحي فرزات، مطبعة الفلاح، دمشق، 1354هـ/1974م، ص 501.

[3] النسوي: مصدر سابق، ص 38.

السلطان، كما يشبه الفرق بين لقبي شاهنشاه وشاه، فالأولى تعني ملك الملوك والثانية تعني الملك الصغير عند الفرس[1].

– منصب الإيلخان: يعني سيد القبيلة التابع للقآن، وأطلق على الأسرة المغولية التي حكمت إيران[2]، وقد سميت الدولة التي حكمت إيران بالإيلخانية ولقب حكامها بلقب الإيلخان.

4– منصب المستشار: وجد هذا المنصب في الدولة المغولية منذ عهد جنكيزخان بعد تأسيس دولته، وأصبح المستشارون يتوافدون ويشتغلون في بلاطه.

وحين تزعمهم جنكيزخان أدرك ضرورة أن يكون مستشاره من فئة عالية التفكير[3]، أي يتحلون بثقافة عالية وفكر متحضر عكس ما كان عليه المغول الذين تميزوا بالبداوة والبدائية والبعد عن كل أشكال الحضارة.

لذلك كان جنكيز خان يضم إلى حاشيته الأكفاء من أهالي البلاد، ويتخذ منهم وزراء ومستشاريه، فقد كان في خدمة خان النايمان كاتب إيغوري "تاتا أونجا" فجعله جنكيزخان في خدمته، وصار مستشارا له[4]، أما محمود يلواج فهو محمود الخوارزمي الذي كان يقوم بمهمة السفير لجنكيز خان، وكان بمثابة مستشار ووزير له[5]، وقد غدا أحد أعضاء سلالة خيطائي

[1] لين بول: مرجع سابق، ص 514.

[2] محمد التونجي: بلاد الشام إبان الغزو المغولي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ص 22.

[3] نفسه.

[4] العريني: مرجع سابق، ص 58.

[5] الصياد: مرجع سابق، ص 155.

الصينية وهو"يي ليو تشو تساي" وزيرا للخانات وقدم خدمات لا تضاهى في تنظيم الإمبرطورية المغولية[1].

الوظائف الهامة:

بعد أن وحد جنكيزخان منغوليا تحت سلطته واستتب له الوضع، بدأ بتنظيم إدارة إمبراطوريته فبدأ بتكليف أبنائه الأربعة بوظائف كبرى أسندها إليهم، ثم أسند وظائف أخرى إلى أقربائه والمقربين إليه لمباشرة شؤون البلاد المدنية والعسكرية، فنجده يعهد كل وظيفة إلى شخص أو أكثر، ويورد لنا الجويني ذكر الوظائف التي اختصها جنكيز خان لكل واحد من أبنائه وهي على النحو الآتي:

– وظيفة خاصة بشؤون الصيد والتي أوكلت إلى الابن الأكبر جوجي، والتي تعتبر عند المغول أمرا كبيرا ومحببا.

– وظيفة السهر على تنفيذ أحكام الياسا والالتزام بها ومعاقبة مخالفيها، والتي أوكلت إلى الابن الثاني جغتاي.

– وظيفة إدارة شؤون المملكة التي اختص بها الابن الثالث أوكتاي.

4– وظيفة ترتيب الجيوش وتجهيز الجنود، أوكلت إلى الابن الأصغر تولوي[2].

[1] شبولر: المغول في التاريخ، ص 23.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 78، ابن العبري: مصدر سابق، ص 395.

كانت الإمبراطورية الجديدة تدار من أحد بيوت هذه المدينة حيث مجلس الخان، الذي كان يمثل رئاسة الوزراء، ومقر القيادة في آن واحد، كان المجلس مؤلفا من جنكيزخان وأولاده الأربعة، فالابن الأكبر جوجي كان وزيرا للصيد، والابن الثاني جاكاتاي وزير العدل والعقاب، والبن الثالث أوكتاي وزيرا للبلاط، والابن الرابع تولى وزيرا للحربية، وقائداً للجيوش ورئيس التحرير والنبلاء، ورؤساء القبائل وقادة الجيش وقادة الفرق[1]. وقد لقب هذا الأخير بـ "يكه نويان" و "ألغ نويان" الذي يعني الأمير الكبير، وكان جنكيز خان يدعوه "نوكار" ولم يكن له نظير في الشجاعة والبطولة وسداد الرأي والتدبير[2].

هذا بالنسبة للوظائف الهامة والأمور الجليلة للدولة، كما وجدت وظائف أخرى لا تقل أهمية، حرص جنكيز خان أن يعهد بها إلى سكان البلاد المغلوبة للإفادة من خبراتهم في إدارة شؤون البلاد.

وحرص جنكيزخان أن يوزع بين أنصاره الموالين له الوظائف الأساسية الحربية والمدنية، فجعل بعضهم حرسا خاصا له، وخص آخرين بأمر توفير المؤن والسقاية وإعداد العربات والتماس المراعي والإشراف على الخدم، ورياضة الخيل ونقل الأوامر الملكية، والمحافظة على النظام عند انعقاد مجلس الأعيان (قوريلتاي)[3].

[1] محمد فتحي أمين: مرجع سابق، ص 52.
[2] رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 160.
[3] العريني: مرجع سابق ، ص 49.

ونجد بارتولد الذي كثيرا ما استقى معلوماته من كتاب التاريخ السري للمغول يورد لنا أهم هذه الوظائف وهي:

1- الوظائف الخاصة بالبلاد: وهي وظائف أوجدها جنكيز خان خصها ببلاطه وأوكلها لأشخاص مقربين وأقرباء وعددها عشر وظائف تمثلت في :

- **وظيفة قورجي (رامي السهام):** شغلها أربعة رجال وظيفتهم حمل القسي والسهام.

- **وظيفة بكاول أوباورجي:** وشغلها أربعة رجال يشرفون على الطعام والشراب.

- **وظيفة اختجي:** وشغل هذه الوظيفة شخص واحد ومعناها راعي قطعان خيل البلاط.

- **وظيفة اليورتجي:** وهو المشرف على تجهيز العربات ويسمى "تركين".

- **وظيفة جربي:** وهو المشرف على موظفي الخاصة.

- **وظيفة الاختجي:** وهي الإشراف على تدريب الخيل ويقوم عليها مشرفان، وكان أحدهما أخا لجنكيز خان يدعى بلغوطاي.

- أربعة رجال وظيفتهم حمل السيوف في موضع واحد وكان على رأسهم أخ جنكيز خان جوجي قسَّر[1].

- ثلاثة أشخاص وظيفتهم المحافظة على مراعي الخيول والمواشي[2].

---

[1] بارتولد: تركستان، ص ص 546- 547.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 359.

– أربعة أشخاص لحمل أوامر جنكيز خان[1] يلقبون بالسهام القريبة والبعيدة[2]، كانت وظيفتهم الاضطلاع بمهام شخصية للخان كمنصب السفارة في أغلب الأحيان[3].

– فردان مسؤولان عن حفظ النظام خلال مجالس الشورى[4]، فمن المحتمل أن تكون الوظيفة الملقاة على عاتقهما هي حفظ النظام خلال الاجتماعات، وقد شغلا مراكز رفيعة للغاية في بلاط جنكيز خان[5].

وإلى جانب هذه الوظائف أوجد جنكيز خان وظائف أخرى أغلبها كانت موجودة قبله ومنها ما استحدثه من أهمها:

2- وظيفة قاضي القضاة: فوضه جنكيز خان لتدبير مسألتي الحكم والعقاب في حالات السرقة والتزوير[6]، وكان صاحب هذه الوظيفة "شيكي قوتوقو نوين"[7].

---

[1] عباس اقبال: تاريخ المغول، ص 122.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 359.

[3] بارتولد: تركستان، ص 547.

[4] عباس اقبال: تاريخ المغول، ص 122.

[5] بارتولد: تركستان، ص 547.

[6] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 113.

[7] بارتولد: تركستان، ص 559.

3-وظيفة البخشي الأكبر:

أي رأس الخدمة المدنية في أية مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية[1]، وفوق هذا أسندت إليه وظيفة تعليم أبناء الخان القراءة والكتابة[2].

4- وظيفة الداروغجي:

أي نائب رئيس الدولة يكون إلى جانب الحاكم المحلي، كانت هذه الوظيفة تشمل الأعمال التالية:

- إحصاء السكان.
- جمع جيش الأهالي.
- إقامة المواصلات البريدية.
- جمع الضرائب.
- إرسال الخراج إلى البلاط[3].

ويبدو أن المكلف بهذه الوظيفة قد جمع بين السلطتين المدنية والعسكرية في نفس الوقت وهو نائب للسلطة في البلاد التابعة لحكم المغول.

[1] بارتولد: تركستان، ص- ص 559-560.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 55.

[3] بارتولد: تركستان، ص ص 572-573.

5- وظيفة بيكي: وهي وظيفة رجل الدولة الشامان، ورجل الدين في الدولة، يتميز بأنه يركب على جواد أبيض ويلبس ملابس بيضاء اللون[1]، ولفظ بيكي وجد قبل جنكيز خان بعهد طويل والمعني به كبير القساوسة أي أعلى مناصب السلطة الدينية[2].

6- **وظيفة البيتكجي:** البيتكجي كلمة مغولية معناها الكاتب والمحرر[3]، وذكرها بارتولد أن معناها الكاتب وعامل الدولة[4].

7- وظيفة تشربي: وصاحبها أضحى المسؤول عن المهام التموينية من مؤن وتجهيزات خاصة العسكريين من الحرس[5].

العاصمة:

جاء اسم عاصمة المغول مختلفا بمسميات مختلفة مثل قراقورم[6] وقراقوم[7] وكاراكوران[8] وقراقروم[9].

---

[1] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 118.

[2] بارتولد: تركستان، ص 560.

[3] رشيد الدين: جامع التواريخ، مج2-ج2 (تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان)، ترجمة: محمد صادق نشأت، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة: يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العلمية ، ص 242.

[4] بارتولد: تركستان، ص 459.

[5] فلاديميرستوف: مرجع سابق، ص 93.

[6] الجويني: مصدر سابق، ص 243. رشيد الدين: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 59.

[7] القلقشندي: مصدر سابق، ص 480.

[8] ماركوبولو: مصدر سابق، ج1، ص 130.

[9] القرماني: مصدر سابق، ص 490.

وقراقورم من أقاصي بلاد الترك الشرقية، معناه الرمل الأسود بالتركية، وقراقورم كانت قاعدة التتر وفي جهاتها بلاد المغل وهم خالصة التتر ومنها خاناتهم[1].

ويذكرها ماركو بولو أنها أولى المدن التي ثبتت فيها التتار حكمهم، ويقارب محيط مدينة كاراكوران ثلاثة أميال وهي أول مكان أسس فيه التتار مقر حكمهم، ويحيط بحا استحكام حصين، وإلى خارج ذلك الاستحكام تقف قلعة ضخمة فيها قصر جميل يشغله حاكم المكان[2]، ويبدو أن ماركو بولو لم يعط اهتماما كبيرا في ذكره وحديثه عن عاصمة المغول، بحيث أنه أعطى وصفا مقتضبا وتصويرا موجزا لعاصمة أكبر إمبراطورية في تلك الفترة.

وعن قراقورم يضيف القلقشندي:" وفيها عساكر القان الكبير وبها يعمل القماش الفاخر والصنائع الفائقة، وغالب ما يحتاج إليه القان يستدعى منها لأنها دار استعمال، وأهلها أهل صنائع فائقة، وهي قرية جنكيز خان التي أخرجته[3].

وأصل تسمية قراقورم كما يورده الجويني أنه كان بجوار نهر أرقون الذي ينبع من جبل يقال له قراقورم والمدينة التي أمر القآن ببنائها يطلق عليها اسم هذا الجبل[4]، وهذا يعني أن المدينة أخذت اسمها من الجبل الذي أنشئت بالقرب منه حيث ينبع منه نهر أرخون حيث تقع على إحدى ضفافه.

---

[1] أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ص 504-505.

[2] ماركوبولو: مصدر سابقج1، ص 130.

[3] القلقشندي: مصدر سابق، ص 481.

[4] الجويني: مصدر سابق، ص 88.

ويضيف الصياد بأن أوكتاي أمر ببناء مدينة جديدة شمال منغوليا بالقرب من جبال قراقورم، وعلى أطلال إحدى المدن الخربة التي كانت تقوم في عهد الإيغوريين، فتم هذا وأطلق على المدينة اسم "أوردو باليغ"، ولكن نظرا لقربها من جبال قراقورم اشتهرت في التاريخ بهذا الاسم[1]، العاصمة قراقورم التي ظهرت خلال تلك الفترة على الأرخون الأعلى[2].

وكان اختيار الموقع هذا في عهد جنكيز خان، فحسب الصياد أنه في عهد جنكيز خان وقع الاختيار على قراقورم أو على مكان قريب منها ليكون مقرا لحاضرته[3]، ففي حوض نهر أورخون الذي لعب دورا مهما في تعاقب الكثير من الإمبراطوريات التركية، التي اقامت حواضرها هناك ابتداء بدولة هيونج، ومرورا بدولة الترك الشرقيين المسماة "توكيو" أو "الكوك تورك" (552–745م)[4]، وكذلك أوردو باليك التي كانت عاصمة للإمبراطورية الأوغورية التركية، تقع على بعد 17 كلم من عاصمة المغول الأولى قراقورم[5].

إذ بعد اكتمال عملية فتح الصين الشمالية سنة 611هـ/1215م، وبعد عودته منها غانما كمية كبيرة من الغنائم، أمر جنكيز خان ببناء عدد من الأبنية في السهوب المغولية وذلك

[1] الصياد: مرجع سابق، ص 190.

[2] بيرتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص 29.

[3] الصياد: مرجع سابق، ص 190.

[4] أحمد جلايلي: **المغول وحلم بناء مدينة قراقورم كعاصمة لإمبراطوريتهم**، مجلة الحقيقة، 39، جامعة أدرار، 2016،ص 321.

[5] جورج لاين: مرجع سابق ، ص 109.

لأول مرة في تاريخ المغول من أجل تخزين الغنائم الثمينة، والتي استخدمت في واقع الأمر كمستودعات[1].

عاد جنكيز خان بعد انتصاراته في الصين إلى مسقط رأسه في صحراء جوبي وجعل مدينة قراقورم عاصمة له، وكان في هذه المدينة معابد لبوذا، وكنائس للنصارى النسطوريين، ومساجد للمسلمين[2].

ومن الرسوم التي اختطها جعله مدينة قراقورم عاصمة قبائل النايمان كرسي مملكته واتخاذه "تاتا تونكو" الإيغوري الذي كان سقط في المعركة أسيرا وزيرا له ومعلما لأبنائه اللسان الإيغوري[3]، ويفهم من هذا أن اتخاذ جنكيز خان لقراقورم عاصمة له كان بعدما أخضع النايمانيين وأزال دولتهم.

وحسب رواية جويني أنه لم يكن في تلك المنطقة مدينة أو قرية سوى أثر لحائط يطلق عليه اسم "معسكر باليغ" ولكنها عرفت باسم قراقورم[4].

ويبدو من حديث مورقان أن جنكيز خان الطي قام بتوحيد القبائل المغولية تحت لوائه وجمعهم في زمرة جيوشه، اراد أن يستغل المكان المعروف بأوردو* باليق ليكون قاعدة

[1] إيمي شوا: مرجع سابق ، ص ص 161-162.
[2] محمد فتحي أمين: مرجع سابق ، ص 52.
[3] القزاز: مرجع سابق، ص 17.
[4] الجويني: مصدر سابق، ص 80.

عسكرية أساسية لهذه الجيوش وحاصرة لملكه[1]، وكانت مدينة قراقورم عاصمة جنكيزخان وهي قريبة من "أوتوكن" العاصمة القديمة للدولة التركية الكبرى القديمة[2].

أما في عهد أوكتاي خليفة جنكيز خان فقد أمر ببناء عاصمة جديدة تتضمن قصرا إمبراطوريا وحدائق من تصميم مهندسين معماريين صينيين، ويقوم بزخرفتها صينيون، وتحاط بالأسوار، وذلك للمرة الأولى في تاريخ السهوب، أطلق على المدينة إسم كراكورم[3] وكان أول حاكم مغولي أسس مدينة[4]، وكان أوكتاي يميل إلى التعمير والتشييد وشرع في عام 631هـ/1234م في بناء عاصمة جديدة له[5]، وبفضل نصائح مستشاره "يي ليو تشو تساي"، أنشأ أوكتاي حاضرة له في الموقع الذي اقترحه جنكيزخان، والذي كان معروفا عند الترك المغول باسم مدينة البلاط "أردو باليق" ثم صار معروفا باسم قراقورم[6]، وبفضل تأثير مستشاريه، أصبح ينظر إلى الشعوب نظرة عطف وشفقة وصار يميل إلى التعبير والتشييد،

* أوردو هي كلمة تعني الخيمة أو القصر أو المعسكر، ينظر: رشيد الدين جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 220.

[1] Morgane : the mongols , oxford , 1986, p14.

[2] أوزطونا: مرجع سابق، ص 365.

[3] إيمي شوا: مرجع سابق، ص 168.

[4] جورج لاين: مرجع سابق، ص 108.

[5] الصلابي: مرجع سابق، ص 180.

[6] العريني: مرجع سابق، ص 161.

ففي سنة 631هـ/ 1234م أمر مهرة المهندسين الصينيين بأن ينشؤوا مدينة جديدة في منطقة أوردو باليغ لتكون عاصمة له[1].

ويعطينا ابن العبري لمحة عن الأعمال التي قام بها أوكتاي أثناء حكمه في بلاد الخطا وما تم له من الغزو، وبعد عودته إلى مواضعه القديمة والتي يقصد بها منغوليا، بنى بها مدينة سماها أردو باليق وهي مدينة قراقورم[2].

وفي حديثه عن رغبة الخان أوكتاي الشديدة في التعمير وتشييد المباني يصف رشيد الدين الخان بقوله: "وكان يصرف كل وقته في إفاضة العدل والإحسان وإزاحة الظلم والعدوان وتعمير البلاد والولايات، وإنشاء أصناف العمارات، ولم يكن يهمل بحال من الأحوال أية ناحية تتصل بتمهيد قواعد الملك وتشييد مباني العمران[3]، في الوقت الذي أمر فيه ببناء قراقورم، وكان اهتمام الملك محصورا في إنجاز البناء[4].

وفي عهد أوكتاي وبعد توليه الحكم، غدا بلاطه ملاذاً للعلماء وأضحت حضرته سكناً ومأوى للعالمين، وعمَّ جوده جميع الخلائق، وبُني بمحاذاة معاهد الأوثان مشاهد الرحمان[5]، وكان يصرف كل وقته في تعمير البلاد والولايات وإنشاء أصناف العمارات[6].

---

[1] بارتولد: تركستان، ص 655.

[2] ابن العبري: مصدر سابق، ص 434. بارتولد: تركستان، ص655.

[3] رشيد الدين: جامع التواريخ خلفاء جنكيزخان، ص 59.

[4] الجويني: مصدر سابق، ص 223.

[5] نفسه: ص213.

[6] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص52.

وصف العاصمة قراقورم:

شهدت عاصمة المغول تحولات وتطورات كبيرة منذ نشأتها في عهد الخان الأول جنكيز خان وحتى خلفائه من بعده إلى منكوخان ابن تولوي ابن جنكيزخان، حيث بدأت فكرة توسيعها منذ عهد أوكتاي خليفة جنكيز خان الذي عمل على عمارتها من جديد، وإعطائها الصورة العظيمة كعاصمة لأكبر إمبراطورية آنذاك.

أعطانا كل من الجويني ورشيد الدين وصفا لحاضرة المغول التي أقيمت فيها مختلف العمارات والأبنية من قصور ومنازل وبوابات.

ويبدو من رواية الجويني أن المدينة وبناياتها قد بنيت في ظرف قياسي حيث يقول:" ولكثرة المياه وفيضان المواهب وغزارة الرغائب بدأوا العمل في جميع المناحي وانتهوا من تشييد المدينة خلال فترة قصيرة"[1].

وكان أهم بناء شيده أوكتاي في المدينة هو قصر الخان الرئيسي، حيث أمر بأن يشيدوا قصرا عالي البنيان، رفيع الأركان إلى أقصى حد، ويليق بالهمة العالية لملك مثله، وانجزوا تلك العمارات بأبهى نسق وأكمل نظام، وزينوها بفنون النقش والتصوير، وقد أطلقوا على ذلك القصر اسم "قرشي"، واتخذه القاآن مقرا لحكمه[2].

[1] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 243.

[2] رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ص 59-60.

وعن هذا القصر يذكر الجويني أن له أربعة بوابات وثلاث أجنحة فيقول:" وشيدوا لهذا البناء بوابة خاصة تفضي إلى ممر خاص للملك، وبوابة لأولاده وأقربائه، وثالثة للحريم، ورابعة لدخول العامة وخروجهم، وبنوا عرشا بثلاثة أجنحة: الأول للملك والثاني للملكة، والثالث للسقاة والطباخين"[1].

ثم صدر فرمان يقضي بأن يبني كل من الإخوة والأبناء وسائر الأمراء الذين كانوا يلازمونه دُورًا فخمة عالية حول القصر، فامتثلوا جميعا للأمر، وبعد أن شيدت تلك المباني واتصل بعضها ببعض، بدت مجمعا من العمارات المكتظة والبالغة حد الروعة والترف[2]، فكان هذا البناء الذي شيده أوكتاي مضاهي لمدينة بغداد في الأبهة الطيبة.

ويضيف الجويني:" وعلى يمين القصر وشماله منازل الإخوة والأبناء والحرس وزينوا القصر والعرش بنقوش وزخارف، كما بنوا كل ما يلزم للآلات الأخرى أو لمرابض الفيلة والجمال والخيل، ومنازل مخصصة للمشرفين عليها"[3].

وفي العاصمة قراقورم التي كبرت وزادت فخامة وجمالا وزينة، ارتفعت الكنائس والمساجد والمعابد البوذية، وفي نفس الوقت ازدهرت التجارة، وكنت تجد المبعوثين والوفود من جميع

[1] الجويني: مصدر سابق، ص 243.

[2] رشيد الدين: جامع التواريخ، خلفاء جنكيزخان، ص 60.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص 243.

البلدان في العاصمة، وقد اتبع نظام بروتوكول صارم التنظيم وصولهم ودخولهم إلى حضرة الخان الأعظم، وذلك بالإضافة إلى سكناهم وتغذيتهم[1].

ويضيف شبولر وصفا عن زيارة روبروك الذي وصل إلى العاصمة قراقورم في عهد منكو، حيث أن روبرك يعطي وصفا حيا للنشاطات العديدة التي كانت تسود العاصمة فيقول نقلا عن شبولر:" أما التجارة فكانت مزدهرة والعلاقات في كل الاتجاهات كانت واسعة جدا، وقد تطورت الحرف تطورا كبيرا بفضل أسرى الحروب، وقد تحولت قراقورم إلى مكان لقاء لكل الحضارات الآسيوية، وللمرة الأولى في التاريخ أصبح الشرق الأقصى على اتصال وثيق مع الشرق الأدنى ومن ثمة مع الغرب[2].

ولموقع قراقورم إلى جانب الأهمية التاريخية، ما يصح الإفادة منه في إدارة منغوليا التي يقع في وسطها، وفي توثيق الصلة بين المواطن الأصلي لأسرة جنكيز خان عند منابع أونون وكيرولين وبين اقطاع أوكتاي على نهري إريتش واميل[3].

وتوسعت العاصمة وشيدت فيها عدد من المنشآت، وأدخلت إليها الزراعة وأنواع الفواكه والخضار، كما انتظمت أحوال التموين في منغوليا عن طريق الاستيرادات من الصين، ووضعت القواعد للروابط الاقتصادية لهذه البلاد مع الهند وآسيا الغربية[4].

---

[1] بيرتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص ص 43-44.

[2] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص ص 42-43.

[3] العريني: مرجع سابق ، ص 161. طقوش: المغول العظام، ص ص 106-107.

[4] شبولر: المغول في التاريخ، ص 32.

الأسرة والزواج عند المغول:

عاش المغول في نسيج اجتماعي أسري متين جدا، حيث أن هذا التربط داخل كل أسرة من المجتمع كان له الأثر الكبير في ظهور المغول كلحمة واحدة، رغم تعدد وتنوع القبائل التي شكلت المجتمع المغولي، فكما سبق وأن أشرنا إلى مختلف القبائل التي شكلت الوحدة المغولية، فإن الأسرة هي التي تعتبر النواة في تكوين القبيلة، وقد عاش المغول في أسر أو منازل كل منزل يضم خيمة واحدة أو أكثر، بحسب عدد الزوجات وكانت الأسر تجتمع في عشائر تربطها صلات قرابة لتكوين الوحدة القبلية[1].

كان المغولي يأخذ بمبدأ تعدد الزوجات لأنها كانت عادة متبعة عندهم، وبالتالي تكاثر عدد الأسر المغولية معظمها من رجل واحد، ويذكر الصياد أنه كان للخان أن يتزوج بمن يشاء من النساء، وكانت عادته المتبعة أنه إذا تغلب على الملك أمير فإنه كان يتزوج من ابنته أو أخته أما إذا قتله فكان يتزوج من امرأته[2] فهم لم يحددوا في حياتهم الزوجية عدد الزوجات وإنما ترك للرجل حق تعدد الزوجات بغير حدود بهدف كثرة النسل ليكثر عددهم، وتصير لهم الغلبة بين الجيران ، حتى جنكيز خان كانت له ما يربو على خمسمائة زوجة، ولم تقف الفوارق الاجتماعية دون زواج من يرغب ممن يحبها من البنات[3].

---

[1] هيلدا هوخام: مرجع سابق، ص 223.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 352.

[3] محمود السيد: مرجع سابق، ص 116.

يعتبر الزواج عند المغول من أهم القضايا الاجتماعية، لأنه يحفظ علاقة الرجل بالمرأة في إطاره الشرعي وبرعاية وتأييد المجتمع بعاداته وأعرافه.

لذا كان الزواج على الطريقة المغولية له سمات خاصة فقد شرع جنكيز خان في الياسا أن كل من أحب امرأة بنتا كانت أو غيرها لا يمنع من التزوج بها ولو كان زبالا والمرأة بنت ملك[1].

تتألف الأسرة بشكل عام من جيلين من الكبار، والعائلة العادية تتألف من الأب والأم وأولادهما غير المتزوجين[2]، مما يعني أنه بمجرد ما يتزوج أحد الأولاد ينفرد بأسرته وينفصل عن الأسرة الكبيرة بشكل نواة الأسرة الجديدة.

وشاع عند المغول تعدد الزوجات حسب الحالة المالية لزوج وكذلك المكانة الاجتماعية، فهم لم يحددوا في حياتهم الزوجية عدد الزوجات، وإنما ترك للرجل حق تعدد الزوجات بغير حدو بهدف كثرة النسل ليكثر عددهم ويصير لهم الغلبة بين الجيران[3]، ولا يعرفون نكاحا رسميا وللفرد أن يجمع من النساء لديه بقدر ما يستطيع، ولو كان عددهن مئة، وذلك على قدر طاقتهم المادية، ولهم أن يتزوجوا ما يشاؤون عدا أمهاتهم وبناتهم

[1] صبري عبد اللطيف سليم: مرجع سابق، ص 30.
[2] جورج لاين: مرجع سابق، ص 308.
[3] محمود السيد: مرجع سابق، ص 116.

وأخواتهم، أما الشقيقات وزوجات الأباء فجائز، وإذا اشتهى رجل امرأة أتاها، وقد يأتيها أكثر من رجل[1].

وكانت عادات تعدد الزوجات وتحريم الزواج داخل العشيرة تعني أن ممارسة انتزاع الزوجات كانت شائعة[2]، مما نستشف منه أنه نوع من أنواع الزواج المنتشرة بين المغول آنذاك.

تشابه المغول مع غيرهم من الشعوب في دفع الرجل صداقا للمرأة مقابل زواجهما، بحيث لا يصل إليها حتى يوفي الصداق الذي وافق عليه وليها، وربما كان المهر جمالا أو دوابا أو غير ذلك[3]، ولا يعتبر المغولي المرأة زوجته ولا يقدم لها مهرا حتى تنجب له طفلا، وبناء على ذلك فإنه عندما يستقبل شابة كزوجة له، يدفع لوالديها مهرا[4].

واعتاد المغول نوعا آخر من الزواج وهو الزواج عن طريق الشراء حيث تباع بعض الفتيات الصالحات للزواج، وعلى حسب أعمارهن وأشكالهن وتقدر أثمانهن، وبعد إتمام البيع تصبح الفتاة ملك من اشتراها ويحق له أن يتخذها زوجة له[5].

---

[1] التونجي: مرجع سابق، ص 22.

[2] هيلدا هوخام: مرجع سابق، ص 224.

[3] مرجونة: مرجع سابق، ص ص 211-212.

[4] ماركوبولو: مصدر سابق، ج1، ص 140. عبد السلام فهمي: مرجع سابق، ص 23.

[5] مرجونة: مرجع سابق، ص 214.

كما يعطينا ماركوبولو نوعا آخر من أنواع الزواج هو الزواج عن طريق الميراث حيث يقول: "وعند وفاة الأب يستطيع الابن أن يتخذ لنفسه الزوجات اللاتي يخلفهن أبوه، باستثناء أمه، وهم لا يستطيعون أن يتخذوا من أخواتهم زوجات، ولكنهم يستطيعون عن وفاة أخواتهم التزوج من زوجة الأخ ويحتفل بكل زواج بأبهة جليلة ومراسم عظيمة"[1].

ومن خلال بعض نصوص الياسا التي نظمت حياة المغول الاجتماعية يظهر لنا أنها ترفض العلاقات المشروعة بشدة وتشجع على الزواج بين المغول من جهة أخرى، فقد جاء في بعض النصوص الياسا أنه من زنى قتل، ولا يفرق في ذلك بين المحصن وغير المحصن، أي أنها اعتبرت الخروج عن العلاقة الزوجية شيء محرم ولا يجوز.

كذلك نصت الياسا التي شرعها جنكيز خان بأنه يغضب إذا علم بولد لا يطيع أبويه أو بأخ صغير يخالف أمر أخيه الكبير، أو بمخالفة المرأة لزوجها، كما يخص الأزواج على ضرورة السيطرة المطلقة على مقدرات أسرهم[2].

المرأة ومكانتها عند المغول:

أما المرأة المغولية ومكانتها بداخل المجتمع المغولي فكانت صاحبة مكانة عالية في المجتمع التي تعيش فيه.

---

[1] ماركوبولو: مصدر سابق، ج1، ص 140.

[2] صبري عبد اللطيف سليم: مرجع سابق، ص ص 26-27.

حيث أن أهمية المرأة أتت من طبيعة الأعمال التي قامت بها سواء كان ذلك على مستوى العشيرة أو على مستوى القبيلة أو الدولة في كافة مرافقها، فالمرأة المغولية اعتبرت هي العضو الأكثر فعالية وانتاجا من الرجل[1].

وكانت مكانة المرأة مرتفعة في المجتمع فهي تستطيع أن تتصرف بكل حرية بما تملكه، كما كانت كفؤا في أعمالها الخاصة، وكانت سيدة بيتها وهي التي تقوم بتربية أولادها[2]، حتى أن مسؤولية البيت وادارته تختص بها الزوجة فهي تقوم بكل شيء[3].

وقد وصف لنا ماركوبولو المرأة المغولية بصورتها المميزة حسب أعمالها التي تقوم بها والمهام الموكلة إليها التي وصفها بالضخمة، حيث يقول: "والنساء هن اللائي يتولين شؤونهم التجارية (يقصد شؤون أزواجهم)، فهي اللائي يشترين ويبعن، ويزودن أزواجهن بكل ما يلزم، إذ أن تجارتهن تشغل اهتمامهن كله، فضلا عن مشغولياتهن المنزلية كإمداد العائلة بالطعام، والاشراف على الخدم، والعناية بالأطفال، ومن الأعمال التي لا يبرحن يشغلن فيها تعد ضخمة في واقع الأمر"[4].

[1] إبراهيم مرجونة: مرجع سابق، ص 220.
[2] بيرتولد شبولر: المغول في التاريخ، ص 42.
[3] محمود السيد: مرجع سابق، ص 117.
[4] ماركوبولو: مصدر سابق، ج1، ص ص 139-140.

ولا يغيب دور المرأة، إذ عليها اعداد البيت ونظافته وطهي الطعام، هذا إلى أعباء أخرى ليس لها غيرها، فكان عليها صنع الثياب وحياكتها، واعداد اللباد لصنع القباب، وحلب الأبقار وتجفيف الألبان[1].

كما يمكن للمرأة المغولية أن تنوب عن زوجها في واجب ما إذا غاب هو وتعذر قيامه بذلك، فقد أورد لنا الجويني ذلك في قوله: "بينما تظل خدماتهم التي تؤديها نسائهم لدرجة أنه إذا حدث أمر ما وألزم شخص ما على القيام به ولم يكن الرجل حاضرا فإن على زوجته أن تخرج بنفسها وتؤدي هذه المصلحة"[2].

وكانت واجبات المرأة تتمثل في قيادة العربات، ونصب أو حزم خيامهم على العربات وانزالها ودباغة وخياطة الجلود لصنع الثياب[3].

كانت المرأة المغولية معروفة بقدرتها على ركوب الخيل والبقاء عليها لمدة طويلة، إذ كانت تلبس طربوشا على رأسها وتربط خصرها برباط وبري، كما كانت في الحروب تهتم بشؤون الرجال، وعند الطوارئ كانت تشترك في القتال أيضا، وأثبتت جدارتها في حصار المدن أيضا[4].

---

[1] ثروت عكاشة: مرجع سابق، ص 22.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص 70.

[3] هيلدا هوخام: مرجع سابق، ص ص 224-225.

[4] إيمان الدباغ: مرجع سابق، ص 87.

فكل الباحثين في عادات المجتمع المغولي يؤكدون على أن النساء يتمتعن باستقلالية وبمكانة عالة في المجتمع[1].

ساهمت النساء في جميع الأعمال اليومية، فكانت من مهام قيادة العربات الضخمة، وتحميل العربات وتفريغها ونصب الخيام والمساكن، بحيث لم تكن الحياة سهلة على نساء المغول، كان لهن الحق في التملك، وطلب الطلاق ومع ذلك لم يتمتعن بمساواة كاملة مع الرجال[2].

هذا بالنسبة للمرأة المغولية بصفة عامة، فقد أشرنا للدور الذي لعبته المرأة البسيطة في المجتمع المغولي سواء كانت أما أو زوجة أو غير ذلك، وسنشير إلى بعض النساء اللائي تمتعن بمكانة عالية وشغلن مهام خاصة السياسية منها في بلاطات الحكم المغولية والعسكرية كقيادة الجند وتدبير شؤونهم، وقد أورد لنا الجويني ذكرا مفصلا عن زوجات خانات المغول والأمراء ورجال السياسة ودورهم السياسي في الإمبراطورية المغولية.

ولعل أول امرأة جديرة بالذكر من بين نساء المغول هي والدة جنكيز خان "أولون ايكة" التي كام لها الفضل الكبير في تربية أبنائها وحمايتهم بعد وفاة زوجها، وتعهدت بمرافقة ابنها جنكيز خان حتى بلغة مرتبة حكم وجزء كبير من العالم، ذكر الهمذاني وأثنى عليه كثيرا

[1] كيتشانوف: مرجع سابق، ص 58.

[2] جورج لاين: مرجع سابق، ص ص 308-309.

بقوله: "قد تعهدت بتربية ابنها جنكيز خان الذي كان أبوه قد تركه صبيا، ورعت جنده، بل وقادة الجند ينفسها، وبفضل جهود والدته أتيح له القيام بجلائل الأعمال[1].

كما أظهرت مساندتها لابنها وبذلت كل ما تستطيع من أجل توفير القوت لأولادها، فضلا عن نصائحها المستمرة، ووقفت إلى جانب ابنها إلى أن أصبح امبراطورا كبيرا، وأصبح جنكيز خان يشاور أمه في كل الأمور التي تخص الدولة، فكان لها أعمق الأثر في نفسه[2].

وتظهر لنا امرأة أخرى من النساء المغوليات اللائي لعبن دورا كبيرا في الجانب السياسي ألا وهي "توراكينة" زوجة أوكتاي قاآن، إذ بعد وفاته حملت عبء الحكم كوصية على العرش لتعمل جاهدة في تمرير السلطة إلى ابنها كيوك ليصبح قاآنا رغم المنافسة الشديدة له في بيت آل جنكيز خان، وحتى الزوجة الأخرى التي تدعى "موكا خاتون".

يقول الجويني: "ولما كانت زوجته الكبرى وهي "تورا كينا خاتون" أما لأولاده الكبار واشتهرت بذكائها ودهائها ... فأعلن جغتاي وغيره من أبناء الملك أنها أكثرهم استحقاقا للخيانة، فإنها تسلم إدارة البلاد حتى يحين موعد انعقاد القوريلتاي[3]"وكانت معروفة بدهائها وذكائها.

[1] الهمذاني: جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 170.
[2] ايمان الدباغ: مرجع سابق، ص 85.
[3] الجويني: مصدر سابق، ص 247.

وبما أنها لم تكن هناك ترتيبات لوراثة العرش، فقد عين كبراء الدولة وأعيانها توراكينا أرملة أوكتاي وصية على العرش، وهذه دلالة أخرى على المركز الفريد الذي كانت تحتله المرأة في المجتمع المغولي[1].

ويضيف الهمذاني عن توراكينا ودورها في توليها منصب الوصية على عرش المغول قائلا: "لما توفي أوكتاي قاآن وضعت توراكينة خاتون الملك في قبضة تصرفها بالطائف الحيل، وصارت تجتذب قلوب الأقارب والأمراء بأنواع التحف والهدايا حتى مال الجميع إليها"[2].

فقد أثبتت توراكينا خاتون براعة في متابعة حكم القاآن فضبطت أمور الملك بالمهادنة والحيل والكياسة، وانقاد الناس إلى أوامرها ونواهيها طواعية ورغبة و... تحت قوانينها، ووقف الناس جميعا بجميع فئاتهم إلى جانبها[3].

استطاعت في تلك الفترة أن تلعب دورا سياسيا كبيرا لدرجة أنها تقوم بتعيين الأمراء مثل الذي أشار إليه الجويني في حديثه عن أيدي قوت حاكم الايغور "ساليدي" الذي تولى بعد أخيه "كسماين" حيث يقول: "وقام مقامه بأمر من توراكينا خاتون أخوه ساليدي ولقب بلقب أيدي قوت"[4].

---

[1] بيرتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 40.

[2] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 176.

[3] الجويني: مصدر سابق، ص 247.

[4] نفسه، ص 82.

وتولت الوصايا على ابنها كيوك ما يقارب خمس سنوات من سنة 639هـ-644هـ/1241م-1245م وذلك بعد صراع طويل مع منافسيها حتى نجحت في تولي ابنها منصب الخانية[1].

ومما يلاحظ من كلام الجويني لدلالة كبيرة على المكانة التي احتلتها هذه المرأة والنساء المغوليات بصفة عامة، وكيف أن كبار رجال الدولة المغولية هم من قاموا بتعينها كوصية على العرش حتى تتم عملية انتخاب خان جديد.

وتأتي بعد توراكينا من حيث الترتيب امرأة أخرى هي زوجة القاآن كيوك بن أوكتاي، وهي أوغل قاميش تولت منصب وصاية العرش عقب وفاة زوجها سنة 646هـ/1248م، وظلت وصية في الحكم مدة عامين وأكثر بمباركة باطو والعديد من الأمراء والنبلاء المغول[2].

لما توفي كيوك خان تطرق الخلل مرة أخرى إلى شؤون المملكة وكانت زوجته "أوقول قيمش" تدبر مصالح البلاد مع الأركان[3]، وأشار باطو عليها أن تباشر مصالح الملك بنفسها[4]، إلا أن فترة حكمها ساد فيها الاضطراب ودب الخلاف بين مسؤولي المغول حول

[1] ايمان الدباغ: مرجع سابق، ص 85.

[2] جورج لاين: مرجع سابق ، ص 320.

[3] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 197. رنسيمان: مرجع سابق، ص 505،

[4] الجويني: مصدر سابق، ص 265. ابن العبري: مصدر سابق، ص 451.

اختيار القاآن[1]، وذلك لما اتصفت به من صفات وأعمال غير مقبولة كما وصفها الهمذاني في قوله: "وكانت "أوغول قيمش" تقضي أغلب أوقاتها في الخلوة مع السحرة، وكانت مشغولة بهذيانهم وخرفاتهم"[2].

إضافة إلى دور أوغل قيميش في محاولات التقرب المسيحي لإقامة التحالف مع المغول ضد العالم الإسلامي في عهد لويس التاسع ملك فرنسا، واستقبالها لمبعوث الملك ما يقارب ثلاث سنوات واستضافته بنفسها[3]، ولما تولى منكو عرش المغول بعث برسالة إلى ملك فرنسا وصف الملكة أوغل غايميش التي استقبلت سفارة لويس بالعطف بأنها امرأة شريرة أسوأ من كلبة، أنى لها أن تعرف شيئا في شؤون الحرب والسلم أو مصالح الدولة[4].

كما ذكر المؤرخون امرأة أخرى في الدولة المغولية وأشادوا بها وأثنوا عليها كثيرا، بل وصفها البعض أنها أهم امرأة لدى المغول، "وإحدى عاقلات العالم"[5]، وهي سيورقوقيتي بيكي التي لعبت دورا كبيرا في الدولة المغولية، والتي خلفت أولادا يعتبرون من أهم خانات المغول.

هي أرملة تولوي الابن الأصغر لجنكيز خان وأم كل من مونكو خان وقبلاي خان وهولاكو خان وأريق بوقا[1].

---

[1] عباس اقبال: تاريخ المغول، ص 175.

[2] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 159. الجويني: مصدر سابق، ص 266.

[3] ايمان الدباغ، مرجع سابق، ص 86.

[4] بارتولد: تركستان، ص 696.

[5] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص 197.

كانت ذكية حاذقة داهية ولبقة، وقد أهَّلها إحساسها السياسي أن تشغل دورا رئيسيا، وهي التي قررت وجهة الإمبراطورية المغولية، ذلك أنها أصبحت أمّاً للخانات العظام "مونكو" و"قوبيلاي" وخان بلاد فارس "هولاكو"، وإن الشعبية التي تمتعت بها المسيحية في الإمبراطورية المغولية ترجع إلى حد بعيد إلى تأييد هذه الإمبراطورة التي كانت من أصل كرايتي[2]

وكانت سيورقوقيتي بيكي في غاية العقل والكفاءة وكانت في مقدمة سيدات العالم لهن من الثبات والعفة والستر والعصمة كل ما هو أكمل وأتم، بذلت بكفاءتها جهودا في سبيل تربية أولادها ولقنتهم الفضائل والآداب، ولم تدع أن يقع بينهم نزاع على الاطلاق[3].

ويذكر سيرتها ابن العبري مادحا إياها في قوله: "توفي تولي خان وكان أحب الاخوة إلى قاآن فاغتمَّ كثيرا لذلك، وأمر أن زوجته المسماة سرقوتني بيكي وهي ابنة أخي أونك خان تتولى تدبير عساكره، فأحسنت تربية الأولاد وكانت لبيبة مؤمنة تدين بدين النصرانية تعظم محل المطارنة والرهبان وتقتبس صلواتهم وبركتهم وفي مثلها قال الشاعر:

فلو كان النساء كمثل هذه لفضلت النساء على الرجال[1].

[1] جورج لاين: مرجع سابق، ص 320.

غروسيه: مرجع سابق، ص182.[2]

[3] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 170.

ويصفها الهمذاني في موضع آخر بأنها إحدى علاقات العالم، وذلك لإقدامها واقتحامها العمل السياسي وتنظيم شؤون الجيش والرعية حيث يقول: "وللإشراف على أبنائها وتنظيم شؤونهم وشؤون الجيش والرعية، أوجدت "سيورقوقيتي" أنظمة لم يكن في مقدور أي ملك أن يأتي بمثلها، ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذها، وكان القاآن يستشيرها في مهام الأمور ومصالح المملكة، ولم يكن يحيد عما تراه صالحا، وكان اتباعها يتمتعون أكثر من غيرهم بالحماية والاهتمام والاحترام"[2].

وكان لها دور كبير في إدارة أمور الدولة في فترة حكم أوكتاي، ولا يذكر اسمه إلى ومعه اسمها، وبلغ نفوذها وقوتها أنها كانت تتحدث بشأن الضرائب المرسومة على الرعية، حيث استكثرتها عليهم، وأصرت قانونا بشأن ذلك[3].

ويشير الهمذاني إلى دورها السياسي الفعال في تعيين الأمراء والعمال في مختلف الأقاليم والمناصب إلى جانب القاآن وبعض الأمراء، كتعيين "بيكه" معاونا لجورماغون الذي أرسله القاآن أوكتاي إلى ايران، كما ساهمت في تعيين الرسل المشرفين على دور البريد[4].

---

[1] ابن العبري: مصدر سابق، ص 334.

[2] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 197.

[3] نرجس أسعد كدرو: المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، القاهرة، 2012، ص 94.

[4] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ص 49-54.

ومن أعمالها التي خلدت اسمها، بناؤها لمدرسة في بخارى للمسلمين، رغم أنها لم تكن مسلمة بل كانت تعتنق الديانة المسيحية.

ورغم أنها كانت تعتنق الديانة المسيحية وتعمل على ترويجها، إلا أنها لم تبد أي نوع من التعصب، وكانت تترفق بالرعايا المسلمين في البلاد[1].

وكانت تغدق الصفقات والعطايا على أئمة المسلمين ومشايخهم، ووهبت ألف كيس من الفضة لإقامة مدرسة في بخارى، يشرف عليها شيخ الإسلام سيف الدين البخاري، وكانت تتولى ارسال الصدقات إلى الأطراف والنواحي، وتنفق الأموال على المساكين والفقراء من المسلمين وظلت تسلك هذا الطريق إلى أن توفيت في ذي الحجة سنة 649هـ/ 1251م[2].

ثالثا- الحياة الدينية عند المغول:

تأثر المغول كغيرهم من الشعوب ببيئتهم الجغرافية، وحياتهم البدوية وانعكس ذلك على جميع مناحي حياتهم وخاصة الدينية، التي ارتبطت بالطبيعة ارتباطا وثيقا، بلغ ذلك إلى حد الخوف من المظاهر الطبيعية، والاعتقاد بقدرة الطبيعة في التحكم أو تغيير نمط حياتهم التي وقفت على كثير من المعتقدات التي أصبحت مع الوقت أشبه ما يكون بدين لهذه الشعوب، وهذا بالاحتكاك الخارجي والاطلاع على ثقافات ومعتقدات المجتمعات الأخرى.

[1] عباس اقبال: تاريخ المغول، ص 176.

[2] الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص 54.

المعتقدات الأولى لدى المغول:

شاع في المغول بمناسبة جهلهم وعدم معاشرتهم لأهل الحضارة كثير من العقائد الخرافية، فكان للشياطين والسحرة أثر كبير في حياتهم وكانوا يخشون السحر والسحرة خشية شديدة[1]، هذا بالإضافة إلى اعتقادهم الكبير بالظواهر الطبيعية فنجدهم اعتنقوا الكثير من المعتقدات المختلفة من أهمها:

الإعتقاد بالوحدانية والظواهر الطبيعية:

تذكر الكثير من المصادر التاريخية المعتقدات القديمة والبدائية المغولية قبل توغل بعض الديانات الماوية إليهم، فكانوا يعتقدون بوجود إله واحد له الفضل كله في العالم الموجود والذي هو موجود في السماء، إلى جانب اعتقادهم بالظواهر الطبيعية التي في اعتقادهم أنها تساعدهم وتسهل عليهم حياتهم وطريقة عيشهم.

يقول ابن واصل عن دياناتهم: "وهم مع هذا لا يدينون بدين غير أنهم يعترفون بالصانع سبحانه وتعالى ويعظمونه، ولا يعتقدون شريعة من الشرائع"[2].

[1] عباس اقبال: تاريخ ايران، ص 389.

[2] ابن واصل: مصدر سابق، ص 36.

ويضيف العمري: "الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى، وأنه خلق السموات والأرض، وأنه يحي ويميت، ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع، وأنه على كل شيء قدير"[1].

أما الجويني فيتكلم عن زعيم هذه الأمة ومؤسس هذه الدولة جنكيز خان أنه لم يكن متقلدا لأي دين أو تابعا لأي مذهب، فقد كان بعيدا عن التعصب، لكنه يشير في حديثه عن استعدادات جنكيز خان قبل غزواته أنه كان يكتب للأقوام إنذاراته التي تتضمن قوله: أنه إذا لم ينقادوا الحكمة ويستسلموا له فإن ما نعلمه هو ما يعلمه الله الأزلي، ثم يضيف الجويني: "من يتدبر من هذا المعنى يره من أقوال المتوكلين"[2]، وهذا دليل على أن معتقد الخان المغول بوجود إله واحد عليه التوكل بارز في أقواله وأفعاله.

وذكر المقريزي شيئا من معتقدات جنكيز خان وبعض ما شرعه لقومه في الياسا والتي اتبعوها والتزموا بها شرعة ومنهاجا، فيقول: "وكان جنكيز خان لا يتدين بشيء من أديان أهل الأرض، فصار الياس حكما بتا بقي في أعقابه لا يخرجون عن شيء من حكمه، وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى، وجعل ذلك كله قربة إلى الله تعالى"[3].

[1] العمري: مصدر سابق، ص 105.

[2] الجويني: مصدر سابق، ص ص 65-66.

[3] المقريزي: الخطط، ج3، ص ص 83-84.

ويتحدث ماركوبولو عن آلهتهم التي سماها السماوية والأرضية، وعن طريق تعبدهم فيقول: "فهم يؤمنون بإله له طبيعة رفيعة وسماوية، وهم يخرجون له البخور، ويرفعون إليه الصلوات ابتغاء الاستماع بصحة العقل والبدن"[1].

ولعل منكو خان (648-658هـ/1251-1260م) خير من عبَّر عن حقيقة معتقدات المغول بقوله: "نحن المغول نعتقد بأن هناك إلها واحدا له نحيا وله نموت وعندنا قلب يخفق له"[2].

ويشير العزاوي إلى الحوار الذي دار بين جنكيز خان والقاضي أشرف أحد علماء بخارى بعد أن دخل إليها المغول، وكان من بين ما صرح به جنكيز خان أنه هو كذلك يعتقد بوحدانية الله وأنه أستحسن من أركان الإسلام كلها إلى الحج بحجة أن العالم كله بيت الله[3].

ونلمس في موضع آخر اعتقاد المغول بالوحدانية في مقولة هولاكو حينما كان على أبواب بغداد قبيل غزوها، فقد أورد الهمذاني رواية على لسانه بقوله: "إن اعتمادي على الله الأعلى الدرهم والدينار، فإذا كان الله الأزلي مساعدا لي ومعينا، فماذا أخشاه من الخليفة وجيشه"[4].

---

[1] ماركوبولو: مصدر سابق، ج1، ص 141.

[2] القزاز: مرجع سابق، ص ص 20-21.

[3] العزاوي: مرجع سابق، ص 130. الصياد: مرجع سابق، ص 335.

[4] الهمذاني: جامع التواريخ تاريخ هولاكو، ص 284.

كما آمن المغول بوجود إله سماوي، أطلقوا عليه اسم "تنغري" وهو إله يتربع على عرش السماء[1].

ويصف بارتولد شبولر شخصية باطو في حديثه عن تولية كيوك عرش خانية المغول في قوله: "فقد كان باطو مثله مثل جنكيز خان وجوجي من قبل ينظر نظرة استخفاف ولا مبالاة إلى جميع الأديان السماوية وشبه السماوية في الأقاليم المغولية، فقدى بقي مخلصا للإيمان الشاماني لآبائه وأجداده الذين كانوا يؤمنون بإله واحد"[2].

بالإضافة إلى اعتقادهم بوحدانية الله، التجأ المغول إلى تقديس بعض الظواهر الطبيعية، خاصة التي هي في نظرهم تكسب قوة خارقة، أو ربما في اعتقادهم أنها تضرهم أو تنفعهم، كالشمس والرعد والبرق،

وفي هذا يقول ابن الأثير: "وأما عن دياناتهم، فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها"[3]، "ويعظمون النجوم ويعبدونها"[4].

[1] شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 40.
[2] عباس اقبال: تاريخ ايران، ص 389.
[3] ابن الأثير: مصدر سابق، ص 400.
[4] القرماني: مصدر سابق، ص 487.

ويشير عباس اقبال إلى سجود المغول للشمس أثناء توليه الخان الجديد أوكتاي في قوله: "ولما انتهت مراسم الجلوس خرج الخان الجديد أوكتاي وجميع الأمراء من المعسكر وخروا ركعا للشمس مرات ثلاث"[1].

أي أن عبادتهم تتمثل في كل ما يخشونه ويرهبونه، فلهم آلهة في النهر والجبل والشمس والقمر والبرق الخاطف والرعد القاصف، وإذا كان المغول يتقربون لهذه الآلهة فإنهم كانوا يفعلون ذلك دفعا لشرها وأذاها وابعاد غضبها وجلب رضاها، راجين منها الصحة في أجسامهم وعقولهم[2].

إلى جانب عبادة آلهة سماوية وبعض الآلهة المتمثلة في الظواهر الطبيعية، كان المغول يعبدون الأوثان والأصنام معتبرين إياها آلهتهم الأرضية موفقين بذلك بين آلهة السماء وآلهة الأرض.

يوضح ذلك ماركوبولو في قوله: "ويعبدونه آخر بالمثل يسمى "ناتجاي"، ويحتفظ كل فرد من أفراد الشعب في منزله بتمثال له مغطى باللباد أو غيره من قماش، وهم يضمون إلى هذا الإله زوجة وأطفالا، وهو الذي يعدونه الرب الذي يتولى شؤونهم الدنيوية ويحمي أطفالهم ويحرس ما شيتهم، وهم يقدمون إليه احتراما كبيرا"[3].

---

[1] جورج لاين: مرجع سابق، ص 255.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 335.

[3] ماركوبولو: مصدر سابق،ج1، ص 141.

ويضيف توماس أرنولد: "كانت "الشمانية" الديانة القديمة للمغول، الذين كانوا على رغم اعترافهم بإله عظيم قادر لا يؤدون له الصلوات وإنما كانوا يعبدون طائفة من الآلهة المنحطة، وبخاصة تلك الآلهة الشريرة التي كانوا يتقدمون إليها بالقرابين والضحايا لما كانوا يعتقدون فيها من السلطان والقدرة على ايذائهم، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدامى التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم"[1].

المعتقدات الوضعية عند المغول:

اتبع المغول الكثير من المعتقدات الوثنية الوضعية التي انتشرت بصورة خاصة في آسيا، فمن أبرزها الشامانية[2].

اعتبرت الشامانية الدين التقليدي للمغول، وتؤمن عندهم بوجود أرواح متعددة تتفاعل مع الوجود الزمني للمخلوقات، ويمكن التواصل معها والتأثير عليها من قبل رجال الدين أو الشامانات (جمع شامان)، فهي دين عملي يعالج الاحتياجات المادية، والشامان هو الروح الناصحة والمرشدة للقبيلة وأفرادها[3].

---

[1] أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د.حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970، ص 251.

[2] معتقد قديمة، عرف في الصين (ق4 ق.م) في ولاية تشو، تقوم على أداء حركات ورقصات تهدف إلى العمل على انزال الآلهة، لعب الشامان فيها دور طارد الأرواح الشريرة وانتشرت في كثير من المناطق في الصين، ينظر: أبو الفضل: **عقائد الغز والمغول في بلاد ما بين النهرين قبل دخولهم في الإسلام**، مجلة دراسات تاريخية، ع 103- 104، جامعة دمشق، 2008، ص 82.

[3] جورج لاين: مرجع سابق، ص 252.

وكان المغول طبقا لعقائد الشامانية يعبدون كل شيء يسمو على مداركهم وكل ما يرهبهم، ويدخل الخوف على قلوبهم[1]، وفضلا عن ذلك كان أتباع الشامانية من المغول يعبدون أرواح أجدادهم، لاعتقادهم أن لهذه الأرواح سلطانا كبيرا على حياتهم، كما كانوا يؤمنون بالقوة السحرية[2]، وما داموا يؤمنون بالأرواح والجن، فإن رجل الدين عندهم الذي يدعى شامان صاحب نفوذ في توجيه حياتهم ومصائرهم، ويستخدم في ذلك الأعمال السحرية والحكم والمواعظ، ولا يجوز لأحد أن يقدم القرابين دون وساطته وهكذا خضع المغول له وانقادوا لشعوذته[3].

كما اتبع المغول البوذية[4] التي كانت منتشرة عند جيرانهم، حصل ذلك بعد اختلاطهم بقبائل الاويغور البوذية، وتوسعاتهم الخارجية بالأخص لبلاد الصين.

والبوذية تعاليمها تنص على الوسطية بين حياة الشهوات وبين حياة الزهد المنطوي على تعذيب الذات، وبأن بوذا هو ابن الرب الذي من وصياه لهم: لا تقض على حياة حي، لا تسرق، لا تغضب، لا تكذب، لا تسكر، لا ترقص، وغيرها، ويرون الرذائل الثلاث هي:

[1] عبد السلام فهمي: مرجع سابق، ص 24.

[2] الصياد: مرجع سابق، ص 325.

[3] التونجي: مرجع سابق، ص 49.

[4] ديانة أسسها بوذا الهندي (564-483 ق.م) وكانت واسعة الانتشار في الهند والشرق الأقصى، وأصبحت ديانة الطبقة الحاكمة، ينظر: فتحي اللهيبي: رياح الشرق دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2013، ص 36.

الاستسلام للملذات والشهوات، وسوء النية في طلب الأشياء، وعدم إدراك الأوامر على وجهها الصحيح[1]

فبعد أن اختلط المغول بالإيغور الذين اعتنقت طائفة منهم البوذية اتخذوا بعض علماء هذا الدين كتابا لهم، فحثوا جماعة من المغول ناهيك عن تعليمهم الخط الأيغوري على اعتناق الوثنية البوذية[2].

انتشرت البوذية بين المغول، ولاقت الحظ بين فئات العديد منهم، وخاصة ممن أقام في الصين، وهذا المذهب كان قد أخفق في مد جذوره في آسيا الغربية، لكنه أصبح مألوفا للمغول في الصين، وأعني به الدين البوذي[3]، فأصبح هناك ثلاث معابد للبوذية والتي كانت تدار من قبل رجال الدين البوذيين الذين امتعوا الناس بقدراتهم الخارقة، والاتفاق كما يزعمون مع الرب لخدمة البشرية، فزادت مكانتهم بين خانات المغول بسبب إجادتهم للسحر والشعوذة والفلك والنجوم، وما عرف عن الخانات شغفهم بهذه العلوم[4].

وقد شهدت البوذية انتعاشا بين المغول بشكلها التيبتي، وتعود أسباب انتشارها إلى أسباب سياسية، فقد ارتأى عدد من أمراء المغول هذه العقيدة تهربا من هيمنة شخصية

[1] إيمان الدباغ: مرجع سابق، ص103.
[2] عباس اقبال تاريخ ايران، ص 389.
[3] شبولر: العالم الإسلامي، ص 58.
[4] ايمان الدباغ: مرجع سابق، ص 104.

الشامان عليهم[1]، ومن أبرزهم قوبيلاي الذي أخلص في عقيدته وعمل على نشرها بين المغول[2].

وقد كان لطريق الحرير أهمية دينية، حيث اتخذه بعض الزوار طريقا لزيارة المعابد البوذية، ونتج عن ذلك التقاء بعض الأفكار الجديدة مما أوجد طقوسا كثيرة يشوبها بعض التعقيد بين البوذيين والمغول، خاصة المتواجدين منهم بالصين[3].

[1] التونجي: مرجع سابق، ص 51.

[2] مرجونة: مرجع سابق، ص 288.

[3] نفسه، ص 287.

الخاتمة

اتسم تاريخ المغول بأبشع الصور التي يمكن أن تعطي معاني الوحشية والدمار والخراب في الكتابات التاريخية وفي أذهان الشعوب بصفة عامة، إذ مع ذكر المغول يتبادر إلى الأذهان ما فعلوه في الصين وروسيا وأكرانيا وكييف وبلدان ماوراء النهر وأكثر من ذلك تدمير عاصمة العباسيين دار السلام بغداد.

فنجد جل المؤلفات المعاصرة وغير المعاصرة للغزو المغولي، تعطينا تفاصيل ممارسة هؤلاء المغول لكل أنواع التقتيل والتشريد خاصة في البلاد الإسلامية، وتفنن أصحاب هذه المؤلفات في وصف ذلك بحسب ما تفنن المغول في تخريبهم للمدنية وتنكيلهم بضحاياهم في كل نقطة وصلت إليها جيوشهم، وهذه حقيقة لا يمكن نكرانها، للكن لا يجب أن نغفل عن الوجه الآخر والصورة المشرقة من تاريخ هؤلاء، والتي تزامنت مع توسعاتهم وأعمالهم الوحشية، أو ربما جاءت بعد هدوء فورتهم والتجائهم إلى السلم وتعمير البلدان التي خربوها، أو ربما لما وجدوا بعضا من الشعوب التي خضعت وانقادت لهم وأمنت شرهم.

فمن خلال هذه الدراسة التي جمعت بين الحرب والسلم، أي جمعت بين الوجهين الذَين برز بهما المغول، سواء في بلادهم أو البلاد التي خضعت لهم، توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات وخلصنا إلى بعض النقاط جاءت فيما يلي:

طبيعة البلاد المغولية التي امتازت بقلة المياه وجدب الصحراء، مما جعل المغول بطبيعتهم التي اعتادت على الترحال والتنقل والتنازع على الماء والكلأ ومصادر الرزق ومواطن العشب، نتج عن ذلك هجرات في كثير من الأوقات من منطقة الى أخرى في شكل

وحدات قبلية أدت في الأخير إلى إغارة بعض القبائل على قبائل أخرى، كما نجد أن المغولي ومنذ نعومة أظفاره يلتحق بفرقة من فرق الفرسان ليمارس الحياة القاسية والقيام بأسفار بعيدة عبر الصحاري، وهذا ما أكسبه صفة الجلد والشدة والصرامة وهي أوصاف تميز بها المغول عن غيرهم من شعوب العالم.

استطاع تيموجين بذكائه وحسن تدبيره بعد أن اجتذب إليه معظم الشخصيات الكبيرة في قبيلته، ثم أخضع المناوئين له حتى تمت له السيطرة الامة عليها، وعاش فترة من الزمن تحت حماية زعيم قبيلة الكرايت في عهد زعيمها أونك خان واستطاع بدعمه أن يفني قبائل التتار، إلا أن هذه العلاقة لم تدم طويلا خاصة بعدما ازدادت قوة تيموجين لدرجة أن أصبح حليفه يتوجس منه خيفة، وانتهت بانتصار تيموجين عليه وقتله، ثم أخضع كل من المركيت والأويرات، بعدها تغلب على تايانك خان قبيلة الكرايت، وبذلك سيطر على تلك القبيلة وأخضعها، ثم أخذ يؤلب القبائل بعضها على بعض ليضعف من كيانها حتى يسهل عليه التغلب عليها في النهاية، وبذلك أصبح سيدا على القبائل الواقعة في منغوليا الشرقية سنة 600هـ/1203م، وما إن أتت سنة 603هـ/1206م وبعدما أخضع النيمانيين ودخل في خدمته الأويغور حتى تمت له السيطرة على الشق الغربي لمنغوليا.

ثم أعقب تلك الإنتصارات التي حققها تيموجين أن أجمعت القبائل على انتخابه سيدا وامبراطورا عليها في القوريلتاي عام 603هـ/1206م، والذي كان من نتائجه أن أطلق عليه لقب جنكيزخان واتخذ من قراقورم عاصمة له.

بعد تتويجه خانا اعظم على المغول كافة، استهل جنكيزخان غزواته خارج منغوليا بهجومه على مملكة التانغوت في سنة 1206م، وتم له القضاء عليها وإلحاقها إلى إمبراطوريته، ثم سار في سنة 1211م نحو امبراطورية كين في الصين الشمالية واستولى بعد حملات ثلاث على العاصمة بكين وضمها إل ممتلكاته.

اعتمد الجيش المغولي منذ نشأته على قبيلة قيات التي كانت النواة الأولى له، حيث عمل جنكيز خان على إظهار قوة جيشه بأبناء عشيرته قبل انضمام مجموعات من العشائر والقبائل الأخرى الخاضعة تحت لوائه، وبهذا تمكن من إنشاء جيش مكتمل مكون من مزيج من الفئات المختلفة عرف فيما بعد بالقوة والجبروت وفنون الحرب الفذة، ثم التحق بالمغول قبائل أخرى إما طوعا أو كراهية، كقبائل التتار والكرايت والمركيت والنايمان والأويرات وقبائل الأويغور، كما ضم الجيش المغولي عناصر جديدة من خارج منغوليا مثل الصينيين والمسلمين بعدما دانت له هذه الأقاليم.

اعتنى جنكيز خان منذ تأسيس الجيش بكل أموره التنظيمية الأساسية والجزئية، وعمل على تطوير كل ما يتعلق به من تنظيم وتطوير في العدد والعدة، فإلى جانب ما تميز به الجيش المغولي من القوة والشدة والبأس نتيجة الطبيعة التي نشأ فيها، تميز أفراده بالوفاء والولاء لقائدهم

أما بالنسبة لتقسيمات جيش المغول فنجد نوعين من التقسيمات وهما التقسيم من ناحية العدد الكلي للجيش، فنجده يتألف من وحدات متعددة تختلف حسب اختلاف المهام

والمسؤوليات، فهناك وحدة حرس الخان وهي الوحدة الرئيسية والمقربة للخان، مهمتها حماية الخان ومرافقته عند خروجه للحرب، ويتم اختيارهم من طرف الخان شخصيا، وهناك وحدات أخرى مثل الخيالة وهي الوحدة الأساسية وهم الغالبية في الجيش، ثم نجد وحدة النشابين الذين لا تقل أهميتهم عن وحدة الخيالة، وذلك لخفة حركتهم وسرعتهم في المعارك وحماية الجيش، كما نجد المشاة والمنجنيقيين والجواسيس وهذا التقسيم إلى فرق وكتائب ومجموعات حسب تخصص الجنود، وتقسيم ثاني من حيث العدد والتشكيلة الميدانية أثناء المعارك والحروب، تمثل في تقسيم الجيش إلى مقدمة ومؤخرة وجناحين، وهذه التشكيلة الدائمة للجيش المغولي.

وكغيره من الجيوش، استعمل المغول في حروبهم مختلف الأسلحة المعروفة، كالسيف الذي احتل مكانة مرموقة بين جميع الأسلحة التي استخدموها نتيجة وفرة المعادن في بلادهم كما يعتبر سلاح المحارب الخفيف، كما استخدموا القوس والنشاب لبراعتهم في ذلك نتيجة استعمالهم المستمر له منذ نعومة أظفارهم، وذلك في عملية الصيد التي كانوا يزاولونها في حياتهم اليومية.

أما فيما يخص حروب المغول وتوسعاتهم خاصة نحو الغرب وغزو الدولة الخوارزمية، تعتبر حادثة أترار السبب المباشر لاجتياح المغول لهذا الإقليم، بغض النظر عن الأسباب الأخرى لتجسيد سياستهم التوسعية التي تميزوا بها، فإن هذه الحادثة سواء كانت مرتبة من طرف المغول لدفع الطرف الثاني على ارتكابها لإيجاد حجة للغزو، أو

كانت من حماقة والي الخوارزميين في مدينة أترار، فتعتبر الحادثة التي جلبت الويلات على المسلمين وفتحت باب الدمار والتخريب على الدولة العباسية، حين بلغ هذا الغزو إلى إسقاط الدولة الخوارزمية وفنائها، ثم بقية الحواضر والمدن الإسلامية حتى العاصمة بغداد.

أما في حياتهم السلمية وفي منجزاتهم الحضارية التي نلمسها في كل ما أنشأه المغول من أنظمة إدارية وحضارية، تبين الوجه الآخر لهؤلاء الذين ينظر إليهم كمدمرين للحضارات التي اجتاحوها، إذ أنهم استحدثوا الكثير من الأعمال التي ظهرت مع المؤسس الأول لهذه الإمبراطورية، وتمثلت في إنجازات جنكيز خان التي أبانت عن باعه وقدرته الكبيرة في إرساء دعائم دولته، ومن هذه الإنجازات نجد قانون الياسا الذي يعتبر المشرع والدستور للدولة، والذي يضبط حياة المغول من جميع المجالات والنواحي.

أقام المغول بعد اتساع رقعة دولتهم دورا للبريد قصد التقريب بين الأقاليم البعيدة، وحظي هذا النظام بتنظيم كبير في عهد جنكيز خان وخلفائه من بعده، حيث أقيمت دور البريد في البلاد التي وصلت إليها جيوش المغول لتسهيل التواصل، ورغبة في المزيد من التوسعات لارتباطه بالنظام الحربي التوسعي، ولأغراض متعددة منها معرفة أحوال الأعداء وأخبارهم وتسهيل حركة التجارة ونقل البضائع والأموال من المناطق البعيدة وجمع الضرائب من البلاد التي خضعت لهم.

كان للدستور الجديد الذي أصدره جنكيزخان والذي تمثل في الياسا، دور كبير في تحقيق الكثير من الإنتصارات والتأسيس لإمبراطورية واسعة الأرجاء، فقد خضع لهذا الدستور والقوانين الصارمة جميع

رعايا الإمبراطورية رؤساء ومرؤوسين، على مختلف أعراقهم وأجناسهم وأديانهم دون استثناء، وقد مست جميع المجالات الدينية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية والعسكرية، فكان من أهم إيجابياتها أنها نجحت في توحيد المغول ونظمت علاقاتهم، وظلت محفوظة ومحتفظة بمكانتها في عهد جنكييزخان وأبنائه من بعده إلى أحفاده، بحيث وصلت إلى حد التقديس، إذ لا يجوز تبديلها أو الخروج عنها وذلك بالرجوع إليها في كل أمورهم. تعتبر الياسا من أجل الأعمال التي قام بها جنكيزخان، إنما هي دليل على عبقريته وحنكته وإبداعه الذي حققه في مجال التشريع.

الملاحق

الملحق رقم 1 خارطة تمثل انقسام وانتشار الممالك المغولية.

المرجع: حسين مؤنس(أطلس تاريخ الإسلام)

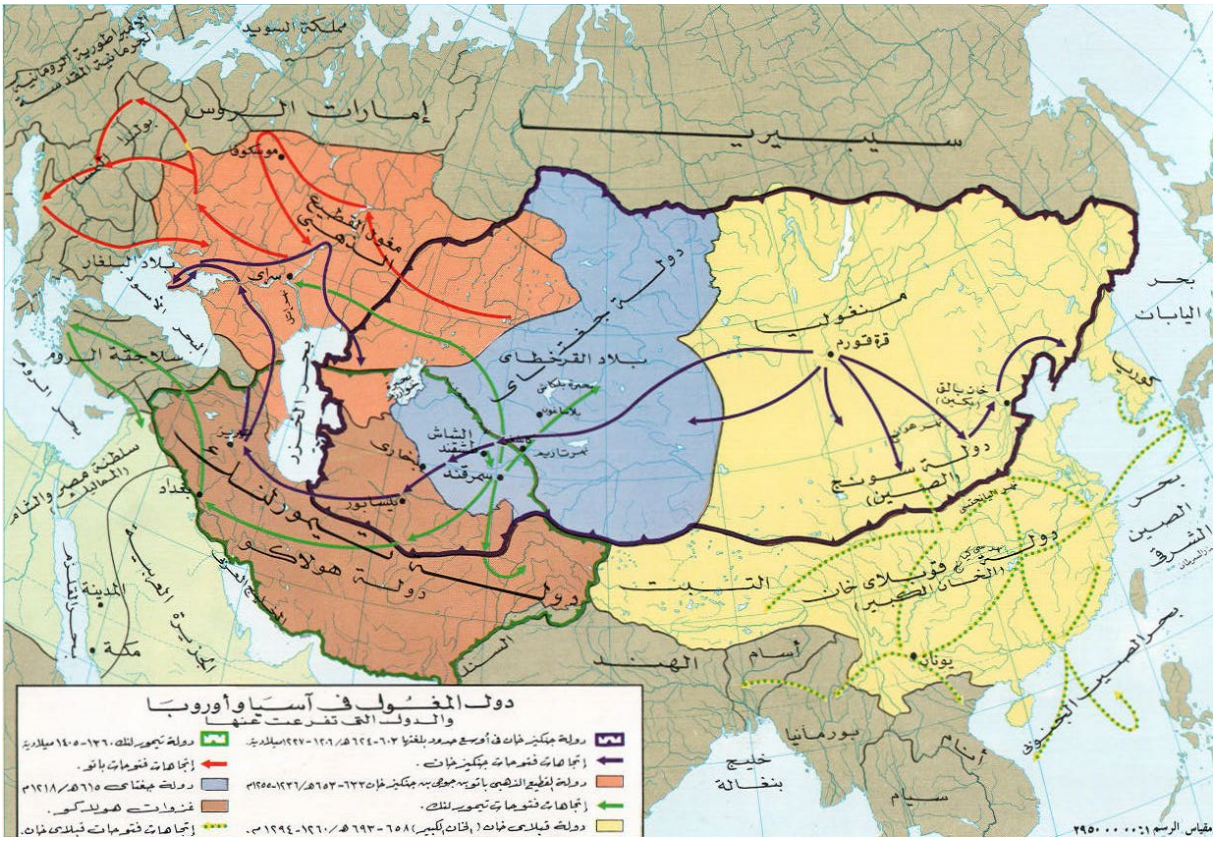

الملحق رقم 2:خارطة تمثل مواقع القبائل المغولية في إمبراطورية المغول.

المرجع:الصياد: (المغول في التاريخ)

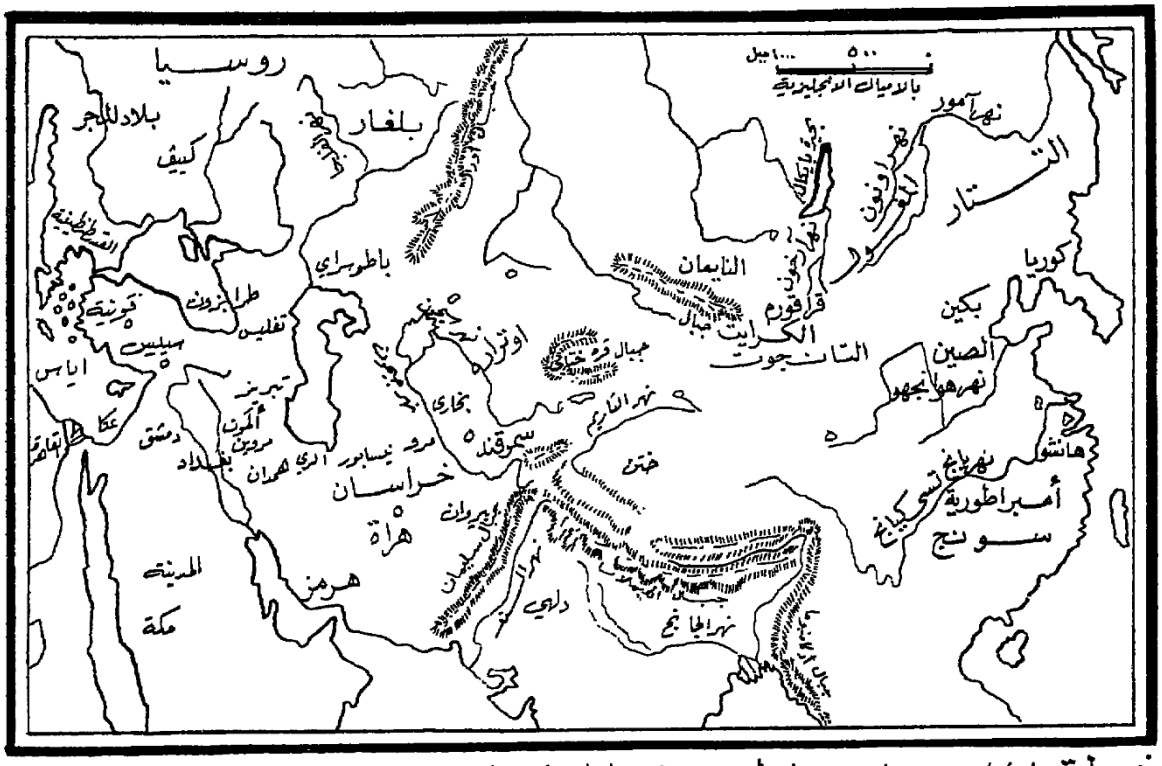

خريطة (٤) امبراطوريّة المغول

الملحق رقم3: أسماء الخانات العظام في إمبراطورية المغول بالترتيب من خلال كتاب الهمذاني.

الخان أو الوصي على الخانية	التاريخ (فترة الحكم)
جنكيزخان	603ـ 624هـ/1206ـ 1227م
تولوي بن جنكيزخان (وصي على العرش لسنتين)	624ـ 626هـ/1227ـ 1229م
أوكتاي بن جنكيزخان	626ـ 639هـ/1229ـ 1241م
توراكينا خاتون أرملة أوكتاي (وصية)	639ـ 643هـ/1241ـ 1246م
كيوك بن أوكتاي بن جنكيزخان	643ـ 646هـ/1245ـ1248م
أوغول قيميش أرملة كيوك خان (وصية)	646ـ 648هـ/1248ـ 1250م
منكوخان بن تولوي بن جنكيزخان	648ـ 655هـ/1250ـ 1257م
الصراع على العرش بين أريق بوقا وقوبيلاي أبناء تولوي بن جنكيزخان حول عرش القاآنية	655ـ 658هـ/1257ـ 1260م
قوبيلاي بن تولوي بن جنكيز خان	658–693هـ/ 1260– 1294م

بيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا ــ المصادر :

1 ـ ابن الأثير، ابن الحسن عز الين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت 630هـ): **الكامل في التاريخ، ج10،** ط4، تحقيق: أبو الغدا عبد الله القاضي، دار الكتبالعلمية، بيروت، 2003.

2 ـ ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج ابن أهرون الملطي (ت 685هـ/1286م): **تاريخ مختصر الدول،** تصحيح: الأب أنطون الصالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983.

3 ـ ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم بن علي بن أحمد بن محمد: **تاريخ ابن الفرات،** البصرة، العراق، 1967.

4 ـ ابن كثير، عماد الدين بن اسماعيل بن عمر الشافعي (ت 744هـ): **البداية والنهاية،** تقديم حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004.

5 ـ ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله اللواتي الطنجي: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (المعروف برحلة ابن بطوطة)،** تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، أكادمية المملكة المغربية، الرباط، 1997.

6 ـ ابن خلدون، أبي زيد عبد الرحمان محمد: **مقدمة ابن خلدون، ج1**، ط7، تحقيق وتعليق: د.علي عبد الواجد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2014.

7 ـ ـــــــــــ: **الخبر عن دولة التتر (تاريخ المغول من كتاب العبر)**، ط1، تحقيق: أحمد عمراني، دار الفارابي، بيروت، 2013.

8 ـ ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي، (ت 809هـ): **نزهة الأيام في تاريخ الاسلام بين سنتي 659/628هـ**، ط1، تحقيق: سمير طباره، المكتبة العصرية، بيروت، 1999.

9 ـ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج4، تحقيق: د. حسين محمد ربيع، مراجعة: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 1975.

10 ـ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن عمر صاحب حماه (ت732هـ): **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1830.

11 ـ ـــــــ: **المختصر في أخبار البشر، ج1**، ط1، تحقيق: محمد زينهم وآخرون، تقديم: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ن.

12 ـ الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.ن.

13 ـ إسحاق، بن حسين المنجم،(من علماء القرن الخامس الهجري)، **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، د.د.ن، د.م.ن، د.ت.ن.

14 ـ بطيطي، حسين بن علي: **أحوال ملوك التتار المغول**، تقديم وتصحيح: رسول جعفريان، طهران، 1392هـ.

15 ـ البكجري، علاء الدين مغلطاي بن قلنج بن عبد الله (ت 762هـ): **مختصر تاريخ الخلفاء**، ط1، تحقيق: آسيا كليبان، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

16 ـ بن أيبك، أبي بكر بن عبد الله الدَّواداري: **كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، (الدر المطلوب في أخبار ملك بني أيوب)**، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972.

17 ـ بن تغرى بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6**، ط1، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

18 ـ البناكتي، أبي سليمان، داود بن أبي الفضل محمود: **روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، المشهور بتاريخ البناكتي**، ط1، تحقيق: محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2007.

19 ـ البيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ/ 1048م): **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1958.

20 ـ الجوزجاني، أبي عمر منهاج الدين عثمان (ت 698هـ)، **طبقات ناصري، ج2**، ط1، ترجمة وتقديم: ملكة علي التركي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012.

21 ــ الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت 681هـ/ 1287م): **تاريخ فاتح العالم (جهان كشاي)، ج1**، تحقيق: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007.

22 ـ الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف، (من علمان القرن السابع الهجري): **التاريخ المنصوري**، تحقيق: د. أبو العبد دودو، مراجعة: د. عدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق، 1981.

23 ـ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله،(ت 626هـ/ 1229م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977.

24 ـ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت 982هـ/ 1574م): **تاريخ الخميس** في أحوال أنفس نفيس، ج2، ط1، مطبعة عثمان عبد الرزاق، د.د.ن، د.م.ن، 1303هـ.

25 ـ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ)، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.

26 ـ ـــــــــــ: **تاريخ الاسلام**، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، تقديم: محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، 1999.

27 ـ ـــــــــــ: **دول الإسلام، ج2**، ط1، تحقيق وتعليق: حسن إسماعيل مروة، قراءة وتعليق: محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، 1999.

28 ـ الرمزي، محمود، (ت 1130هـ/ 1717م): **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار**، المطبعة الكريمية والحسينية، أورنبورغ، 1908.

29 ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764): **الوافي بالوفيات، ج11**، ط1، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2000.

30 ـ العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله (ت 749هـ): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث (ممالك الشرق الاسلامي والترك ومصر والشام والحجاز)**، تحقيق: أ. د. أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2003.

31 ـ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت 855هـ/ 1514م): **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (العصر الأيوبي)، ج3**، 590-615هـ/ 1194-1218م، تحقيق: د. محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007.

32 ـ ـــــــــ: **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)، ج4**، 616-628هـ/ 1219-1230م، تحقيق: د. محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007.

33 ـ ـــــــــ: **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك، ج1**، تحقيق: د. محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010.

34ـ ـــــــــ: **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**، ط2، تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998.

35 ـ القرماني، أحمد بن يوسف (ت 1019هـ/ 1610م): **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج2**، ط1، تحقيق: د. فهمي سعد، د. أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، 1992.

36 ـ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت.ن.

37 ـ القلقشدي، أبي العباس أحمد (ت821هـ/ 1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4**، المطبعة الأميرية بالقاهرة، دار الكتب الخدوية، 1914.

38 ـ ماركوبولو: **رحلات ماركوبولو**، ط2، ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.

39 ـ المدائني، ابن أبي الحديد: **حملات الغزو المغولي، فصل من شرح نهج البلاغة**، ترجمة وتحقيق: د.مختار جبلي، دار لارماتون، باريس، 1995.

40 ـ المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت 845هـ/ 1441م): **السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1**، ط1، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

41 ـ ـــــــ: **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج3، تحقيق: د. محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مراجعة: أحمد أحمد زيادة، مطبعة دار الأمين، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

42 ـ المنصوري، الأمير ركن الدين بيبرس الدَّوادار: **زبدة الفكرؤة في تاريخ الهجرة**، ط1، تحقيق: دونالدوس ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998.

43 ـ مؤلف مجهول: **التاريخ السري للمغول**، ترجمة: أ. د. سهيل زكار، دمشق، 2011.

44 ـ النسوي، نور الدين محمد بن أحمد، (ت 642هـ): **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953.

45 ـ الهمذاني، فضل الله أبي الخير الملقب بالرشيد: **جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)**، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة وتقديم: يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.

46 ـ ــــــــ: **جامع التواريخ، مج2-ج1 (الإيلخانيون تاريخ هولاكو)**، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة وتقديم: يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العلمية، د.ت.ن.

47 ـ ــــــــ: **جامع التواريخ، مج2-ج2 (تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان)**، ترجمة: محمد صادق نشأت، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة: يحي الخشاب، دار إحياء الكتب العلمية، د.ت.ن.

48 ـ اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، (ت 768هـ): **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4**، ط1، منشورات محمد علي بيصنون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ن.

49 ـ اليماني، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحي بن حسين العامري: **غربال الزمان في وفيات الأعيان**، تصحيح وتعليق: محمد ناجي زعبي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ت.ن.

ثانيا ـ المراجع:

1ـ أبرار، كريم الله: **من هم التتار**، ترجمة وتعليق: د. رشيدة رحيم الصبروتي: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

2 ـ أرنولد، سيرتوماس: **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة: د.حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.

3 ـ إقبال عباس: **تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجتمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2000.

4 ـ ــــــــ: **تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (605هـ/ 820م- 1343هـ/1925م)**، ترجمة وتعليق: د. محمود علاء الدين منصور، راجعه: أ. د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.

5 ـ الأمين، حسن: **الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي**، ط1، دار الغدير، بيروت، 1997.

6 ـ أوزطونا، يلماز: **المدخل إلى التاريخ التركي**، ط1، ترجمة: أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005.

7 ـ إيبو، ناديا جمال: **الناجون من الغزو المغولي**، ط1، ترجمة: سيف الدين القصير، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسماعيلية، بيروت، 2004.

8 ـ البار، محمد علي: **كيف أسلم المغول**، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، 2008.

9 ـ بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996.

10 ـ ـــــــــــــ: **تاريخ تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1981.

11 ـ بدر، مصطفى طه: **محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول**، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

12 ـ بروكلمان، كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ط5، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

13 ـ بروي، إدوارد: **تاريخ الحضارات العام، ج3، (القرون الوسطى)**، ترجمة: يوسف أسعد داغر وفريدم. داغر، منشورات عويدات، بيروت، 1965م.

14 ـ بشار قويدر: **دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب والمشرق**، دار الهدى، الجزائر،2011 .

15 ـ البهجي، إيناس حسني: **تاريخ المغول وغزو الدولة الاسلامية**، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2017.

16 ـ بورس، ياكوفلافتش فلاديمرستوف: **حياة جنكيز خان الادارية والسياسية والعسكرية**، ترجمة: الغامدي، ط1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1983.

17 ـ التونجي، محمد: **بلاد الشام إبان الغزو المغولي**، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1998.

18 ـ الجنابي، هاشم خضر: **جغرافية أوراسيا**، ط1، جامعة الموصل، الموصل، 1987.

19 ـ جنكيز خان، عبد العزيز: **تركستان قلب آسيا**، الجمعية الخيرية التركستانية، د.د.ن، د.ت. ن.

20 ـ حسن، حسن إبراهيم: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.

21 ـ حطيط، أحمد: **حروب المغول دراسة في الاستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيز خان حتى عهد تيمور لنك**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.

22 ـ حمدي، حافظ أحمد: **الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والإقتصادية والثقافية**، دار الفكر العربي، مصر، 1949.

23 ـ الخالدي، إسماعيل عبد العزيز: **العالم الإسلامي والغزو المغولي**، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984.

24 ـ خليفة، حسن: **الدولة العباسية قيامها وسقوطها**، ط1، المطبعة الحديثة، القاهرة، د. ت. ن.

25 ـ الدباغ، إيمان طلعت عبد الرزاق: **نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث والرابع عشر الميلاديين**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2019.

26 ـ رنسيمان، ستيفن: **تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ق2، المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي**، ترجمة: الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1997.

27 ـ رينيه، غروسيه: **جنكيز خان قاهر العالم**، ترجمة: خالد أسعد عيسى، مراجعة وتقديم: د. سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982.

28 ـ الساداتي، أحمد محمود: **تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضاراتها (شبه القارة الهندية الباكستانية وبنجلادش ــ إيران ــ بلاد ما وراء النهر "بخارى الكبرى أو التركستان"ـ أفغانستان ـ تركيا)**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979.

29 ـ السيد، محمود: **التتار والمغول**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2001.

30 ـ الشاعر، محمد فتحي: **مصر قاهرة المغول في عين جالوت**، دار المعارف، القاهرة، 1995.

31 ـ شبولر، بيرتولد: **العالم الاسلامي في العصر المغولي**، ترجمة: خالد أسعد عيسى، مراجعة: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1982.

32 ـ ــــــــ: **المغول في التاريخ**، ط1، ترجمة: يوسف شلب الشام، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989.

33 ـ صبري عبد اللطيف سليم: **المغول وعالم الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007.

34 ـ الصاوي، محمد الصاوي: **جنكيزخان فاتح العالم**، ط1، دار طيبة للطباعة، مكتبة النافذة للنشر، مصر، 2012.

35 ـ شوا، إيمي: **عصر الامبراطورية**، ط1، العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، 2011.

36 ـ صبرة، عفاف سيد: **التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 2007.

37 ـ الصلابي، علي محمد: **المغول والتتار بين الإنتشار والإنكسار**، الأندلس الجديدة، بيروت، 2009.

38 ـ الصياد، فؤاد عبد المعطي: **المغول في التاريخ، ج1**، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

39 ـ الطائي، سعاد هادي حسن إرحيم: **دراسات في تاريخ الترك والمغول**، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2015.

40 ـ طقوش، محمد سهيل: **تاريخ المغول العظام والايلخانيين (602-772هـ/ 1206-1370م) (651-756هـ/ 1253-1355م)**، ط1، دار النفائس، بيروت، 2007.

41 ـ ـــــــ: **تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند**، دار النفائس، بيروت، 2007.

42 ـ عاشور، فايد حماد: **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، تقديم: أ.د جوزيف نسيم، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعرفة للنشر، القاهرة، د.ت.ن.

43 ـ عبد الحكيم، منصور: **جنكيز خان إمبراطور الشر وقاهر العالم**، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2008.

44 ـ عبد الحليم، رجب محمد: انتشار الاسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986.

45 ـ العريني، السيد الباز: **المغول**، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.

46 ـ العزاوي، عباس: **تاريخ العراق بين احتلالين، ج1، (حكومة المغول 656-738هـ/ 1258-1338م)**، مطبعة بغداد، العراق، 1935.

47 ـ عزب، خالد: **بخارى الشريفة تاريخها وتراثها الحضاري**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت. ن.

48 ـ عكاشة ثروت محمود: **إعصار من الشرق "جنكيز خان"**، ط5، دار الشروق، القاهرة، 1992.

49 ـ عمران، سعيد محمود: **المغول وأوروبا**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997.

50 ـ ـــــــــــــ: **المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس**، دار المعرفة الجامعية، د. م. ن، 2003.

51 ـ العودة، سليمان بن حمد: **كيف دخل التتر بلاد المسلمين الأدوار الخفية في سقوط الدولة العباسية**، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996.

52 ـ الغامدي، سعد بن محمد حذيفة: **المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الإجتماعية والدينية**، ط1، وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، الرياض، 1990.

53 ـ ـــــــــــــ: **سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والإتهام**، ط2، دار ابن حذيفة، الرياض، 2004.

54 ـ الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف: **الدول المستقلة في المشرق الاسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي (دراسة لدول آسيا الوسطى "الكومنولث الجديد" في عصرورها الإسلامية المزدهرة)**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

55 ـ فهمي، عبد السلام عبد العزيز: **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، دار المعارف، القاهرة، 1981.

56 ـ قداوي، علاء محمود خليل: **الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيليخانية (656هـ-135هـ/ 1258م-1335م) (دراسة تحليلية عن الإحتلال والمقاومة والجوانب الحضارية)**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.

57 ـ القزاز، محمد صالح داود: **الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية**، مطبعة القضاء، النجف، 1970.

58 ـ كيتشانوف: ي. إ: **حياة تيموتشجين (جنكيز خان)**، ترجمة: طلحة الطيب، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2005.

59 ـ لاين، جورج: **عصر المغول**، ط1، ترجمة: تغريد الغضبان، مراجعة: سامر أبو هواش، هيئة أبو ظبي للساحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة، 2012.

60 ـ اللهيبي، فتحي سالم حمدي، **رياح الشرق دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2013.

61 ـ ليسترنج، كي: **بلدان الخلافة الشرقية**، ط2، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

62 ـ مرجونة، إبراهيم محمد علي: **المغول والحضارة الاسلامية رحلة المغول من الإستكبار إلى الإنصهار**، مؤسسة شباب الجامعة، 2010.

63 ـ مؤنس، حسين: **أطلس تاريخ الاسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

64 ـ النبراوي فتيحة ومهنا محمد نصر: **قضايا العالم الاسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر**، ط1، منشأة المعارف، مصر، 2012.

65 ـ الندوي، أبو الحسن: **غارة التتار على العالم الاسلامي وظهور معجزة الإسلام**، ط2، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979.

66 ـ هلال، عادل إسماعيل محمد، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثارها على العالم الاسلامي**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997.

67 ـ هوخام هيلدا: **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

المراجع الأجنبية:

1ـ Howorth,sir henry hayle: **histtory of mongols**.London, 1927.

2ـ D'Ohsson, M, Le Baron: **Histoire des Mongols depuis Tchinquiz-Khan jusqua Timour Bey ou Tamerlan**, Paris, 1852.

3 ـ Morgan, David,O: **The Mongols**,u.s.a, 1996.

الرسائل الجامعية:

1 ـ غنيمات قاسم محمد مزعل: **الجيش المغولي في الفترة مابين 615 ـ 736هـ/1218 ـ 1335م**، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، الأردن، 2003.

2 ـ كدرو، نرجس أسعد: **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين**، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، القاهرة، 2012.

المقالات:

1 ـ أبو الفضل سميحة: **عقائد الغز والمغول في بلاد ما بين النهرين قبل دخولهم في الإسلام**، مجلة دراسات تاريخية، 103 ـ 104، جامعة دمشق، 2008.

2 ـ جلايلي أحمد: **المغول وحلم بناء مدينة قراقورم كعاصمة لإمبراطوريتهم**، مجلة الحقيقة، 39، أدرار، 2016.

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام

"أ"

أنوسنت الرابع 24

أونغ خان 85/83/82/81/80/77/75/74

أوكتاي
/284/283/282/280/273/273/244/242/241/234/223/209/154/119/79
305/299/296/295/294/286/285

أيدي قوت 52/54/55/93/204/209/

"ب"

بوبيروق 48/44

"ت"

تايانك 312/48

تولوي 305/304/298/80

تيموجين
/80/77/74/69/68/67/66/65/64/63/62/61/60/59/58/57/56/55/37/36
312/233/100/82/81

"ج"

جغتاي 79/160/209/223/242/244/253/293/294

جنكيزخان

/78/77/76/75/73/72/65/57/55/54/52/51/50/49/47/46/45/44/42/34
/131/130/129/128/127/126/125/124/123/101/99/94/87/85/80/79
147/146/145/144/143/142/141/139/138/137/136/135/134/133/132
/175176/174/173/172/170/169/168/167/166/165/160/153154/152/
199/198/196/192/191/190/188/187/186/185/181/181/179/178/176
/217/216/212/211/209/208/207/206/205/204/203/202/201/200/
245/239/236/235/234/233/232/231/225/224/223/221/220/219/218
/264/263/259/258/256/255/253/252/251/250/249/248/247/246/
280/279/278/276/275/274/273/272/271/270/269/268/267/266/265
304/303/302/298/297/294/293/290/288/287/286/284/282/281/

جوجي

178/176/175/174/173/172/167/154/151/147/143/142/139/7981/46
306/275/274/273/253/228/226/225/224/223/214/212/209/205/

"ط"

طغريل 43/44/45/74/80

"ك"

كاربيني 26

كوتشلوك

/165/148/147/146/145/144/143/142/141/140/139/93/91/90/89/48

172/167170

كيوك 304/296/294/160/26

"ل"

لويس التاسع 297/26

"م"

منكو 303/298/297/284/244/160/159/26

"ي"

ييسوكاي 85/80/79/78/73/66/64/63/62/61/60/58/57/56/45/44

ثانيا: فهرس المدن والقبائل

"أ"

أولان باتور 29

الأويرات 313/312/95/89/50

الأويغور 313/312/307/251/250/94/93/92/78/55/54/53/52/41/26/25

"ب"

بكين 179/167/139/138/137/42/41

بيش باليق 204/53/52

"ت"

التانغوت 246/140/129/128/127/124/113/93/84/53/46/25

التبت 144/126/41/32/31/28/26/25

التتار

/101/94/90/89/87/86/85/84/79/62/57/56/46/45/43/42/41/40/26/25
180/178/173/170/165/159/157/155/153/152/151/150/145/106/103
313/312/279/247/221/219/218/208/206/197/196/181/

تركستان

/145/141/140/128/127/111/100/99/94/92/54/52/48/46/27/26/25
267/264/250/243/242/241/236/212/206/204/168/166/165/163/147
297/278/277/276/275/270/269/

"ج"

جوبي 281/134/43/30/27/25/24

"خ"

خان باليق 25

الخطا

/207/206/193/186/170/146/145/141/140/136/135/54/41/39/26/25
283

"س"

سيبيريا: 35/33/27/26

"ص"

الصين:46/54/76/79/85/87/89/94/95/99/107/108/122/123/124/125/
126/127/129/130/131/132/133/134/135/136/137139/138/140/142/
145/147/164/165/166/168/170/172/186/204/241/265/267/273/280/
281/283/286/306/307/308/309/311/313/316/

"ق"

قراقورم:
32/51/213/233/241/244/278/279/280/281/282/283/284/285/286/
312

القرغيز: 25/26/41/53/94/172

القفجاق: 39/78/151

قيات: 51/58/60/61/73/74/76/77/78/80/313

"ك"

الكرايت: 43/44/46/47/49/74/77/80/83/84/86/87/89/90/99/127

"م"

المركيت: 46/49/50/74/77/89/90/91/92/142/143/162/172

منشوريا: 135/42/27

منغوليا:

/90/89/87/86/60/59/58/53/51/47/45/43/42/38/35/33/30/28/27/24

/273/235/233/232/223/172/169/137/136/134/131/124/123/116/94

312/283286/280

النيمان:

/165/162/147/146/145/144/141/139/91/90/89/84/82/77/49/48/47

172

ثالثا: فهرس الأنهار والبحيرات

"أ"

أرخون: 280/279/47/44/43/41/33/25

أونون: 286/233/232/143/67/58/56/51/50/29/25

ألتاي: 11/100/91/67/66/65/64/62/47/38/32/31/26/25

"ب"

بايكال: 50/49/43/41/29/25

"ج"

جيحون: 226/222/218/207/24

"س"

سيحون: 215/214/213/212/209/206/182/174/24

كيرولين: 286/131/51/42/41/30/29/25

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء

كلمة شكر

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ. ن

الفصل الأول: جغرافية بلاد المغول.....**24- 69**

أولاً: الموقع الجغرافي.....24- 27

ثانياً: الطبيعة والتضاريس.....27- 35

البحيرات.....27- 28

الأنهار.....28- 30

التضاريس.....30- 35

ثالثاً: الثروة الحيوانية والنباتية.....35- 39

رابعاً: القبائل المغولية.....39- 55

التتار.....40- 43

الكرايت.....43- 47

النيمان.....47- 49

المركيت.....49- 50

الأويرات.....50- 51

قبيلة قيات.....51- 52

الأويغور.....52- 55

خامساً: محطات في فترة شباب تيموجين (جنكيزخان).....55- 69

ولادته.....55- 58

يسوكاي يخطب لابنه تيموجين.....59- 60

وفاة الوالد وتشتت القبيلة.....60- 63

قتل تيموجين لأخيه غير الشقيق.....63- 65

إعتقاله من طرف التايجي أوت وفراره.....65- 67

سرقة خيول الأسرة واسترجاعها من طرف تيموجين.....67- 69

الفصل الثاني: الجيش المغولي.....72- 120

أولاً: النشأة والتكوين.....72- 75

ثانياً: مكوناته.....75- 96

قبيلة قيات.....77- 78

قبائل كرايت.....79- 83

التتار.....83- 85

النيمان.....86- 88

المركيت.....89- 91

الأويغور.....91- 92

مكونات أخرى.....92- 96

ثالثاً: وحداته وأقسامه.....96- 113

وحداته.....96- 110

أقسامه.....110- 113

رابعاً: أسلحة الجيش المغولي.....113- 120

الفصل الثالث: حروب المغول وتوسعاتهم.....123- 228

أولاً: حروبهم في الصين.....123- 136

إخضاع مملكة التانغوت(هسي هيا).....123- 126

غزو مملكة كين (الذهب).....126- 136

ثانياً: القضاء على كوشلوك النيماني والدولة القراخطائية.....136- 145

ثالثاً: غزو القفجاق وروسيا وشرق أوربا.....145- 158

رابعاً: غزو إقليم الدولة الخوارزمية.....158- 228

العلاقات المغولية الخوارزمية قبل الغزو.....161- 177

أسباب الغزو المغولي للدولة الخوارزمية.....177- 202

بداية الغزو.....202- 228

الفصل الرابع: النظم والحضارة عند المغول.....231- 309

أولاً: نظام البريد.....231- 238

الدستور والقضاء.....238- 264

مفهوم الياسا.....239- 249

شمولية الياسا في الإمبراطورية المغولية.....246- 257

البيليك.....257- 261

القضاء.....261- 264

ثانياً: الإدارة في الإمبراطورية المغولية.....264- 292

أهم المناصب في الدولة.....264- 266

الوظائف الهامة.....266- 271

العاصمة.....271- 279

الأسرة والزواج عند المغول.....279- 292

ثالثاً: الحياة الدينية لدى المغول.....300- 309

المعتقدات الأولى عند المغول.....300- 309

الاعتقاد بالوحدانية والظواهر الطبيعية.....300- 306

المعتقدات الوضعية عند المغول.....306-
309

الخاتمة.....311- 316

الملاحق.....318- 320

بيبليوغرافيا.....322- 337

الفهارس.....339-345

المحتويات.....347- 350